دع الشمس تشرق

تأليف
وليم سيرز

ترجمة
الدكتور شوقى عبد الفتّاح رُوحانى
آمال إحسان رُوحانى

دع الشمس تشرق

تأليف
وليم سيرز
WILLIAM SEARS

ترجمة
الدكتور شوقي عبد الفتاح روحاني
آمال إحسان روحاني

مقدّمة

نقدم تعريب هذا الكتاب إلى كل باحث متحرّر منصف ناطق بالضاد، ليحكم بنفسه على سيرة هذه القلة التي آمنت بالمبعوث الجديد، وقامت لنصرة دعوة الحق حاملة رؤوسها على أكفها، متسلحة بالايمان، متزودة بالتقوى، لا يخيفها سيوف المعتدين، ولا بنادق الغاشمين. تنادي بأعلى النداء، قد جاء الوعد الحق.

كان كل واحد منهم شعلة فارانية اججت بنار عشقها قلب كل ولهان. ونورا زيتونيا اهتدى به كل قاص ودان.

ولكن سريعًا ما غلّفها سحاب الحقد والكراهية، وقام على اطفائها افواه البغض والكبرياء.

غُطيت أرض فارس بدماء ما يزيد عن عشرين الف شهيد. مُثلوا بهم كل مثلة، قطعوا أوصالهم، سلخوا جلودهم، تهادوا رؤوسهم، بعثروا اشلاءهم، سلبوا أموالهم، وحرقوا بيوتهم.

وأخيرا، مزق رصاص سبعمائة وخمسون بندقية جسد «محبوب العالمين».

المعرّبان

الفصل الاول **وعد المسيح**

هذه قصة بحث جديد عن الكأس المقدس (Holy Grail) كأس الحياة الابدية. ابتدأت في الارض التي جاء منها الملوك الثلاثة الى بيت لحم مهتدين بضياء نجم لامع.

كان ذلك في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت هناك علامة أخرى في السماء، نجم مذنب عظيم مشتعل. فزع كثيرون، وخاف جم غفير، كما فرح عديدون، لان كُلاً من الشرق والغرب قد تماسكا معًا في حماس العصر الألفي السعيد.[1]

في فارس موطن «الحكماء الثلاثة» كان الحماس لرجوع المسيح اكثر منه في أي بلد آخر. كتب الأدباء في أوروبا وأمريكا وتكلموا عن الظهور المرتقب للمسيح المنتظر. اما في فارس فكان الكثير من الناس يبحثون بجدّ عنه لاعتقادهم أن الموعود موجود بينهم.

كان من بين هؤلاء الباحثين المنقطعين رجل ورع يدعى الشيخ أحمد. ترك وطنه وعشيرته، وهو في الاربعين من عمره، في احدى الجزر الواقعة جنوب الخليج الفارسي، ومضى ليكشف السر عن الرسول الآتي. ظل هاتف داخلي يحثه على المضي قدمًا، فقرأ بنهم كلّ ما كتب في هذا الموضوع. ظلّ يوجه الاسئلة الى اكابر الهيئات الدينية والعلمية حتى شعر أخيرًا انه قد وصل الى الحقيقة.

امتلأ الآن رغبة في أن يخفف عما يثقل كاهل روحه فابتدأ يبحث عمن يستطيع أن يشاركه سره العظيم: وهو علمه اليقين بمكان وزمان ظهور المبعوث الالهي الجديد، الذي به تتحقق جميع الوعود المذكورة في الكتب المقدسة.

توجه الشيخ احمد الى شيراز جنوب ايران مشيًا على الاقدام. كثيرًا ما تكلم الشيخ احمد بلهفة مادحًا تلك المدينة في خطاباته العامة مغدقًا عليها الثناء بدرجة جعلت مستمعيه الذين عرفوا بساطتها يندهشون من لهجة حديثه.

قال لهم الشيخ احمد «لا تعجبوا فلن يمضي وقت طويل حتى يتضح لكم سرُّ كلماتي. وان عددًا منكم سوف يعيش ليشاهد عظمة يوم تنبأ به الانبياء في السابق وأشتاقوا لرؤيته».

لم يكن هناك أحد يستطيع الشيخ احمد أن يفيض عليه بعلومه بأكملها. كان يخاف مما قد يفعله القوم بذلك الشخص الذي اشعل مجيئه النار في قلبه. وأدرك ان عليه الانتظار بصبر الى أن يظهر شخص ذو روحانية مماثلة له يشاركه سرّه.

كان هناك شاب يسعى الى زيارة الشيخ احمد خلال تلك الايام يدعى السيد كاظم، وقد سمع عن عظمته واعتقد انه ربما كان الموعود. عاش السيد كاظم في أردبيل بجوار ضريح مشهور. وفي ذات ليلة رأى في منامه من يأمره بأن ينهض ويضع نفسه تحت إمرة الشيخ احمد الروحية المقيم في يزد.[٢]

بـدا السيد كاظم رحلته على الفور الى يزد. وعندما وصل الى نهاية مطافه حيّاه الشيخ احمد بكل محبة قائلاً: «أهلاً بك يا عزيزي. كم كنت مشتاقًا لحضورك منذ أمد بعيد».

أودع الشيخ احمد في السيد كاظم كل ما يعرفه وحثه ان يشعل كل قلب مستجيب بالنار الموقدة في قلبه. وحذره قائلاً. «لا تضيّع الوقت، استفد من كل ساعة تمرّ استفادة تامة حكيمة. اجتهد ليل نهار في ازالة غشاوة التعصبات والتقاليد التي اعمت عيون الناس. فالحق أقول ان الساعة تقترب».

كرس الشيخ احمد اهتمامه الخاص لأتباعه، آملاً ان يجعل منهم أعوانًا عاملين لدعوة الموعود عند ظهوره. علم الشيخ احمد بدنو ساعته فجمع أتباعه وقال لهم: «ابحثوا بعدي عن الحقيقة بواسطة السيد كاظم، فهو وحده الذي يفهم مقصدي».[٣]

توفي الشيخ احمد بعد ذلك بقليل واصبح السيد كاظم رئيسًا لأتباعه. لم يجد السيد كاظم كذلك انسانًا مخلصًا حقًا او مستحقًا لسماع كل ما تعلمه من سيده. فما زال اتباع الشيخ متعلقين ببيوتهم وذويهم وبأموالهم واعمالهم وعقائدهم السابقة.

قالوا للسيد كاظم: «اذا كان الموعود المنتظر يرفعنا ويُبقي كل ما هو عزيز لدينا، نحن اذا مستعدون بل متشوقون لقبوله. ولكن اذا كان مجيئه يعني ترك كل ما نعتزّ به، وربما يعني ايضًا مواجهة الموت فآذاننا حينئذ صماء عن سماع عذب لحنه».

وبعد أمد طويل وجد السيّد كاظم شابًا كفوًا لحمل الامانة العظيمة. كان اسم ذلك الشّاب الملا حسين. كان الحب والتبجيل اللذان اغدقهما عليه السيد كاظم عظيمين بدرجة جعلت البعض من مرافقيه يشتبهون بأن الملاحسين هو الموعود الذي كان معلمهم يشير اليه

باستمرار. والذي كثيرًا ما اعلن انه يعيش الآن بينهم وهم جميعًا لا يعرفونه. قال لهم السيد كاظم «ترونه بأعينكم ولكنكم لا تعرفونه».

بادل الملاحسين السيد كاظم حبه واحترامه العظيمين. كان الملاحسين يسأل نفسه احيانا ما اذا كان السيد كاظم هو الشخص الذي ينتظرونه ام لا، على اي حال، فان لدى الملاحسين مقياسًا عزم أن يختبر به كل من يدّعي مثل هذا الادعاء الهائل، فسيطلب منه كتابة تفسير لقصة يوسف المذكورة في القرآن باسلوب ولغة مغايرة تماما للأصول المتداولة.

وفي أحد الايام طلب الملاحسين على انفراد من السيد كاظم ان يكتب له ذلك التفسير. فامتنع السيد قائلاً: «ان هذا فوق مقدرتي. وعلى اي حال فان ذلك الشخص العظيم الذي يأتي من بعدي سوف يظهره لك دون سؤال. وهذا التفسير سوف يكون واحدًا من أظهر الشواهد على صدقه».

سأل الملاحسين السيد كاظم لماذا سمّيت هذه السورة في القرآن بأحسن القصص فأجابه: «ان الوقت غير مناسب لتوضيح السبب». كانت كلماته هذه تلمح الى ان المستقبل سوف يكشف النقاب عن هذه الحقيقة.[4]

شعر تلميذ آخر من بين الاتباع ان السيد كاظم هو الموعود بالرغم من نفيه، وتمادى في ذلك حتى أخذ يصرّح به علانية. استاء السيد كثيرًا وكاد ان يطرد المتكلم من بين زمرة اتباعه المختارين لو لم يلتمس الصفح.

أكّد السيد كاظم قائلاً: «ان علمي إن هو الاّ كقطرة بالنسبة لغزارة علمه وما احرزته ليس الاّ كذرّة من التراب مقابل بدائع قدرته».[5]

حين نفى السيد كاظم ذلك نفيًا صريحًا حزن تلميذ آخر حزنًا شديدًا. اذ كان هو الآخر يعتقد ان السيد كاظم هو الشخص العظيم الذي اعلن عنه. فتضرع الى الله بكل لهفة ان يؤكد له ما يشعر به في قلبه، او يخلصه من هذا الوهم. دوّن بكلماته التالية الطريقة التي بها جاءه العون:

«في فجر يوم ذهبت الى منزل السيد كاظم، كان (السيد) على وشك الخروج مرتديًا أحسن لباسه سألني السيد ان أرافقه قائلاً: «حضر شخص فاضل عظيم القدر أرى ان علينا كلانا زيارته» وعندما وصلنا الجهة التي نقصدها كانت الشمس قد بزغت. وكان هناك شاب واقفًا على مدخل الباب يوحي وجهه بامارات الخشوع واللطف ما لا يمكنني وصفها ابدًا. تقدم نحونا بهدوء ثم مدّ ذراعيه نحو السيد كاظم وعانقه بمحبة. كان هناك بون شاسع بين مودته للسيد وبين الاحترام العميق الذي أسداه السيد له.

اصطحبنا مضيفنا الى غرفة عليا وضع في وسطها كأس من الفضة. وبعد ان جلسنا ملأ مضيفنا الكأس، وناولها الى السيد كاظم وتلا آية من القرآن «وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا».

كم كانت دهشتي عظيمة عندما شاهدت استاذي السيد كاظم ينهل من هذا الشراب الطهور من كأس فضة دون ادنى تردد اذ ان استعمال هذا المعدن محرم على المؤمنين.

وبعد مضي ثلاثة ايام رأيت الشاب نفسه يحضر ويأخذ مجلسه وسط أتباع السيد كاظم المجتمعين. جلس بالقرب من مدخل الباب، وأخذ يستمع الى خطاب السيد كاظم بأدب عظيم ووقار جليل. وما ان رآه السيد حتى كفّ عن الكلام. توسل اليه أحد اتباعه أن يستمر في الحديث عن مجيء الموعود. فأجابه السيد وهو يلتفت نحو الشاب: «ماذا أقول أكثر من ذلك؟ هوذا الحق أوضح من شعاع النور الساقط على هذا الذيل».

فلاحظت على الفور أن شعاع الشمس الذي اشار اليه السيد كاظم ساقط على حجر ذلك الشاب الذي كنا قد زرناه حديثًا. سأل احد اتباع السيد قائلاً: «لماذا لا تفصح لنا عن اسمه او تكشف عن شخصه؟ لماذا؟» أجاب السيد بأنه لو اباح باسمه لقتل كلاهما في الحال، المحبوب الالهي، وهو نفسه كلاهما.

«لقد رأيت فعلا السيد كاظم يشير باصبعه الى شعاع الشمس الواقع على ذلك الحجر ومع هذا لم يدرك أحد من الحاضرين معناها وأيقنت ان في ذلك الشاب الغريب الجذاب سرًّا يصعب علينا جميعًا فهمه».

كثيرا ما كنت اشعر بدافع للسعي الى محضره ولكن في كل مرة اجترأت على الاقتراب منه منعتني قوة لا استطيع تفسيرها او مقاومتها. وبتحرّياتي عنه علمت أنه من أهالي شيراز ويشتغل في التجارة. وقد أشعل قلبي منذ ذلك اليوم، ولازمتني ذكراه.»

ازداد ادراك السيد كاظم باقتراب ساعة ظهور الموعود. يوجد دليل قاطع على أنه أشار الى هذا الحدث مرارًا وتكرارًا، فقد كان مولعًا بقول «أراه كالشمس الطالعة». ادرك السيد كاظم مقدار كثافة الحجبات التي تحول دون معرفة الحق حتى من تلاميذه، فظلّ ينذرهم كما انذر يوحنا المعمدان اولئك الذين كانوا ينتظرون المسيح بقوله: «اقترب ملكوت الله». وشرع يرفع تدريجيًا وبكل حرص وحكمة العوائق التي قد تعترض طريق فهمهم التام لذلك الكنز المخفي عند ظهوره.

نبّههم قائلاً: «حذار ان تخدعكم زخارف الدنيا الزائلة بعد فراقي. اتركوا الراحة كلها، وجميع المتعلقات الدنيوية والأهل في بحثكم عنه. انقطعوا عن كل الشؤونات الدنيوية وتضرعوا الى الله بخضوع لكي يهديكم. لا تتوانوا قط في عزمكم للبحث والعثور

عليه. كونوا ثابتين حتى اليوم الذي فيه سوف يختاركم أصحابًا له. وهنيئًا لكل من يشرب منكم كأس الشهادة في سبيله».

وعد السيد كاظم بعضًا من تلاميذه بأنّه سوف لا تقرّ عيونهم برؤية الرسول الآتي وجها لوجه فحسب، بل برؤية الذي سوف يأتي من بعده أيضًا.

قال: «ما ان ينفخ في الصور النفخة الاولى حتى يرتفع نداء آخر تنتعش به الأشياء وتحيا».

مرارًا اخبرهم السيد كاظم بأنهم سوف يشاهدون لا رسولاً واحدًا بل رسولين هما، الظهوران التوآمان اللذان وعدت بهما الكتب السماوية لهذه «الايام الأخيرة».

هذان الظهوران المتعاقبان سيكونان تحقيقًا للنبوءة المذكورة في رؤيا يوحنا بـ«الويل الثاني والثالث» والتي تنبئ بان الويل الثالث «يتبع» الثاني[٦] سريعًا. وهما سيكونان أيضًا تحقيقًا للنفخ في الصور مرتين المذكورين في القرآن، اللذان يتبع بسرعة كل منهما الآخر سريعًا في آخر الزمن»[٧].

أكد السيد كاظم لاتباعه انه بعد الفجر المنتظر تظهر الشمس الموعودة وقال: «انه بعد غروب نجم الاول تشرق شمس الثاني وتنير كل العالم».

أشار السيد كاظم لأتباعه انهم يعيشون في يوم النبوءة التي قد تمت بهذه الكلمات: «في سنة الستين (١٢٦٠ هـ= ١٨٤٤م) سوف تشرق الارض بنوره... واذا عشت الى سنة السبعين (١٢٧٠ هـ= ١٨٥٣م) فسوف تشاهد كيف تتجدد الامم والحكام والشعوب ودين الله».

وفي آخر سنة من حياته ترك السيد كاظم كربلاء لزيارة المقامات المقدسة القريبة منها. توقف اثناء سفره عند مسجد على جانب الطريق لتأدية فريضة الظهر. كان السيد واقفًا تحت ظل نخلة عندما ظهر أعرابي فجأة. اقترب الاعرابي من السيد كاظم وخاطبه قائلاً: «كنت أرعى غنمي قبل ثلاثة ايام في مرعى مجاور. وبغتة غلبني النوم، وظهر لي الرسول في النوم وقال: «اصغ الى كلامي ايها الراعي. أمكث بجوار هذا المسجد. ففي غضون ثلاثة ايام سيحضر رجل اسمه السيد كاظم يصحبه اتباعه. قل له عن لساني «افرح لان ساعة رحيلك اقتربت» وسوف تعرج اليّ بعد رجوعك الى كربلاء بثلاثة ايام. وما يلبث ان يظهر الحق، عندئذ يستضيء العالم من انوار وجهه».

حزن اصحاب السيد لاقتراب وفاته. فواساهم بهذه الكلمات:

«أليست محبتكم لي هي حقًا لأجل ذلك الحق الذي نحن جميعًا في انتظار مجيئه؟ ألا ترغبون ان اموت لكي يظهر الموعود؟».

والى آخر نفس كان السيد كاظم يحثّ أتباعه على مواصلة البحث.

عاد السيد الى كربلاء وفي يوم وصوله مرض وبعد ثلاثة ايام توفي طبقًا لما سبق وأُخبر به في منام الراعي.

---

١. James Henry Foreman, *Story of Prophecy*, p. 310-311
٢. نبيل زرندي – مطالع الانوار هوامش الصفحات ٩، ١٠، ١٧، ١٨
٣. المصدر السابق الصفحات ٤، ٩–١٠، ١٦
٤. المصدر السابق الصفحة ٥٩
٥. المصدر السابق الصفحة ٢٥–٣٠، ٤٠–٤٦
٦. رؤيا القدّيس يوحنا الفصل الحادي عشر الآية الرابعة.
٧. القرآن الكريم سورة الزمر الآية ٦٨

الفصل الثاني **بداية البحث**

كان الملا حسين في ذلك الوقت في اصفهان يؤدّي مهمة خاصة للسيد كاظم. لقد أرسل للظفر بتعضيد أحد الزعماء الدينيين المرموقين، نجح الملاحسين في مهمته جعلت هذا الزعيم يغيّر من وجهة نظره، واصبح مولعًا بالملاحسين بدرجة جعلته يندم على عدم الاعتناء به في بادئ الأمر وأرسل أحد خدمه ليعرف أين يقيم، تبعه الخادم حتى رآه يدخل حجرة خاوية من الأثاث اللّهم إلاّ من حصيرة واحدة على الأرض. وراقب الملا حسين يؤدي الصلاة ثم يرقد على الحصيرة لا يقيه من البرد شيء غير عباءته. عندئذ عاد وأخبر سيده بما رأى. فزاد اعجابه بالملا حسين زيادة عظيمة جعلته يعيد خادمه اليه ومعه مائةتومان كهدية. رد الملاحسين النقود قائلاً: «قل لسيدك ان هديته الحقيقية لي هي انصافه وسعة أُفقه في استماعه الى رسالتي بالرغم من علو مقامه وحقارة شأني. اعد هذه النقود فأنا لا أريد جزاءً ولا شكورًا، انما نطعمكم لوجه الله. ودعائي لسيدك ان لا تمنعه الرئاسة الدنيوية عن الشهادة والاعتراف بالحق». [1]

عندما عاد الملاحسين الى كربلاء كان السيد كاظم قد انتقل من هذه الحياة. ومع أن قلبه كان مكلومًا الا أنه اخذ في انعاش قلوب أتباع رئيسه المحبوب المحزونين وتقويتهم كما دعاهم جميعًا للاجتماع به لتجديد حماسهم.

سألهم قائلاً: «ماذا كانت أعز رغبات رئيسنا الراحل وآخر وصاياه؟» فاستخرج ما يلي من الاعترافات من بين شفاههم المتمنّعة، أولاً ان السيد كاظم امرهم تكرارا مؤكدا عليهم ترك منازلهم والتشتت في كل مكان بحثًا عن الموعود الذي كثيرًا ما أشار الى مجيئه. ثانيًا ان مقصود بحثهم يعيش الآن بينهم وأن حقيقته لا تكشف الا للباحث الذي يثابر الى النهاية. ثالثًا أنه لا شيء مطلقا يقودهم اليه غير الاقدام والتضرع، وخلوص النية، ووحدة الهدف والسعي المتواصل.

قالوا : «نحن نعترف بفشلنا».

سألهم الملا حسين «فلماذا اخترتم البقاء في كربلاء؟ لماذا لم تتفرقوا ولم تقوموا على تنفيذ رغبة السيد كاظم الجدية؟».

فأجابوه على توسله بردود ضعيفة تنم عن التهرّب.

قال أحدهم : «أعداؤنا كثيرون وأقوياء. فعلينا ان نبقى في هذه البلدة ونحمي شرف السيد كاظم».

وبيّن آخر: «يجب عليّ أن أبقى لارعى أولاد السيد كاظم وعائلته الذين تركهم خلفه».

ولكنهم وافقوا جميعًا على رئاسة الملاحسين قائلين : «ان ثقتنا فيك بدرجة اذا ادعيت أنك الموعود فنحن جميعًا على استعداد أن نذعن لك وبدون سؤال».

صعق الملا حسين وصاح : «معاذ الله أن أقارن به، ما أنا الا غبار بالنسبة اليه».

أدرك الملا حسين عدم جدوى جهوده فكف عن الحديث معهم. تركهم ووضع خطة للشروع في البحث عن المحبوب الإلهي[٢].

استعد الملا حسين لبحثه بالاعتزال وقضاء اربعين يومًا في عزلة وتعبُّد. قطعت عزلته بوصول الملا علي بصورة غير منتظرة مع اثني عشر آخرين من اتباع السيد كاظم. كانت كلمات الملا حسين قد اثارتهم فعزموا على نهج منواله والشروع ببحثهم ايضًا. وفي عدة مناسبات اقترب الملا علي من الملا حسين ليسأله عن الجهة التي يقصدها وعن نهاية مطافه. وفي كل مرة دنا منه وجده مستغرقًا استغراقًا عميقًا في العبادة وشعر اذ ذاك انه ليس من اللائق ان يتجاسر على السؤال. فعزم ان يحذو حذوه بالاعتزال عن الناس واعداد قلبه للبحث وقد تبعه في ذلك بقية رفاقه.

وبمجرد انقضاء الاربعين يومًا، ترك الملا حسين كربلاء عازمًا ان لا يتوقف عن بحثه حتى يكون في محضر من يبحث عنه. تحركت وعود السيد كاظم في خاطره، أعاد في ذاكرته نبوءات كثيرة مرة بعد اخرى.

«ان في سنة الستين (١٢٦٠ هـ = ١٨٤٤م) يظهر امره ويعلوه ذكره».

«في اسمه يسبق اسم الولي (علي) اسم النبي (محمد)».

«في سنة ١٢٦٠ هـ تغرس شجرة الهداية الالهية».

«سوف يكون وزراء وانصار دينه من العجم».

الآن وقد حلت سنة الستين، توجه الملا حسين فورًا الى فارس حيث شعر بان بحثه يجب أن يبدأ منها. قاده حافز داخلي الى بوشهر الواقعة على الخليج الفارسي. وبينما كان

يسير في شوارعها شعر بهاتف يخبره بأن هذه المدينة قد وطأتها اقدام محبوبه. قال الملا حسين انه استطاع ان يحس بحلاوة روائح قداسته من بوشهر. لم يمكث في بوشهر لان شيئا ما كإبرة البوصلة اداره نحو الشمال: فتوجه توًا الى مدينة شيراز مشيًا على الاقدام.

وعندما وصل الى باب المدينة أمر أخاه وابن أخيه اللذين رافقاه ان يذهبا الى المسجد وينتظرا عودته.

وقال: «ان شيئًا ما يجذب قلبي الى داخل المدينة، ولكن سوف ألقاكما لصلاة المغرب».

وقبل الغروب ببضع ساعات، لمح الملا حسين فتًى وضّاح المحيا. تقدم الشاب نحو الملا حسين وحياه بابتسامة ترحيب ودية. وعانقه بمحبة وحنو كما لو كان صديقًا حميمًا مدى العمر. ظن الملا حسين في بادئ الأمر ان الشاب هو أحد اتباع السيد كاظم سمع باقترابه من شيراز فخرج للترحيب به. ويستعيد الملا حسين ذكرى تلك الليلة التي لا تنسى كما يلي:

«دعاني بحرارة لزيارة منزله لاستريح من وعثاء رحلتي. فسألته المعذرة قائـلاً ان رفيقيّ ينتظران عودتي. فكانت اجابته: «اتركهما لحراسة الله. فهو لا شك سيحفظهما ويرعاهما».

«وبعد ان نطق بهذه الكلمات، التفت وأمرني ان اتبعه. تأثرت تأثُّرًا عميقًا من الأسلوب اللطيف والمهيمن الذي خاطبني به ذلك الشاب. فان مشيته وسحر حديثه ووقار هيئته كل هذا زاد في تقدير اول انطباع لي عنه.

«وما هي الا فترة وجيزة حتى كنا واقفين امام باب منزل متواضع، وكانت كلماته عندما اجتاز عتبة الباب وأشار اليّ باتباعه: «ادخلوها بسلام آمنين». نفذت دعوته هذه التي وجهها بقوة وجلال الى روحي وحسبته فألاً حسنًا أن اخاطب بمثل هذه الكلمات وأنا واقف على عتبة اول منزل ادخله في شيراز. قلت في نفسي هلا مكنتني زيارتي لهذا البيت من الاقتراب الى موضوع بحثي؟

«اجتاح كياني شعور لا يوصف، وفي ساعة الصلاة ارحت قلبي من ثقل حمله بقولي: «يا إلهي لقد كدحت بكل روحي والى الآن لم أوفق الى رسولك الموعود. أشهد بأن وعدك الحق وانك لا تخلف الميعاد».

«كان ذلك بعد الغروب بساعة عندما بدأ مضيفي الشاب يحدثني: «من ذا الذي تعتبرونه رئيسًا لكم بعد السيد كاظم؟» أجبته: «حين جاء أجل السيد كاظم نصح كلاً

منا بترك بيوتنا والتشتت في أقاصي الأرض بحثًا عن الموعود المحبوب. ولهذا حضرت الى بلاد فارس وما زلت منشغلاً في بحثي».

«هل اعطاكم سيدكم علامات مفصلة لأوصاف الموعود المميزة؟»».

«عددت له جميع الأشياء التي أمرنا السيد كاظم بأن نبحث عنها في الموعود الإلهي المحبوب. سكت مضيفي برهة ثم فاجأني بهذه الكلمات التي قالها بصوت جهوري:

«انظر. هذه العلامات كلها ظاهرة فيّ!».

«ثم أخذ يبين بدقة كل واحدة من هذه العلامات على حدة وبرهن بالدليل القاطع على أن كل واحدة منها وجميعها فعلاً تنطبق على شخصه. فاندهشت اندهاشاً عظيماً وتأثرت تأثرًا عميقًا. وأبديت ملاحظة بأدب قائلاً ان الذي ننتظر مجيئه رجل ذو قدسية لا تفوقها قداسة أخرى، والأمر الذي سيظهره هو أمر ذو قوة هائلة».

«وما أن خرجت هذه الكلمات من بين شفتي حتى وجدت نفسي وقد استحوذ عليها الخوف والندم، بدرجة لم أتمكن من اخفائها أو تعليلها. وبّخت نفسي بشدة وعزمت على تغيير موقفي وتليين لهجتي. وعاهدت الله بأنه اذا أشار مضيفي مرة أخرى الى الموضوع، فسوف أجيب بكل خضوع وأقول: «اذا كنت راغبًا في اثبات صحة ادعائك فسوف تخلصني بكل تأكيد من القلق والحيرة اللذين يثقلان روحي، وسأكون مدينًا لك حقًّا بهذا الخلاص».

ان اسم مضيف الملا حسين هو علي محمد، قضى هذا الشاب عدة سنوات يعمل كتاجر لحساب خاله في مدينة بوشهر قبل حضوره للسكن مع خاله في شيراز. أية أفكار كانت تلك التي لا بد وأن تكون قد خطرت في بال الملا حسين وهو ينظر الى وجه مضيفه الجميل اذ في اسمه يسبق اسم الولي (علي) اسم النبي (محمد). اتى من فارس يعلن نفسه الآن في سنة الستين (١٨٤٤م). أليست هذه الأشياء كلها هي التي تنبأ بها السيد كاظم؟.

كان لدى الملا حسين مقياسان أمل أن يحكم بهما على صدق كل من يدّعي أنه ذلك الرسول العظيم. المقياس الأول رسالة صنفها بنفسه تختص بأصعب تعاليم الشيخ أحمد والسيد كاظم الباطنية، وكل من استطاع كشف غوامضها فعندئذ يختبر بتنزيل تفسير لسورة يوسف. يعيد الملا حسين الى ذاكرته القلق في تلك اللحظة بهذه الكلمات: وبينما كنت أفكر بهذه الأمور أشار مضيفي الممتاز مرة أخرى قائلاً:

«أنعم النظر... هل يمكن ان يكون الشخص الذي قصده السيد كاظم أحدًا غيري؟».

حينئذ وجدت نفسي مضطرًا أن أقدم اليه رسالتي، وسألته:

«هل تتفضل بأن تقرأ كتابي هذا وتلقي نظرة الى صفحاته بعين الرضا؟».

فتح الكتاب وألقى نظرة عابرة على بعض فقراته ثم أغلقه وأبتدأ يخاطبني. وفي خلال بضع دقائق كشف لي جميع أسراره وحلّ جميع معضلاته بقوة وجاذبية، كما أطلعني أيضا على بعض الحقائق التي لا يمكن الحصول عليها في كتابات الشيخ أحمد والسيد كاظم. بدت هذه التعاليم التي لم أسمعها قط من قبل مفعمة بقوة وحياة منعشة. ثم هتف قائلاً:

«قسما بالله، ينبغي في هذا اليوم لشعوب الأرض واممها في الشرق والغرب ان يسرعوا الى هذه العتبة. ينبغي لهم ان يقوموا بشوق ومن تلقاء أنفسهم كما قمت انت ويبحثوا بعزم ومثابرة عن محبوبهم الموعود.» ثم نظر اليّ وابتسم وقال:

«الآن حان وقت إنزال تفسير سورة يوسف».

حدث ذلك تمامًا كما سبق وأخبر به السيد كاظم الملا حسين حيث وعده بأن «المحبوب في تلك الساعة سوف ينزل تفسيرًا لقصة يوسف دون أن يسأل».

تناول الباب قلمهُ وبسرعة تكاد لا تُصدق، أنزل الفصل الأول بأكمله من تفسيره لسورة يوسف. وتنبأ في هذا الكتاب عن استشهاده. زادت رخامة صوته الذي صاحب الكتابة من تأثير اسلوبه المهيمن الذي كان يكتب به. لم يقطع لحظة واحدة تدفق الآيات الجارية من قلمه. ولم يتوقف ولو مرة واحدة حتى أتمه.

كتب المؤرخ الكونت دي جوبينو (Comte de Gobineau) أن الشيء الذي لا يكلّ المرء عن الاعجاب به هو الأسلوب العربي الفصيح الجميل الذي استعمل في تلك الكتابات التي سرعان ما استحوذت على معجبين متحمسين [٣]...

قال الملا حسين: «جلست مأخوذًا بسحر صوته وقوة بيانه الجارفة. وأخيرًا نهضت دون رغبة مني واستأذنته بالانصراف فأمرني مبتسمًا بالجلوس وقال:

«اذا انصرفت على هذه الحال فان كل من يراك لا بد ان يقول إن هذا الشاب المسكين قد فقد رشده».

كانت الساعة آنذاك تشير الى الثانية والدقيقة الحادية عشرة بعد الغروب عشية يوم ٢٣ مايو عام ١٨٤٤م. (٥ جمادي الأول – ١٢٦٠ هـ) وقال الباب للملا حسين: «ان

هذه الليلة وهذه الساعة بعينها سوف يحتفل بها في الأيام الآتية كعيد من أعظم الأعياد وأهمها »[٤].

تكلم يسوع عن رسالته في أول الأمر الى صيادي سمك بسطاء والآن اظهر موعود هذا العصر رسالته لأول مرة الى طالب فارسي متواضع هو الملا حسين. لم يسبق في تاريخ أي دين ان حفظ شاهد عيان بمثل هذه الدقة ما دار من حديث في مثل هذا الاجتماع الذي لا ينسى. الاّ ان الملا حسين قد ترك بلغة خالدة ذكرى ذلك الاعلان الأول من علي محمد الباب. لم يستطع الملا حسين أن ينسى أبدًا ما شعر به من اطمئنان وهدوء داخلي في محضر الباب المحيي للأرواح. وكثيرًا ما تحدث الى رفاقه عن تلك الليلة البديعة قائلاً:

«جلست مأخوذًا من بيانه. وكأني كنت أتذوق جميع مباهج الفردوس في تلك الليلة. بدا لي أنني كنت في مكان أستطيع أن أقول عنه حقًّا «لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب»[٥] «لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا الا قيلا سلامًا سلامًا»[٦]. وقد فارق النوم الملا حسين وهو يستمع لموسيقى صوت محبوبه يخاطبه:

«يا أول من آمن بي. اني أنا الباب، باب الله».

أنعم الباب على الملا حسين، أول من آمن به، بلقب «باب الباب»، وفي تلك الساعة أعلن الباب أنه هو الذي سبق وأخبرت به جميع الكتب السماوية السابقة. وقال انه جاء لكي يعلن عن مقدم عصر جديد، وربيع إلهي منعش لقلوب الناس. وان تعاليمه تفتح بابًا لعصر جديد من الوحدة، يعترف فيه الناس بإله واحد، ويتعبدون في دين واحد، هو الدين نفسه الذي كان أنبياء الله ينشرونه منذ البداية. وسيكون هذا عصرًا يعيش فيه الناس جميعًا كأخوة.

حذر الباب الملا حسين أن لا يخبر رفقاءه أو أي شخص آخر بما سمع ورأى. وقال لا بدّ وأن يقوم أولاً ثمانية عشر نفسًا من تلقاء أنفسهم بالبحث عنه والاقرار به والاعتراف بأحقية رسالته، وعندما يتم عددهم سيرسلهم لتبليغ كلمة الله.

انتهى بحث الملا حسين الطويل. وان كلماته هي خير ما يصف عمق تلك التجربة الفريدة اذ قال: «لقد صرت مبهورًا من بهاء هذه الرسالة الجديدة. وغمرتني قوتها الساحقة. غلب على مشاعري احساس بالغبطة والقوة اللتين بدتا وكأنهما قد بدّلتا كياني. فكم كنت أشعر سابقًا بالضعف والعجز والكآبة والجبن، وما كنت أقوى على الكتابة أو المشي لشدّة ارتعاش يديّ وقدميّ ولكن بعد معرفتي أمره تكهرب وجودي وأحسست بأني أملك قوة وشجاعة بحيث لو قام عليّ العالم بجميع شعوبه وحكامه لقاومت هجومهم

وحدي ودون وجل. بدا الكون وكأنه حفنة من التراب في قبضتي. وكأن صوت جبرائيل قد تجسد فيّ وهو ينادي العالم أجمع قائلاً: «استيقظوا. هوذا نور الصباح قد انبلج قوموا فقد ظهر أمره وباب فضله مفتوح على مصراعيه فادخلوه يا شعوب الأرض اذ ان موعودكم المنتظر قد أتى».

وعلى هذا الحال تركت منزله والتحقت بأخي وابن أخي. كانت كلمات الباب هذه ترنّ بلحنها البهيج في قلبي: «اشكر الله الذي أعانك بفضله في الوصول الى مرغوب قلبك».

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٢٢–٢٣
٢. المصدر السابق، الصفحة ٤٧–٦١
٣. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ١٢٠
٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٦١
٥. القرآن الكريم، سورة فاطر الآية ٣٥
٦. القرآن الكريم، سورة الواقعة الآية ٢٥–٢٦

الفصل الثالث **الوعد يتحقّق**

كان الملا حسين أميناً لتعليمات الباب. فلم يخبر أحدًا باكتشافه، حتى الى ذلك العدد الكبير من أتباع الشيخ احمد الذين سرعان ما التفوا حوله. لقد شاهدوا روحًا جديدة في خطاب الملا حسين وتعجبوا منها غير مدركين أن مصدر علمه وقوته كان يفيض من الباب الذي كانوا جميعًا ينتظرون مجيئه بشغف زائد.

يصرّح الملا حسين قائلاً: «كنت أستدعى في عدة مناسبات خلال تلك الأيام لزيارة الباب. وفي كل مرة أزوره فيها أبقى مستيقظًا في محضره حتى الفجر، جالسًا عند قدميه، مفتونًا من سحر بيانه، ناسيًا الدنيا ومشاغلها. كم كانت تمر تلك السويعات الثمينة مسرعة. وأنسحب من محضره في كل فجر بالرغم مني. وكم كنت أتطلع بشوق في تلك الأيام الى اقتراب المساء، وبأي مشاعر حزن وأسف أشاهد انبلاج الفجر. وفي احدى تلك الزيارات الليلية خاطبني الباب بهذه الكلمات:

– «سوف يحضر غدًا ثلاثة عشر من رفقائك، أَسبغ على كل واحد منهم منتهى العطف الودي. وادع الله أن يمكنهم بفضله من السير بأمان على ذلك الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف»[1].

أخبر الباب الملا حسين، بأن بعضًا من هؤلاء الرفاق سوف يصبحون من حواريه المختارين، وآخرين سيسلكون طريقًا لا حماس فيها ولا فتور وبينما يبقى آخرون دون الاعلان عن أنفسهم حتى ذلك اليوم الذي يظهر فيه ذلك الذي لم يكن الباب الاّ مبشرًا له.

وفي صباح اليوم التالي وصل الى شيراز الملا علي (البسطامي) صديق الملا حسين

الحميم، وبصحبته اثنا عشر مرافقًا. لاحظ الملا علي على الفور التغير العظيم الذي حدث للملا حسين ودهش للاطمئنان المشع من وجهه وشكّ في الأمر.

قال الملا علي متسائلاً: «ما بالنا نراك تعلم الناس بكل هدوء ولم تعد تبحث وقد اختفى من وجهك الاضطراب والترقب؟ ألتمسك ان تهبني نصيبًا مما وجدت، فهو وحده الذي يطفئ ظمأي ويسكن لوعة الشوق في قلبي».

أبى الملا حسين والتمس من الملا علي قائلاً: «لا تتوسل اليّ لكي أهبك هذا الفضل. ضع ثقتك في الله فهو لا شك سيسدد خطاك».

كان الفرح المشرق من وجه الملا حسين عظيمًا بدرجة لم يعد معها الملا علي قادرًا ان يحرم من هذا السر. وسعى يائسًا في رفع الحجاب الذي يحول بينه وبين المحبوب وذلك بالصلاة والصوم. وفي الليلة الثالثة لخلوته بينما كان مستغرقًا في مناجاة عميقة، رأى الملا علي رؤيا. فقد لاح أمام عينيه نور، واذا بالنور يسير أمامه، فتبعه وهو مشدوه من جماله العديم المثال حتى قاده أخيرا الى باب بيت معين. عرف فورًا أن الكنز موجود في الداخل واستيقظ وهو في حالة من السرور عظيمة.

ومع أن الليل كان قد انتصف فانه أسرع الى الملا حسين ووجهه يشع سعادة. وألقى بنفسه بين ذراعي صديقه، فأدرك الملا حسين على التو أن الملا علي قد علم أخيرًا بالحقيقة، وعرف أين يجد محبوبه.

عانق الملا علي بمحبة وقال: «الحمد لله الذي هدانا...».

وعند طلوع النهار أسرع الملا حسين الى منزل الباب يتبعه الملا علي. قابلهما عند المدخل الخادم الحبشي الذي كان الباب يحبّه كثيرًا، وقد عرفهما على الفور وحياهما بهذه الكلمات:

«استدعيت قبل تنفس الصبح الى محضر سيدي الذي أمرني أن أفتح باب المنزل وأقف منتظرًا عند عتبته وقال لي: «سيحضر في هذا الصباح المبكر ضيفان، رحب بهما ترحيبًا حارًا باسمي وقل لهما نيابة عني: أدخلا باسم الله».

اختلف اللقاء الأول للملا علي مع الباب عن اللقاء الأول للملا حسين اختلافًا كبيرًا. ففي الاجتماع السابق قدّم الباب براهين دعوته للملا حسين ليزنها ويدرسها، أمّا في هذا الاجتماع فقد وضع كل هذه المسائل جانبًا وسادت روح المحبة القوية والأخوة الحارة.

 وقال الملا علي: ان الحجرة ذاتها بدت وكأنها قد أحييت من بيانه، وكأن كل شيء

فيما يهتز بهذه الشهادة : «حقًّا ان فجر يوم جديد قد طلع وان الموعود قد تربع على عرش قلوب العالمين، وبيده كأس البقاء، طوبى للشاربين»[٢].

ان سبعة عشر نفسًا بحثوا، الواحد بعد الآخر، عن الباب، وقابلوه وآمنوا بتعاليمه.

كان بين هؤلاء الحواريين امرأة تدعى الطاهرة. آمنت بالباب دون المثول في محضره اذ رأته في عالم الرؤيا وأصبحت مؤمنة ثابتة ومبلغة جريئة وفي النهاية شهيدة.

وفي ذات ليلة بينما كان الباب يتحدث مع الملا حسين قال الباب :

«لقد انخرط حتى الآن سبعة عشر حرفا، تحت لواء دين الله... وفي مساء الغد يأتي الحرف الباقي ويكمل عدد تلاميذي المختارين».

وفي مساء اليوم التالي، بينما كان الباب عائدًا الى منزله يتبعه الملا حسين ظهر شاب عليه غبار السفر ويبدو متعبًا من طول رحلته. تقدم هذا الشاب واسمه القدوس من الملا حسين وعانقه وسأله اذا كان قد وصل الى مقصود قلبه. حاول الملا حسين تهدئته ونصحه بالراحة قليلاً وقال بأنه سيتحدث اليه فيما بعد. الا ان الشاب أبى ان يستريح، ونظر متجاوزًا الملا حسين الى شخص الباب الذي كان يبتعد في سيره ثم التفت الى الملا حسين وقال :

«لماذا تحاول أن تخفيه عني، انني أستطيع معرفته من مشيته وأشهد بأنه لا يستطيع احد غيره سواء في الشرق أو الغرب الادعاء بأنه الحق ولا يوجد غيره من يقدر على اظهار القدرة والجلال اللذين يشعان من شخصه المقدس».

دهش الملا حسين من هذه الكلمات والتمس منه أن يضبط مشاعره، ووعده بأن الحقيقة ستنكشف له بعد وقت قصير. تركه الملا حسين وأسرع ليلحق بالباب وأخبره بحديثه مع هذا الشاب. فقال له الباب :

«لا تعجب من هذا التصرف. فاننا كنّا نتخاطب مع هذا الشاب في عالم الأرواح، ونحن نعرفه من قبل. وكنا بالفعل في انتظاره. اذهب اليه وادعُهُ الى حضورنا فورًا».

تذكر الملا حسين على الفور النبوءة الخاصة بآخر الزمان وهي : «في اليوم الأخير يطوي رجال الغيب بأجنحة الروح فضاء العالم الوسيع ويحضرون أمام الموعود ويبتغون منه السر الذي يحلّ لهم معضلاتهم ويزيل متاعبهم»[٣].

والآن عندما آمن به التلميذ الثامن عشر المعروف بالقدوس خاطبهم الباب قائلاً :

«ارفعوا النداء قائلين : افيقوا افيقوا قد فتح باب الله وتنفّس الصبح وغطّى ضياؤه العالمين لقد جاء الموعود. مهدوا له الطريق يا أهل العالم»[٤].

وأعطى الباب الملا علي رسالة تطمين خاصة قائلاً :

«ليكن ايمانك راسخًا كالصخرة يقاوم كل عاصفة ويقوى على كل مصيبة. لا تدع استنكار الجهال يثنيك عن مقصدك. فأنت أول من يغادر بيت الله ويُقاسي لأجله. واذا قتلت في سبيله تذكر أن أجرك سيكون عظيمًا وجزاءك طيبًا».

وما ان صدرت هذه الكلمات حتى نهض الملا علي وخرج لتبليغ دعوة الباب. وكما سبق وحذره الباب فان الملا علي ما ان خرج من شيراز حتى لحقوا به وضربوه فكان اول من تعذب في سبيل الدعوة الجديدة.

وهو أيضًا أول من اتى بأخبار الباب الى الطاهرة. وفي النجف قبض عليه بسبب اعلانه دعوة الباب بلا خوف. ثم قيد بالسلاسل وأخذ الى بغداد محكومًا عليه بالاعدام وهناك القي في السجن، وحوكم مرة ثانية، ثمّ سيق الى القسطنطينية مقيّدًا بالسلاسل والأغلال. يقول البعض انه توفي في الطريق. ويقـول آخرون انه استشهد بعد ذلك. ولا يعرف أحد ما حلّ بهذا البطل الإلهي في آخر الأمر[٥].

استدعى الباب جميع تلاميذه الآخرين الى محضره وأصدر لكل واحد منهم أمرًا خاصًا ومهمة خاصة. وخاطبهم جميعًا بهذه الكلمات الوداعية :

«يا أصحابي الأعزاء. أنتم حملة اسم الله في هذا اليوم... لتشهد أعضاء جسدكم على سموّ مقصدكم وطهارة حياتكم، وحقيقة ايمانكم ورفعة اخلاصكم... تأملوا في كلمات المسيح الموجهة الى تلاميذه حين ارسلهم لنشر أمر الله حيث قال : «أنتم كالنار الموقدة على قمة جبل وسط ظلام الليل، لتكن طهارة اخلاقكم ودرجة انقطاعكم على شأن قد يعرف ويتقرّب أهل الأرض بواسطتكم الى الأب السماوي مصدر الطهارة والفضل».

وفي رسالة وداعه لتلاميذه وجه الباب أنظارهم مرة أخرى الى الذي سوف يأتي من بعده سريعًا والذي لم يكن هو الاّ مبشرًا له، وأعاد كل واحد منهم الى اقليمه للتبليغ قائلاً لهم :

 «اني اعدكم لمجيء يوم عظيم. ابذلوا غاية الهمة حتى افرح انا الذي اعلمكم الآن

بأعمالكم وأتباعي بما تمّ على ايديكم امام كرسي رحمة الله. انتشروا في طول هذه الأرض وعرضها وأعدوا بأقدام ثابتة وقلوب طاهرة الطريق لمجيئه.

«لا تنظروا الى ضعفكم وعجزكم بل ثبّتوا انظاركم الى قوّة الله القاهرة القادرة».

«قوموا باسمه وتوكلوا عليه وايقنوا بالنصر النهائي».

بمثل هذه الكلمات انعش الباب ايمان تلاميذه ودفعهم للشروع بمهمتهم[٦].

---

١. نبيل زرندي -- مطالع الأنوار ؛ الصفحة ٦٥-٦٦

٢. المصدر السابق ؛ الصفحة ٦٧-٦٩

٣. المصدر السابق ؛ الصفحة ٧٠

٤. المصدر السابق ؛ الصفحة ٨٥

٥. المصدر السابق ؛ الصفحة ٨٧-٩١ هامش الصفحة ٨٢

٦. المصدر السابق ؛ الصفحة ٩٢-٩٤

الفصل الرابع **الحج واعلان الدعوة**

وفي صباح ذات يوم بعد هذا بقليل غادر معظم تلاميذ الباب شيراز في ساعة الفجر للقيام بمهام التبليغ التي أوكلها الباب اليهم. وبقي معه: الملا حسين أول تلاميذه، والقدوس آخرهم. فكشف لهما الباب عن عزمه على الذهاب الى مكة.

وكما كان عيسى قد سافر الى اورشليم معقل اليهود للاعلان عن رسالته، كذلك خطط الباب للذهاب الى مكة قلب العالم الاسلامي.

وعندما حانت ساعة رحيله دعا اليه الملا حسين وأخبره بأنه سيزور مكة والمدينة وهناك يُتمّ الرسالة التي عهد الله بها اليه، وقد اختار القدوس للذهاب معه وأبقى الملا حسين لمواجهة هجوم عدو شرس قاس. وأكد له، أنه لا توجد قوة على الأرض تستطيع أن تؤذيه حتى ينتهي من اتمام عمله. وقال:

«من أحبك، أحب الله ومن صادقك، صادق الله. ومن أنكرك، أنكر الله. وسوف تحيط بك يد القدرة الآلهية وتسدد خطاك».[1]

غادر الباب وبصحبة القدوس الى بوشهر الواقعة على الخليج الفارسي وهناك ركبا سفينة شراعية. وبعد شهرين من السير في بحر هائج رست بهما السفينة على ساحل البلاد العربية.

دوّن أحد المسافرين في هذه الرحلة ما يلي:

«كلما وقعت عيني على الباب أو القدوس من يوم اقلاعنا من بوشهر والى ان نزلنا الى البر كنت اجدهما منهمكين معًا في عملهما: الباب يُملي والقدوس يُدوِّن كلَّ ما يخرج من شفتيه. فلا العواصف الهائجة من حولهما، ولا دوار البحر الذي أصاب المسافرين الآخرين استطاعا أن يشوشا على وقارهما، أو يعوقا عملهما».[2]

دخل الباب مكة راكبًا جملاً كما دخل المسيح اورشليم راكبًا حمارًا. رفض القدوس أن يركب بجواره خلال رحلتهما البرية، وقال انه فضل مرافقته مشيًا على الأقدام ممسكًا بمقود الجمل، كان القدوس يقوم في كل ليلة حارسًا على محبوبه من الغروب الى الفجر.

وفي ذات يوم أثناء زيارته الى مكة اقترب الباب من رجل يُدعى محيط وعرف الباب أنه أحد أتباع الشيخ احمد المرموقين، وعلم بأنه لو كان محيط وفيًا لارشادات سيده، فلا بد وأن يكون قائمًا الآن بالبحث عن الموعود بحماس. خاطبه الباب قائلاً:

«يا محيط. انظر اننا الآن واقفان بجوار هذا الحرم الأقدس... فمن تسكن روحه في هذا المكان ليستطيع أن يجعل الحق يتميز عن الباطل؟... اني أعلن انه لا يوجد غيري في هذا اليوم سواء في الشرق أو الغرب من يقدر أن يدعي أنه الباب الذي يوصل الناس الى معرفة الله؟... اسألني ما تشاء، وأنا الآن وفي هذه اللحظة أتعهد أن أنزل من الآيات ما يدلّل على صدق رسالتي».

خارت قوى محيط من صدمة هذا التحدي المفاجئ المباشر غير المنتظر فاشتدت رغبته في الرحيل ودون أن يتطلع الى الباب قال:

«... ينتظرون وصولي في المدينة فورًا» وفرّ في ذعر من أمام وجهه، وهرع الى خارج الحرم غير قادر على المكوث في محضره[٣].

لم يجد الباب من يُصغي اليه. فقد كان القوم غير مكترثين، معادين أو خائفين. وكمحاولة أخيرة لايقاظ الناس في هذه المدينة الاسلامية المقدسة، كتب الى شريف مكة رسالة آملاً أن يصل عن طريقه الى قلوب الناس. وشرح في هذه الرسالة بوضوح ودون لبس، المعالمَ المميزة لرسالته ودعاه للقيام واعتناق دعوته. ولكن الشريف لم يكلف نفسه عناء تلاوة الرسالة، أو مشاركة أصحابه لمحتوياتها، فقد كانوا جميعًا منشغلين في شؤونهم الخاصة بدرجة لم يقدروا معها على الاستجابة الى نداء الباب.

إعترف الشريف فيما بعد بعدم اكتراثه قائلاً: «أتذكر أن شابًا حضر لرؤيتي عام ١٨٤٤م، وسلمني كتابًا، ولكنني كنت مشغولاً للغاية في ذلك الوقت فلم اطالعه. وبعد بضعة أيام التقيت به مرة أخرى. وسألني اذا كان لديّ أي ردّ على رسالته. ولما كان ضغط العمل قد حال بيني وبين تلاوة محتويات ذلك الكتاب، فقد أخبرته بعدم وجود جواب لدي أعطيه»[٤].

لقد عومل الباب كما عومل المسيح بالسخرية والازدراء. وحدث تمامًا كما وقع في تلك الأيام عندما اتهم المسيح زعماء عصره قائلاً:

«ويلٌ لكم... أنتم ما دخلتم والداخلون منعتموهم»[٥].

لم يفهم الناس كلام الباب، سواء تكلّم بصراحة أو بأمثال. وكتب المؤرخ نيقولاس أن الباب طوال مدة دعوته كان عليه أن يتصرف «كما يتصرف الطبيب مع الأطفال، اذ عليه أن يخفي الدواء المرّ بغلاف حلو لكي يكسب ودّ مرضاه الصغار. فالقوم الذي ظهر الباب في وسطهم كانوا ويا للأسف وما زالوا أشدّ تعصُّبًا مما كان عليه اليهود في زمان المسيح... لهذا، واذا رأى المسيح أنه من اللازم استعمال الأمثال بالرغم من الهدوء النسبي للمحيط الذي كان يُبشّر فيه، فان الباب كان مضطرًا أن يسكب تعاليمه قطرة فقطرة من مصفاة حقائقه الالهية. فهو يربي ابنه، الانسانية، يرشدهُ، ويسعى في عدم اخافته، ويوجّه أولى خطاه في طريق يقوده ببطء، ولكن بثبات، فاذا ما استطاع السير بمفرده وصل الى الهدف المقدر له منذ الأزل»[٦].

وقبل ان يغادر الباب مكة والمدينة تضرع الى الله بأن يعجّل ساعة استشهاده، ولعلّ الناس بهذا القربان يدركون الحقيقة. وقال:

«ستكون قطرات هذا الدم المكرّس بذرًا تنبت منه الشجرة الالهية العظيمة، الشجرة التي سوف تجمع تحت ظلها الظليل شعوب الأرض وأهلها... اذًا لا تحزنوا اذا رحلت عن هذه الأرض لأنّي مُسرع لاتمام ما قضى لي»[٧].

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٩٦
٢. المصدر السابق، الصفحة ١٢٩–١٣٠
٣. المصدر السابق، الصفحة ١٣٦–١٣٧
٤. المصدر السابق، الصفحة ١٣٨
٥. انجيل القديس لوقا، الفصل الحادي عشر، الآية ٥٢
٦. مسيو نيقولاس – مقدمة البيان الفارسي، الصفحة ٣–٥
٧. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ١٤٠–١٤١

الفصل الخامس **بدء الاضطهاد**

عاد الباب مع القدوس الى بوشهر. وبعد مضي وقت قصير أرسله الباب الى شيراز لينقل تحياته وتعليماته الى عائلته والمؤمنين هناك كما أرسل معه بعضًا من كتبه وآثاره (كتاباته) ليشاركهم بها. وبمنتهى اللطف ودّع القدوس قائلاً:

«إنّ أيام مرافقتك لي قد قاربت على الانتهاء... لم يكن من نصيبك في عالم التراب هذا سوى أشهر معدودات انقضت مسرعة. كنت خلالها مصاحبًا لي... ولن يمضي وقت طويل حتى تغمسك يد القضاء في بحر من البلاء... ففي شوارع شيراز ستنهال عليك الاهانات ويصيب جسدك أشد أنواع الأذى. ولكنك ستعيش... وستمثل بين يدي من هو مقصود محبتنا... ذلك الشخص العظيم الذي سوف يأتي»[1].

وصل القدوس الى شيراز بعد وقت قصير، وبدأ يتحدث في كل مكان عن الأيام الرائعة التي قضاها بصحبة الباب فأثار المدينة بأجمعها بكلماته الملهمة. تصاحب مع رجل طاعن في السن يدعى الملا صادق. وأعطاه القدوس نسخة من إحدى كتابات الباب. نوّه الباب مرّة أخرى بهذا الكتاب، تمامًا كما وعد من قبل الشيخ أحمد والسيد كاظم الى أنه سيكون في هذا اليوم رسولان الهيان بينهما فترة قصيرة من الزمن. وما هو الا مبشّرًا وعبدًا لذلك الظهور الأعظم الذي سوف يأتي.

إنّ الحماس الذي قوبل به تبليغ القدوس والملا صادق أفزع المدينة. فتدفقت ألوف الاحتجاجات على مكتب الحاكم حسين خان، تقول بانّ القدوس يدّعي بأن الباب صاحب شريعة جديدة، وأنه كتب كتابًا بوحي الهي. والآن اعتنق الملا صادق هذا الدين وهو يدعو الناس بلا وجل لقبوله أيضًا.

أمر الحاكم بالقبض على كل من القدوس والملا صادق. فأُحضرا اليه مكبلين بالحديد. وقدم اليه التفسير الذي كتبه الباب للملا حسين في الليلة التي أعلن فيها رسالته، وقد ضبط التفسير من الملاّ صادق. تجاهل حسين خان القدوس لصغر سنه ووجه اسئلة الى الملا صادق الذي كان أكبر سنًّا، وبغضب خبط على تفسير الباب الذي كان ممسكًا به مبديًا عدم رضائه عنه. وقال للملا صادق: «أخبرني، اذا كنت مدركًا للكلمات التي استهلّ بها هذا الكتاب (قيوم الاسماء)، أتعرف أن الباب يخاطب حكام وملوك العالم بعبارات فظة؟ انه يقول: «أعزلوا أنفسكم عن الملك فقد ظهر الملك بالحق. الملك لله»».

واشتد غضب الحاكم وهو يقول: «هل هذا يعني أنه يتحتم على مليكي الشاه، الذي أمثله بصفتي أكبر موظف في هذا الاقليم ان يتنازل عن تاجه بسبب هذيان هذا الشاب الأمي؟ وهل هذا يعني أيضًا، أن أتنحى أنا الحاكم عن مركزي؟».

أجابه الملا صادق دون تردد قائلاً أنه اذا كانت الكلمات التي نطق بها الباب حقًّا، وأنه فعلاً رسول من عند الله، اذًا كلّ شيء آخر يحدث في العالم لا أهمية له. فالممالك والعصور تمضي الى التراب ولكن كلمة الله تظل باقية.

استاء حسين خان من هذا الجواب فلعن الملا صادق والقدوس، وأمر أعوانه بتجريد الملا صادق من ملابسه ويجلده الف جلدة. ثم أمر بحرق لحيتهما، وبخزم أنفيهما، وبتمرير حبل في هذه الفتحة. وقال: «فليساقا في شوارع المدينة بهذا الرسن، وسيكون هذا عبرة لأهل شيراز، وليعلم كل فرد يفكر في اعتناق هذا الدين ماذا سيكون عقاب مثل هذا العمل؟».

كان الملا صادق طاعنًا في السن بدرجة علم أنه لا يمكنه البقاء حيًّا بعد مثل هذا التعذيب. ومع ذلك كان هادئًا ومتمالكًا نفسه. رفع عينيه الى السماء وأدّى دعاءه الأخير قائلاً:

«ربنا إنّنا سمعنا مناديًا ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفّنا مع الأبرار».

ادلى شاهد عيان حضر تعذيب الملا صادق بالشهادة الآتية. «كنت حاضرًا عندما كان الملا صادق يجلد وشاهدتهم يضربونه بالسوط على كتفيه الداميتين حتى خارت قواه. لم يكن أحد من المشاهدين يعتقد أنه يستطيع تحمل أكثر من خمسين جلدة من تلك الضربات الوحشية دون أن يموت فقد كان طاعنًا بالسن، وأدهشتنا شجاعته. ومع

ذلك ، فعندما تجاوزت الضربات التسعمائة جلدة كان وجهه لا يزال محتفظًا بوقاره الأصلي وبهدوء وعند طرده بعد ذلك من المدينة اقتربت منه وأنا معجبا به إعجابًا عظيمًا وسألته كيف استطاع تحمل هذا العقاب. فأجابني قائلاً :

«كانت الجلدات السبع الأولى مؤلمة للغاية ، أما بقية الجلدات فلم أُبالِ بها ، وكنت أتساءل عما اذا كانت الجلدات التي تلتها تنزل على جسدي حقًا ؟ فقد استحوذ عليّ شعورٌ من الفرح ، وكنت أحاول اخفاء مشاعري وضبط نفسي من الضحك» .

نظر الملا صادق الى شاهد العيان هذا وكأنه يحاول أن ينقل اليه حقيقة هامة كان يرى أنه يجب على الناس أجمعين معرفتها. وهي أن العذاب والألم والاضطهاد لا يمكن ان يحتملها اولئك الذين يعيشون بلا هدف في حياتهم ولا أمل في مستقبلهم. ولكن اذا حمل حب الله فعندئذ يصبح الألم متعة في هذا العالم ، والعذاب يصير وسيلة لتقربنا الى الله في العالم الآخر .

وقال له . «انني أدرك الآن كيف ان الله القادر على كل شيء يستطيع ان يغير في أقل من لمح البصر الألم بالراحة ، والحزن بالفرح. تعالت قدرته فوق تصورات خلقه الفانين» .

احتمل كل من الملا صادق والقدوس عذابهما بكل جلد. وكان هذا بالنسبة الى القدوس بداية لعذاب أشدّ آتٍ. وسيقا الى خارج شيراز مجهدين منهوكي القوى ينزفان دمًا. وعند باب المدينة أُنذرا بأنهما ان عادا كان مصيرهما الصلب.

كان الملا صادق والقدوس بين أوائل أتباع الباب الذين قاسوا الاضطهاد على أرض فارس[٢] .

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ١٤٢–١٤٣

٢. المصدر السابق ، الصفحة ١٤٤–١٤٨

الفصل السادس **القاء القبض المهذّب**

لم يشبع غضب الحسين خان بالعقاب الذي أنزله على القدوس وملا صادق فوجّه هجومه الآن نحو شخص الباب. أرسل حرّاسه من الخيالة الى بوشهر وأمرهم بالقبض عليه وباحضاره مكبلاً بالحديد الى شيراز ظانًا ان مشهد الباب على هذه الصورة سوف يخمد حماس الجماهير لدعوته.

سافر الحراس على الفور لالقاء القبض عليه. وبينما هم سائرون في البرية في الطريق الى بوشهر التقوا بشخص على صهوة حصانه. انه الباب الذي قدم لملاقاتهم وقد روى قائد الحرس بنفسه الحادث قائلاً:

«عندما اقتربنا منه حيّانا وسألنا عن وجهتنا، فأجبته بأن الحاكم حسين خان أمرنا بالذهاب الى بوشهر للقيام بتحرٍّ ما فأبدى ملاحظته وهو يبتسم قائلاً: «لقد أرسلكم الحاكم للقبض عليّ، ها أنذا، افعلوا بي ما شئتم». دهشت لملاحظته وصراحته وتحيّرت من استعداده لاخضاع نفسه الى حسين خان معرّضًا بذلك حياته وسلامته للخطر».

أُعجب قائد الحرس كثيرًا بالباب ولرغبته في ان لا يقع الباب في قبضة الحاكم تظاهر بعدم معرفته له وأمر رجاله بمتابعة السير.

واستطرد قائد الحرس قائلاً: «حاولت تجاهله وتأهبت للسير، ولكنه اقترب مني مرة أخرى وقال: «انّي اعرف بأنكم تبحثون عني. إني أفضل ان أسلمكم نفسي بدلاً من أن أُعرضك انت وزملاءك الى مضيقة لا ضرورة لها من أجلي».

توسل قائد الحرس الى الباب طالبًا إليه ان يفرّ من حسين خان وأخبره بالألم والعذاب الذي سببها الحاكم للملا صادق والقدوس وقال: «انه رجل غليظ القلب ولا أريد أن أكون اداة له لتعذيبك انت الانسان البريء، اهرب الى مشهد». فقال الباب:

«سلمني الى يدي سيدك ولا تخف، فلن يلومك أحد. والى أن تحين ساعتي الأخيرة لن يجرؤ أحد على مهاجمتي ولن يستطيع أحد إحباط خطة الله القدير. وعندما تحين ساعتي، فكم يكون سروري عظيمًا لشرب كأس الشهادة باسمه»[1].

أحنى رئيس الحرس رأسه نزولاً عند رغبة الباب، وقام على تحقيقها. أمر رجاله بالسماح للباب بأن يتقدمهم على حصانه وساروا على هذا الشكل الى أن وصلوا شيراز، وكأنهم حرس شرف له لا فرقة مكلفة بالقبض عليه.

التفت الناس في الشارع لينظروا اليهم ويتعجبوا من هذا المشهد. فهولاء الحرس الذين أُمروا باحضار الباب مكبلاً بالحديد، عادوا به، بدلاً عن ذلك، بكل مظاهر الجلال الذي لا يُسدى إلا للملوك.

وقد اهتاج حسين خان غيظًا، فوبّخ الباب علانية، وبلغة بذيئة استهجن تصرفه وسأله بوقاحة قائلاً:

«أتدري ايّ سوء أحدثت؟ ألست أنت الرجل الذي يدّعي بأنه صاحب شريعة جديدة؟».

لم تزد دماثةُ اخلاق الباب ورقّته الحاكمَ إلاّ غضبًا. وقد كتب المؤرخ نيقولاس ما يلي:

«نعلم ان الباب أوصى بصفة خاصة بالأدب واللطافة المتناهية في جميع العلاقات الاجتماعية وأمر قائلاً: «لا تُحزن أحدًا أيًّا كان ولأي سببٍ كان». وهو نفسه يقول: «... قد علمت المؤمنين في ديني أن لا يفرحوا لحزن أحد»[2].

ذكّر الباب حسين‌خان بلطف وحزم بأن واجبه كحاكم لإقليم فارس هو ان يقرر الحقيقة فيما يتعلق بشؤون مقاطعته وأن لا يتخّذ أية قرارات غير عادلة قبل ان يتبيّن بنفسه حقيقة الأمر.

اشعلت هذه الكلمات غضب الحاكم وردّ على أدب الباب بأن التفت الى خادمه وأمره بصفع الباب على وجهه. كانت اللطمة عنيفة بدرجة اطاحت بعمامة الباب من على رأسه. ثمّ أمر الحاكم الباب أن يبقى محتجزًا في منزل خاله الحاجّ مرزا سيد علي حتى يقرّر ماذا سيفعل به. وأوعز الى الخال بأن يكون مستعدًا لتسليم الباب فورًا الى مكتب الحاكم لإنزال العقاب به حالما يطلب منه ذلك.

 عاش الباب فترة من الزمان في هدوء نسبي، قابل خلال هذه الفترة اتباعه سرًّا في

منزل خاله. كان أحد هؤلاء الزائرين عالمًا معروفًا وواعظًا من أهالي قزوين يُدعى عبد الكريم. بدأ عبد الكريم حياته كتاجر، ولكن شغفه العظيم لمعرفة الله دفعته الى ترك تجارته وتكريس حياته للدراسة. ولشدة ظمئه للمعرفة تفوّق سريعًا على بقيّة أقرانه ورُقّي الى رتبة «مجتهد» وأُخبر بأنه لم يعد في حاجة لحضور حلقات الدراسة اذ أصبح الآن يعرف بقدر ما يعرف أذكى العلماء الدينيين، ولذا فهو يقدر الآن على تعليم الآخرين.

سبّب هذا لعبد الكريم قلقًا كبيرًا لإدراكه بأنه لا يعلم شيئًا. فاذا اعتبر انه من زمرة أحكم الناس، فمن ذا الذي يعرف حقًّا أي شيء عن المولى القدير؟

رفض عبد الكريم تعليم الآخرين اذ شعر في نفسه بعدم الاستحقاق. وكان ينزوي في حجرته ليلة بعد أُخرى ويلتمس الهداية من الله. وقد روى بنفسه عن إحدى تلك الليالي قائلاً: «كنت أظلّ مستغرقًا في أفكاري كل ليلة حتى الفجر دون طعام أو نوم. وكنت أناجي الله من حين الى آخر بقولي:

«تراني يا الهي وتشاهد بلائي وعمق اضطرابي عندما أرى التفرق الذي مزّق دينك. ما هو الحق؟ ألا تهديني وتخلصني من شكوكي؟ الى من أتوجه للمواساة والهداية؟» ثم بكيت بحرقة حتى وكأنني فقدت وعيي. وفجأة رأيت أمامي منظرَ حشدٍ كبير من الناس يتحدث إليهم شخص جليل يقول: «ان الذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا». سحرني وجهه فنهضت وتقدمت نحوه، وكنت على وشك ان ألقي بنفسي عند قدميه فاذا بالرؤية اختفت. فاض قلبي بالنور وكان سروري لا يوصف».

انطلق عبد الكريم فورًا متوجّهًا الى كربلاء. وهناك شاهد السيد كاظم. كان السيد واقفًا يخاطب حشدًا من الناس تمامًا كما رآه في منامه ينطق بنفس الكلمات. وقضى عبد الكريم فصل الشتاء بأكمله في صحبة وثيقة مع السيد كاظم الذي كان يتكلم بدون انقطاع عن الرسول القادم. وكان يصرح قائلاً: «الموعود يعيش في وسط هؤلاء القوم، وساعة ظهوره تقترب مسرعة. طهروا أنفسكم لعلكم تدركون جماله. قوموا بعد وفاتي وابحثوا ولا تستريحوا لحظة واحدة حتى تجدوه».

وفي اليوم الذي فارق فيه عبد الكريم السيد كاظم قال له: «أيقن يا عبد الكريم انك أحد هؤلاء الذين سيقومون على نصرة أمره في يوم ظهوره، آمل ان تذكرني في ذلك اليوم المبارك».

رجع عبد الكريم الى منزله في قزوين بانتظار ذلك اليوم الرائع. مضت بضع سنين

دون ظهور علامة الموعود المنتظر لكن قلب عبدالكريم كان مطمئنًا، ثم عاد إلى عمله كتاجر ولكنه كان في كل مساء يعود الى منزله وينزوي في هدوء غرفته يتضرع الى الله بكل قلبه قائلاً: «انك يا الهي قد وعدتني على لسان عبدك الملهم بأني سأبلغ محضر رسولك واستمع كلماتك... الى متى تمنعني عن وعدك؟» وفي كل ليلة كان يعيد دعاءه هذا ويستمر مستغرقًا في تضرعه حتى طلوع النهار.

روى عبد الكريم قائلاً: «في احدى الليالي كنت مستغرقًا مرة أخرى في الصلاة حتى اخذتني سنة من النوم، وعندئذ ظهر امامي طائر كالثلج في بياضه، فحام حول رأسي ثم حط على غصن شجرة بجانبي، وبنبرات عذبة لا توصف تكلم الطائر بهذه الكلمات: «هل تبحث عن الموعود يا عبد الكريم؟ تطلع الى سنة الستين». وطار فورًا واختفى. أقلقني سرّ هذه الكلمات كثيرًا، وعاشت في ذاكرتي، ذكرى ذلك الصوت في اليقظة والمنام. وعندما سمعت في سنة الستين عن شخصية بديعة في شيراز، اسرعت الى تلك المدينة.

وأخيرًا تشرفت بحضور الباب فنظر اليّ وبنفس صوت الطائر الأبيض الرخيم الحلو سألني: «هل تبحث عن الموعود يا عبدالكريم؟»».

انفجر عبد الكريم في البكاء، ورمى بنفسه عند قدمي الباب وهو في حالة من الانجذاب الروحي مما أدهش رفقاءه فأخذه الباب بمحبة بين ذراعيه وقبل جبينه ثم دعاه الى الجلوس بجواره. وبنغمة حنونة رقيقة نجح في تهدئة اضطراب قلبه[٣].

وبالرغم من مراقبة حسين خان للباب عن كثب، فان عددًا كبيرًا مثل هذه الشخصيات البارزة حضرت لزيارة الباب وأحدثت قصص ايمان النفوس كقصة عبدالكريم هيجانًا عظيمًا في شيراز فقد رضي المشاهير والوضعاء من الناس عن طيب خاطر بتحمل كل ما يلزم من خطر للفوز بمحضره، كما تقابلت جماعات الناس في الشوارع يناقشون أمره، بعضهم لائمًا وبعضهم مستحسنًا.

هاج حسين خان غضبًا لعجزه وعدم مقدرته في صد تيار شعبية الباب المتزايدة.

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ١٤٩–١٥٠

٢. مسيو نيقولاس – السيد علي محمّد، الباب، الصفحة ٢٠٣–٢٠٧، ٢٢٩–٢٣١
مسيو نيقولاس – ترجمة الدلائل السبعة، الصفحة ٦٤–٦٥

٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ١٦٢–١٦٨

الفصل السابع **افتتان رسول الملك**

حضر الملا حسين الى شيراز لزيارة الباب وعلى الفور ارتفعت ضده اصوات شديدة. وصرخ القوم الى المسؤولين قائلين: «لقد عاد الملا حسين إلى شيراز، وهو يدبر الآن مع سيده الباب هجومًا عنيفًا ضد مؤسساتنا القديمة العهد».

كان الموقف خطيرًا منذرًا ومهددًا بالخطر الى درجة ان الباب أمر الملا حسين بالعودة الى موطنه في مقاطعة خراسان، كما صرف باقي اصحابه عدا عبد الكريم الذي استبقاه لاستنساخ كتاباته.

انتشر تلاميذ الباب طول البلاد وعرضها يعلنون بلا خوف القوة الخلاّقة للشريعة الحديثة المولد. وسرعان ما انتشرت شهرة الباب خارج نطاق تلاميذه ووصلت الى أولي الأمر، فأحس هؤلاء بالخطر ازاء قبول الناس بكل حماس لدعوة الباب في كل مكان.

وتقرّر إحدى فقرات التاريخ ان أتباع الباب كانوا غيورين، شجعان مفتونين، ومستعدين لكل شيء... كل واحد من افرادها كان يرى نفسه غير ذي أهمية، ويتحرّق رغبة في التضحية بدم حياته وممتلكاته في سبيل دعوة الحق»[1]. اقتنعت الجهات المسؤولة بأن الأمر لم يعد شيئًا محليًا.

اخذ طوفان الاضطهاد نفسه الذي أحاط بعيسى يطبق الآن على الباب تدريجيًا. فالمقاومة المجتمعة للدين والدولة قد فجّرت ما دعاه المؤرخون بأفظع موجة من البغض والكراهية يمكن تصورها. وسرعان ما اصطبغت رمال بلاد فارس بنهر قرمزي من دماء الشهداء قدموه طوعًا وبسخاء.

نظم الرسميون ندوات عامة عظيمة في شيراز دعوا اليها الحاكم ورجال الدين ورؤساء الجيش وكذلك الشعب، آملين ان يشوّهوا بهذه الطريقة سمعة هذا النبي الشاب.

ومع ذلك تكلم الباب في تلك المناسبات بحقائق ثاقبة بدرجة زادت من جموع تابعيه يومًا بعد يوم زيادة عظيمة في العدد. أثّرت طهارة سلوكه وهو في سن تطغى فيه الأهواء، في كل من قابله من الناس. كان الباب يمتلك فصاحة وجرأة خارقة للعادة.

وكتب أحد مؤرخي تلك الأيام، الكونت دي جوبينو قائلاً: «منذ لقاءاته الأولى مع الجمهور ارسلوا اليه أقدر ملاواتهم (علماء دينهم) لمحاجّته وإرباكه... وبدلاً من ان يستفيد العلماء من ذلك، فانهم قد ساهموا قليلاً جدا في انتشار واعلاء شهرة هذا المعلم المتحمس على حسابهم الخاص»[٢].

كشف الباب بدون هوادة فجورهم وفسادهم، ودلّل كما فعل عيسى على عدم اخلاصهم لعقيدتهم الخاصة وخجّلهم من فحشاء معيشتهم وهزمهم بكتابهم المقدس الذي كان في متناوله.

أضاف جوبينو قائلاً بأن الباب كان ذا بساطة متناهية وأدب ولطافة أخّاذة أضف الى ذلك رونق عزّ شبابه وسحره العجيب. جذب حوله عددًا من الأفراد المهذبين تهذيبًا عميقًا... ولم يكن يفتح شفتيه «حسبما أكد من عرفوه» الا بما كان يحرك القلوب من أعماقها»[٣].

يقول السير فرانسيس يانج هزبند (Sir Francis Younghusband) في كتابه «اللمعان» (The Gleam) عن الباب بأنه «كان ذا طلعة بديعة رائعة. وكان الناس يتأثرون من علمه وفصاحته... فبمجرد اعتلائه المنبر كان الصمت يخيم على الجميع»[٤].

وتصرح وثيقة تاريخية أخرى «بأن السيد الشاب «الباب» كان باستقامة اخلاقه مثالاً لمن حوله. وكانوا يسمعون اليه بشوق عندما كان يستنكر المساوئ في جميع طبقات المجتمع، كانت كلماته تعاد وتشرح وكان الناس يقولون عنه انه المعلم الحقيقي وكانوا ينقادون اليه دون تحفظ»[٥].

لم تأتِ هذه الانطباعات عن الباب من اتباعه والمتعاطفين معه فحسب، فقد صرح الكونت دي جوبينو في كتابه تاريخ الأزمنة بانه «حتى المحمديين المتعصبين الذين حضروا الاجتماعات التي تحدث فيها الباب، احتفظوا بذكرى لا تمحى لهذه الاجتماعات، ولا يتذكرونها الا بشيء من الرعب. وقد اجمعوا على ان فصاحته لا مثيل لها ولا يقدر ان يتصورها احد ما لم يكن شاهد عيان»[٦].

سرعان ما انتشرت في أرض فارس بأجمعها الروايات عن الباب. ترامت الناس بشغف الى مزيد من الأخبار. وسادت البلاد موجة من الحماس. حضر هذه الاجتماعات

الشخصيات البارزة من رجال الدولة بأنفسهم ، أو انابوا عنهم اقدر ممثّليهم ليتحروا حقيقة الأمر .

وتقول « الجريدة الأسيوية » ، ان دين الباب كان له عدد كبير من الاتباع « من جميع طبقات المجتمع ، بينهم الكثير من ذوي الحيثيات ، وأكابر النبلاء ، ورجال الدين ، والجيش ، والتجار جميعًا قد اقبلوا دعوته »[٧] .

بدأ أصحاب السلطة بطرح اسئلة فاحصة وأخيرًا أصبح الملك نفسه مهتمًا بالأمر ، وقرر محمد شاه الملك تحري حقيقة الأمر وشعر بأنه يجب عليه معرفة ما اذا كانت التقارير الواردة اليه عن هذا الشاب المرموق صحيحة أم لا ، لذلك استدعى رئيس وزرائه وسأله :

« من يمكن الاعتماد عليه للقيام بهذا التحري؟

وبعد مشاورات عديدة اختار الملك ورئيس الوزراء شخصًا يثقان به أعظم ثقة وكان ملقبًا بوحيد[٨] .

عرف وحيد بأنه أفصح رجال الملك وأكثرهم علمًا وأبلغهم نفوذًا ، فإذا كان هناك من يستطيع اسكات الباب فهو وحيد الذي شهد لعلمه ورجاحة عقله أعظم زعماء فارس . لقد كان والده من أشهر العلماء الدينيين في ذلك الزمان ، وسار الابن على منوال والده ، بل فاق عليه ، وطبق صيته وشهرته الآفاق حيثُ اعتبروه أبرز الزعماء الروحيين في ايران وكان وحيد على الدوام المتحدث الرئيسي في أي اجتماع يحضره . وزيادة على ذلك كانت الحكومة كثيرًا ما تستشيره في الملمات لما لديه من حكمة .[٩]

كان وحيد في ذلك الوقت يعيش في طهران ضيف شرف على الملك لذلك اتجهت الأنظار فورًا اليه عندما فكر الملك في إرسال شخص أمين في هذه المأمورية الهامة . كان الملك مضطربًا كثيرًا ويرغب في معرفة ما ينطوي عليه قيام هذا الدين الجديد من مغزى سياسي . لذا اعطى وحيدًا تعليمات دقيقة وقال له :

« توجه فورًا الى شيراز وتقابل مع الباب ، وابحث في صحة هذه الروايات العجيبة التي نسمعها . وبعدئذ اطلعنا شخصيًا وبالتفصيل على ما تكتشفه » .

ولم يترفع رئيس الوزراء عن اغراء وحيد قبل سفره بقوله : « اذا استطعت فضح امره وكشف القناع عنه زاد ذلك كثيرًا في عظمة مركزك » .

امتطى وحيد الحصان الذي اعطاه الملك وتوجه فورًا الى شيراز . وفي الطريق استقرّ

رأيه على الأسئلة التي سوف يوجهها الى الباب ، وكان يرى انه بذلك سوف يختبر الى أبعد مدى معرفة الباب وان الأجوبة التي سيدلي بها سيتبين لوحيد صحة أو بطلان ادعائه بأنه رسول من عند الله.

عندما وصل وحيد الى شيراز قابل صديقًا حميمًا له يدعى عظيم. سأله قائلاً : «انت قابلت الباب ، ما رأيك فيه؟ هل انت مرتاح اليه؟ أدجّال هو ؟» .

فأجابه عظيم بقوله : «قابله أنت واتخذ قرارك بنفسك. ولكني كصديق لك أنصحك بأن تكون يقظًا وستأسف لأية فظاظة تظهرها نحوه» .

رتب وحيد لمقابلته مع الباب الذي رحب به بكل محبة. واستمر وحيد زهاء ساعتين في توجيه السؤآل تلو السؤآل الى الباب بلطف ، مشيرًا الى أشدّ آيات القرآن الكريم غموضًا وذكر باسهاب معضلات النبوءات والأحاديث التي يجب ان تتحقق بمجيء الموعود. كما تحدث طويلاً في موضوعات عويصة وغامضة تتصل بما وراء الطبيعة.

أصغى الباب بصبر الى اشارات وحيد العلمية المفصلة ملتفتًا بهدوء الى اسئلته. وفجأة شعر وحيد بالخجل من طول استعراضه وتباهيه بمعرفته وقد ذكر فيما بعد قائلاً :

«شرع الباب في الحديث بهدوء ، وأعطى أجوبة مختصرة ولكنها مقنعة لكل سؤال من اسئلتي. ومما أثار إعجابي ودهشتي ، إيجاز أجوبته ووضوحها. وتلاشي شعوري بعظمتي الشخصية ، وارتبكت من غطرستي وتفاخري وأحسست بالحقارة بحيث اسرعت في الاستئذان للانصراف قائلاً : في مقابلتي التالية سأعرض أسئلتي وأنهي تحقيقاتي إن شاء الله» .

انسحب وحيد ، وما ان ترك محضر الباب حتى أسرع الى منزل صديقه عظيم ، وأخبره بما حدث خلال مقابلته الأولى التي سببت له اذلالاً عميقًا.

أيقن وحيد بأن تحرياته لدعوة الباب سوف تنتهي في المقابلة الثانية. فلديه اسئلة واضحة في ذهنه وهي في هذه المرة مباشرة وفي الصميم. سوف يكون هو مهذبًا كما أشار عليه عظيم ، ولكن حازمًا.

بيد انه حينما دخل محضر الباب وبدأ يتكلم معه ، وجد وحيد نفسه يناقش أمورًا لا علاقة لها البتة ببحثه. فقد اختفت من ذاكرته جميع الاسئلة التي كان ينوي عرضها على الباب. ومما زاد في دهشته فيما بعد انه وجد الباب يجيب عن تلك الاسئلة المنسية ، وتحدث الباب بالايجاز والوضوح نفسهما اللذين أثار إعجابه من قبل.

علّق وحيد على ذلك فيما بعد بقوله : «بدوت وكأني في ذهول خلال القسم الأول من

المقابلة ، وعندما ادركت ما كان يقوله الباب ، وانه كان يجيب عن اسئلتي التي لم أسألها بعد ، أفقت بفزع . كنت مدهوشاً ، وبالرغم من انجذابي اليه ، ظل صوت يهمس الي : «الا يكون كل هذا مجرد صدفة عابرة؟» وأخذني الاضطراب بحيث لم استطع جمع شتات افكاري . فأبيت البقاء ، وللمرة الثانية التمست الأذن بالانصراف» .

عاد وحيد ثانية الى عظيم وأخبره بما حدث . فتحدث عظيم بصراحة الى وحيد أعلم علماء ايران ، قائلاً :

«ليت كانت المدارس ملغاة بالمرة وليت لم ندخلها انا وانت اذا كانت هذه العلوم المكتسبة بضيق عقولنا وغرورنا تمنعنا عن رحمة الله المخلّص وتسبب ألمًا لحامل رسالة الله» .

اعترف وحيد بأن غروره بعلمه كان بمثابة حجاب يحول بينه وبين الباب فتوسل اليه عظيم قائلاً :

«اذهب هذه المرة بخضوع وانقطاع عن كل ما تعلمته في الماضي ، لعله يريحك من شكوكك وحيرتك» .

دوّن وحيد هذه المقابلة الثالثة والأخيرة بالتفصيل ليس للملك ورئيس الوزراء فحسب ، بل الى الأجيال المقبلة أيضًا . يقول وحيد فيها : «صممت على ان لا أجهر في مقابلتي الثالثة بطلب برهان على دعوته ، وبدلاً عن ذلك اطلب اليه في قرارة نفسي ان يكتب تفسيرًا لسورة خاصة من القرآن الكريم كانت موضوع اهتمامي دائمًا . وقلت في نفسي : «إذا فعل هذا واذا كان اسلوب التفسير وصحته يميزانه عن المقاييس الدارجة بين الناس ، عندئذ اعترف بصدقه ، بل اعتنق دعوته ، ولكن اذا فشل استنكرته» .

«بمجرد أن دخلت في محضره ملكني شعور من الخوف لم استطع تعليله ، وأخذت اطرافي ترتجف حين نظرت إلى وجهه . كم من مناسبات كنت في حضور الملك دونما شعور بأدنى رهبة ، ولكنني الآن اخذتني الرهبة والرجفة بدرجة لم أتمالك ان أظلّ واقفًا على قدمي . شاهد الباب سوء حالي فقام من مقعده وتقدّم اليّ ، وأخذ بيدي وأجلسني بجانبه قائلاً :

«اطلب مني كل ما يرغبه قلبك فاني اظهره لك في الحال» .

«كنت عاجزًا وشعرت بعدم المقدرة على الكلام . نظر إليّ مبتسمًا وقال : «لو أنزلت لك تفسيرًا لسورة الكوثر ، هل تقرّ ان ما أنطق به وحيًا من عند الله؟ وهل تشهد أن ما اتفوّه به لا يمكن ربطه قط بالسحر والشعوذة؟» .

«وعندما سمعته يتكلم بهذه الكلمات انفجرت الدموع من عيني ، وكل ما استطعت ان اتفوه به هو «ربنـا انّـا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين».

طلب الباب احضار مقلمته وبعض الورق ، وشرع في انزال التفسير الذي تمنّاه وحيد في سره.

انزلت في هذه المناسبة ما لا يقلّ عن ألفي آية. فاقت روعة الآيات الفريدة من نوعها ومعانيها العميقة السرعة المدهشة التي كتبت بها [١٠]. ومما زاد في دهشة وحيد هو أن هذا الشرح الذي قدّمه الباب كان في الواقع ما توصل اليه هو بعد تأملات طويلة واعتقد بأنه هو وحده الذي توصّل الى هذا المعنى المستور ولم يُطلع عليه أحدًا[١١].

كتب وحيد معبرًا عن احساسه بالعجب من تلك المقابلة بقوله: «كيف اصف هذا المنظر من الجلال الذي فاق حدّ التعبير. كانت الآيات تتدفق من قلمه بسرعة مذهلة حقًا. لقد حيرتني واذهلتني سرعة كتابته التي لا تصدق ونعومة وعذوبة صوته، وقوة اسلوبه المدهشة. استمر على هذه الحال الى ما قبل الغروب ولم يتوقف حتى أتم التفسير بأكمله. وعندئذ وضع قلمه وطلب احضار الشاي وبعدها شرع في تلاوة التفسير بصوت جهوري. أخذ قلبي يخفق بشدة عندما سمعته يفيض، بنغمات حلوة تفوق الوصف، لهذه الكنوز المستورة في تلك السورة المقدسة».

«كنت مذهولاً بجمالها بحيث اشرفت على الاغماء ثلاث مرات وقد أنعش الباب قواي المنهارة برش ماء الورد على وجهي. وعندما اتم تلاوة التفسير نهض لينصرف».

كرّس وحيد ثلاثة أيام وثلاث ليالي مع عبدالكريم لاستنساخ هذا التفسير الذي أُنزل حديثًا. ودقّقا صحة النبوءات والأحاديث الواردة فيه ووجداها صحيحة تمامًا.

أجمل وحيد تقريره عن تحقيقاته مع الباب بقوله: «كانت درجة الايقان التي بلغتها على شأن لا يستطيع أي شيء زعزعة ثقتي بعظمة امره».

أنهى وحيد مهمته التي كلفه بها الملك بكتابة تقرير شخصي مفصّلاً تحرياته للباب، ولم يعد وحيد الى العاصمة، وبدأ يدعو الناس الى قبول دعوة الرسول الإلهي الجديد. كانت حماسته وغيرته الى درجة جعلت سائر العلماء يجزمون بأنه لا بدّ وأن يكون قد فقد صوابه فجأة.

وجاء في تاريخ ذلك الزمن أن وحيدًا «كتب دون خوف أو مبالاة تقريرًا مفصلاً عن مشاهداته الى ... كبير الأمناء في القصر لكي يرفعه الى الملك الراحل، في حين كان

وحيد يتنقل في أسفاره الى جميع أنحاء فارس ، يدعو الناس في كل بلدة ونقطة توقف فيها من فوق المنابر بأسلوب جعل بقية العلماء يجزمون بجنونه . واعتبروا حالته من حالات السحر الأكيدة »[12] .

عندما علم الملك بأن وحيدًا أجرى تحقيقه عن الباب ووجد ان دعوته هي الحق وآمن بها ، انزعج الملك انزعاجًا عظيمًا ، وتحدث الى رئيس وزرائه حديثًا سريًا قائلاً :

« بلغنا ان وحيدًا قد أصبح بابيًا . إنّ صحّ هذا فمن الحكمة ان نكف عن الاستخفاف بأمر هذا الشاب الشيرازي » .

شرع رئيس الوزراء على الفور في التهجم على وحيد ، لوقوعه تحت تأثير مشعوذ . ولكن الملك أصرّ على رفضه ان يسمع أية كلمة سوء عن هذه الشخصية العظيمة ووبخ رئيس الوزراء قائلاً :

« وحيد من سلالة شريفة وهو أيضًا رجل ذو علم واسع وفضيلة عظيمة » .

قام حسين خان أيضًا الذي استضاف وحيدًا في منزله خلال مقابلاته مع الباب ، بالتهجم علانية على وحيد فأرسل الملك اليه أيضًا أمرًا ملكيًا يقول :

« يمنع منعًا باتًا كل شخص من رعيتنا من التفوه بأي كلام من شأنه الحط من مقام وحيد العالي . فهو لا يصغي لأي أمر ما لم يوقن بأنه يؤول الى تقدم أفضل مصالح مملكتنا » .

هكذا انتهت قصة تحري الملك لأمر الباب . فوحيد المسلم به كأبرز زعماء فارس ، والذي اختاره الملك بنفسه رسولاً شخصيًا له قد اعتنق دعوة الباب وبدأ في نشرها بحيث حسين خان الحاكم تحدّاه بقوله :

« هل وقعت في فتنة الباب وتأثير سحره؟ » .

أجابه وحيد قائلاً :

« لا يستطيع أحد أن يأسر قلب وحيد ، سوى الله ، فهو وحده قادر على تبديل قلوب البشر . فمن استطاع ان يأسر قلبي فهو من عند الله وكلماته هي بلا شك صوت الحق »[13] .

لم يكن وحيد إلا واحدًا من كثيرين من الشخصيات الشهيرة الذين كانوا ينجذبون الى دين الباب . وقد حاول رئيس الوزراء ورجال القصر ان يبخسوا شأن هؤلاء المؤمنين الجدد في نظر الملك .

وفي ذات يوم بينما كان الشاه ممتطيًا صهوة جواده ، اذا برجل مسن يعبر الطريق امام الملك دون ان يبدو عليه أدنى ارتباك لوجود الملك ، اقترب الرجل منه وحياه ببشاشة. فسر الملك لأدب ذلك المسنّ ووقاره وسلوكه. فردّ له التحية ودعاه لزيارته في القصر. وقبل ان يعود الملك الى مقره شرع المقربون منه في الهمس اليه بقولهم:

«ألم تدرك جلالتك ان هذا الرجل الهرم ليس الاّ واحدًا من اتباع الباب المشهورين والمؤمنين حديثًا؟ انه أذاع ذلك بنفسه وأعلن ولاءه الدائم لأمر ذلك الشاب».

أدرك الملك انهم يحسدون ذلك العجوز ويغبطونه على ما أولاه من اهتمام. فاستاء منهم وفي الوقت نفسه تشوشت أفكاره من نميمتهم المتواصلة وصاح قائلاً:

«يا للعجب! كل من امتاز بعلمه وباستقامته وأدبه، وحسن سلوكه استنكره فورًا رجال حاشيتي على انه بابيّ؟ لماذا؟ ولم هذا؟»[١٤].

لم يعد حسين خان يستطيع ان يعبّر عن كراهيته لوحيد علنًا بسبب أوامر الملك، ولذا بدأ يقوّض بهدوء صداقة وحيد مع الملك بحيث ادّى هذا الغدر فيما بعد الى استشهاد وحيد في نيريز مسقط رأسه.

---

١. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ١٢٢
٢. المصدر السابق، الصفحة ١٢٠
٣. المصدر السابق، الصفحة ١١٨
٤. Sir Francis Younghusband, *The Gleam*, p. 194
٥. المجلة الآسيوية، ١٨٦٦، المجلد السابع، الصفحة ٣٤١
٦. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ١٢٠–١٢٢
٧. المجلة الآسيوية، ١٨٦٦، المجلد الثامن، الصفحة ٢٥١
٨. السيد يحيى دارابي الملقب بوحيد.
٩. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٢٧٣
نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ١٧١
١٠. البيان الفارسي – الترجمة الفرنسية، الصفحة ٤٣
١١. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٢٣٤
١٢. مقالة سائح – الترجمة الانجليزية، الصفحة ٨
١٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ١٧٢–١٧٧
١٤. المصدر السابق – الصفحة ١٨٨–١٨٩

الفصل الثامن **يد الانتقام الإلهي**

إن الأشهر القليلة التي كان الباب سجينًا في دار خاله الحاجّ ميرزا سيد علي هي آخر أيّامه التي قضاها بهدوء ومودة وها هي الآن تقترب مسرعة الى نهايتها.

أية ذكريات تلك التي دارت في ذهنه وهو يشارك عائلته واحباءه هذه الساعات الأخيرة الخالية. لقد أظهر له هذا الخال محبة عظيمة طوال أيام حياته. فقد الباب والده منذ طفولته المبكرة، وكفله هذا الخال نفسه الذي حرص على اعطائه كل ميزة ممكنة. فوضعه منذ صباه تحت رعاية معلم.

لقد حفظت تلك الأيام للتاريخ بواسطة كلمات ذلك المعلم اذ قال: «ما زالت حلاوة نطقه عالقة في مخيلتي ووجدت نفسي مضطرًا لاعادته الى خاله... وأخبرته انني شعرت بعدم الاستحقاق لتعليم مثل هذا الصبي الفذّ».

قال المعلم للحاجّ ميرزا سيد علي: «انني قد أعدته إليك، وأعهد به الى حمايتك. يجب عدم معاملته على انه مجرد صبي، فاني أستطيع ان أميّز فيه شواهد قوة خفية».

انتهر الخال الصبي وقال له: «أنسيت أوامري؟ عد الى الكتّاب (المدرسة الأولية) واحذو خذو زملائك التلاميذ. لا تتكلم بل التزم السكوت واستمع الى كل كلمة يقولها معلمك».

وعد الصبي الصغير أن يطيع مخلصًا، ولكن كان من المستحيل عليه أن يكبح جماح روحه. قال المعلم بصراحة:

«واستمر يومًا بعد يوم يظهر من علائم الحكمة، ما جعلني أشعر بأنني عاجز عن تعليمه»[1].

في تلك الأيام ذهب عالم معروف الى منزل خال الباب. وروى الآتي عن تلك الزيارة:

«في فجر ذات يوم، سمعت من حجرة الصلاة المجاورة لحجرتي صوتًا عذبًا رقيقًا، كان الصوت لصبي صغير ارتفع بالصلاة. كانت المناجاة والصوت، والتعبد على شأن سَلَبَ لبّي. انتظرت بصبر حتى طلع النهار، وعندئذ شاهدت صبيًا في حوالى السابعة من العمر، وبمجرد ان تفرّست في وجهه رأيت طلعة غاية في الجمال، بحيث ايقنت انه من المستحيل ان أجد شبيهًا لهذا الصبيّ في الجنس البشري قاطبة».

«تبع العالم الصبي الى الكتّاب الذي يذهب اليه، وهو لا يستطيع نسيان ذلك المحيّا. تقدم الى المعلم واستفسر منه عن الصبي قائلاً:

«ما رأيك في هذا الصبي؟»

«تكلّم المعلم بشعور عميق: «ماذا أقول عن هذا الطفل. فهو يحضر الى كتّابي كتلميذ، لكنه في الحقيقة هو المعلم وأنا التلميذ. ليتك تستمع الى بديع أقواله في الفَصل، ويا لها من مسائل هامة عميقة يتناولها في حديثه... ماذا أقول عن هذا الصبي؟ انه في نظري يبدو متهيئًا لاعلان رسالة الى العالم».

«زاد اعجاب المعلم بالصبي من دهشة العالم واهتمامه. فعاد هذا الى منزل خال الباب وأخبره بما قاله المعلم. فأسرّ الخال الى العالم بالرؤية التي رآها عن ابن أخته عندما كان الباب في الخامسة من عمره وقال:

«رأيت في المنام كفتي ميزان متدليتين من السماء. كان في إحدى الكفتين أحد الأنبياء، بينما وضعت يد الغيب في الكفة الأخرى هذا الصبي. فاذا بكفة الصبي ترجح ببطء على الكفة الأخرى»[٢].

وأخيرًا اقنع الخال بسحب الصبي من الكتّاب. وقام بتربيته بغاية المحبة والعناية، وعندما بلغ السابعة عشرة من عمره غادر الباب شيراز الى بوشهر حيث عمل تاجرًا لحساب خاله، واكتسب خلال تلك الفترة احترام جميع التجار لأمانته ودماثة اخلاقه.

قال شاهد عيان قابل الباب في تلك الأيام: «كثيرًا ما سمعت الذين كانوا على صلة وثيقة به يشهدون بطهارة اخلاقه وسحر تصرفاته وسمو نزاهته. فقد أودعت اليه أمانة لبيعها بسعر معين، وعندما أرسل الباب ثمنها كان المبلغ اكثر بكثير مما حدد لها. كتب صاحب الأمانة يستفسر من الباب عن السبب. فأجابه: «ان ما أرسلته اليك هو ما تستحقه

كاملاً، وليس فيه أية زيادة عن حقك. فقد مرت فترة بلغت فيها امانتك لدّي هذه القيمة ولعدم بيعها بهذا السعر، فانني اشعر الآن ان من واجبي تقديم ذلك المبلغ كله اليك »[٣].

تزوج الباب وهو في الثانية والعشرين من عمره وانجب طفلاً سماه احمد. توفي الطفل في السنة التي سبقت اعلان دعوته، وقد رثى ابنه الذي أحبه حبًا كبيرًا رثاءً مؤثرًا قال فيه:

«إلهي الهي لو كان لابراهيمك هذا الف اسماعيل لفديتهم جميعًا في سبيل محبتك. فاجعل اللهم فداء ابني الوحيد مقبولاً عندك ومقدمة لفداء نفسي وكينونتي في سبيل مرضاتك. وبارك دمي الذي أحنّ لسفكه في سبيلك. إجعله يروي ويغذي بذرة دينك وامنحه قوتك السماوية لتنبت هذه البذرة الالهية الوليدة في قلوب الناس وتنجح وتفلح وتصبح شجرة عظيمة يجتمع تحت ظلها جميع شعوب الأرض»[٤].

ادركت زوجة الباب رسالته منذ البداية وقد أسرّ لها الباب آلامه المقبلة وأوضح لها مغزى الأحداث التي ستقع قريبًا وحذرها بأن لا تبوح بهذا السر لأحد، كما نصحها بأن تتحلى بالصبر وتمتثل لارادة الله.

ولكي يخفف من عبء ويلاتها في الأيام المقبلة عهد اليها بدعاء خاص ووعدها بأن تلاوة هذا الدعاء سوف يفرج عنها الشدائد وأوصاها قائلاً:

«في ساعة حيرتك اقرئي هذا الدعاء قبل أن تنامي. فسأظهر لك بنفسي وأزيل همومك»[٥].

قاربت الآن هذه الأيام الهادئة التي قضاها الباب في محيط أسرته على النهاية، فسرعان ما ستتلقفه عاصفة البلايا ولن تتركه إلا بعد أن تحمله سريعًا الى ميدان الشهادة.

بذل حسين خان كل جهده لتوريط الباب في مشاكل جديدة، فقد كان حانقًا لأن اعتناق وحيد دعوة الباب الذي غلّ يديه بعض الوقت، كما كان يخاف ان يكدّر الملك، ولكنه لم يتحمل مشاهدة الباب يتجول حرًا دون ازعاج. وأغضبه منظر السيل المتواصل من الاتباع والأصحاب المتدفقين على منزله مرة أخرى.

كان الباب شجاعًا جدًا في اعلان دعوته، فقد أرسل رسالة الى احد الزعماء البارزين في مدينة زنجان يقول فيها: «إن من أشاد السيد كاظم بفضله على الدوام وأشار باستمرار الى قرب ظهوره قد ظهر الآن. اني انا ذلك الموعود»[٦]. قرر حسين خان تعيين جواسيس لمراقبة الباب سرًا وملاحظة أقل خطأ يحدث من جانبه. كما ارسل عدة رسائل الى رئيس

الوزراء الحاجّ ميرزا آقاسي معبّرًا عن قلقه الشديد من ضخامة عدد الذين يعتنقون دينه. وقد استجاب رئيس الوزراء سريعًا لتوسلات الحاكم وأخبره بأنه ملّ من الاضطراب في شيراز وأمره قائلاً:

«اقضِ على المصلح. دبّر قتله فورًا وسرًا»[٧].

حضر أحد العملاء الى حسين خان يخبره بأن الناس المجتمعين حول الباب الآن صار عددهم يشكل تهديدًا عامًا. قال الجاسوس «بأن الجمهور المتلهف الذي يتزاحم لرؤية الباب كل ليلة يفوق عددًا اولئك الذين يجتمعون كل يوم في مقر حكومتك، بينهم رجال عرفوا بعلو مقامهم، وغزارة علمهم. وقد اصبحت محبتهم للباب عظيمة بدرجة لا يرغب أحد غيري في اطلاعك على حقيقة الأحوال.

اتجه غضب حسين خان الآن ليس إلى الباب وأصحابه فحسب بل الى أعوانه غير الجديرين بالثقة. فاقترح الجاسوس خطة وقال: «اذا أذنت لي فاني أفاجئ الباب عند منتصف الليل، وأسلمه مكبل اليدين ومعه بعض أصحابه الذين يمكن جعلهم يؤيدّون صحة أقوالي».

رفض الحاكم ذلك وقال: «انني اكثر دراية منك بما يجب عمله أنظر فسأريك كيف اتصرف معه».

استدعى حسين خان رئيس الشرطة وأمره قائلاً: «توجه الى منزل خال الباب، تسلق بهدوء، ودون ان يلمحك أحد، الحائط إلى السطح ومن هناك أدخل فجأة إلى منزله واقبض على الباب واحضره اليّ هنا، واحضر كل من في معيّته وصادر كل ما تعثر عليه من الكتب».

ضمّ حسين خان أصابعه ببطء الى راحة يده وكأنه يحطّم بقبضته شيئًا ممقوتًا وقال:

«أقسم بأني سأدبر قتل الباب في هذه الليلة أمام عيني. سأقتله مع جميع أصحابه، وبذلك ستخمد النار التي اشعلها في منطقتي. وسيكون هذا انذارًا أخيرًا لكل من تسول له نفسه بتعكير هدوء هذه الأرض. وهكذا سأمحو في هذه الليلة هذا الخطر العظيم محوًا الى الأبد»[٨].

وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة، سطا رئيس الشرطة على المنزل حسبما أمر وقبض على الباب وصادر جميع الوثائق وأمر الباب وأصحابه بمرافقته الى بيت الحاكم.

كان الباب هادئًا غير مضطرب وكان يعلم بأن ساعة الفراق قد أذنت ، واستشهد بآية من القرآن الكريم قوله تعالى :

«ان موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب؟» .

لم يدرك رئيس الشرطة ان بهذه الآية الكريمة تنبأ الباب ببداية الآلام لكلا الطرفين. واقتاد الباب وأصحابه الى الشارع حيث وضعهم تحت الحراسة.

وعندما اقتربوا من مكان السوق سمعوا صرخات من الهياج ، فقد كان الناس يندفعون الى خارج المدينة اندفاعًا جنونيًا كأنهم يفرّون من مصيبة داهمة. شعر رئيس الشرطة بخوف شديد من منظر مفزع كان يمر أمامه. فقد رأى قافلة طويلة من النعوش مسرعة في الشارع وكل نعش يتبعه موكب من الرجال والنساء ينوحون بأعلى أصواتهم. أوقف رئيس الشرطة أحد المشيعين وصاح قائلاً :

«ماذا حدث؟ أجب علي بالله ماذا دها مدينتنا؟» .

فقال له منذرًا : «اهرب لتنجو. لقد تفشى وباء الكوليرا فجأة ودمّر المدينة ، ومنذ منتصف الليل قضي على أكثر من مائة نفس. لقد هجرنا جميعًا بيوتنا داعين الى الله بأن يعيننا» .

هرع رئيس الشرطة بمساجينه في الشوارع الى بيت الحاكم ، فوجد البيت مهجورًا والحاكم هاربًا. فسأل قائلاً :

«اين ذهب؟» . فقيل له : «انه خرج من المدينة وان الوباء فتك بثلاثة من خدمه وان بعض أفراد اسرته في حالة خطرة من المرض. وقد تخلى الحاكم عنهم والتجأ الى حديقة خارج المدينة» .

قرر رئيس الشرطة أن يأخذ الباب إلى منزله ، ويحتفظ به هناك مع أصحابه الى أن تصله أوامر أخرى من الحاكم. وحين اقترب من منزله طالعه صوت بكاء فأخذه الفزع. وعندما اندفع الى الأمام تذكر كلمات الباب تلك التي نطق بها قبل وقت قصير : «ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟» .

قيل لرئيس الشرطة ان ابنه أصيب بالكوليرا ، وهو في رمقه الأخير. فصدم بالخبر صدمة شديدة وقال في نفسه لعل سبب هذه الآلام يعود إلى الطريقة التي عامل بها هو والحاكم سجينهم. فالتفت الى الباب واقترب منه والقى بنفسه على قدميه وتضرع اليه ان ينقذ حياة ابنه ، وتوسل قائلاً :

«لا تعاقبه على جرم ارتكبه ابوه ، اني تبت عما فعلته واقسم اني في هذه اللحظة قدمت استقالتي من وظيفتي تحت امرة حسين خان» . طمأن الباب رئيس الشرطة ، وأمره بأخذ بعضًا من الماء الذي سكبه للوضوء وطلب منه ان يعطيه لابنه ليشرب منه ووعده «بأن ذلك سوف ينقذ حياته» .

اتبع رئيس الشرطة ما أُمر به ، وما لبث ان شفي ابنه وما ان شاهد علامات الشفاء على ابنه ، حتى جلس وكتب خطابًا مطولاً الى حسين خان روى له فيه القصة بأكملها وأخبره بكل ما حدث في تلك الليلة المفزعة ، ورجاه ان يكف عن هجماته على الباب ، وقال له : «ارحم نفسك وارحم من هم تحت رعايتك» . فأجابه الحاكم : «أطلق سراحه» .

بيد ان الحاكم أصرّ على ان يغادر الباب شيراز على الفور[٩] . فاذا لم يستطع الانتصار عليه شخصيًا ، فلا أقل من أن يبعده عن دائرة أصحابه .

بهذا العمل الفظّ أنهى حسين خان أيام هدوئه وكرامته . وقد سجل لنا التاريخ انه بعد ذلك بفترة قصيرة عزل من منصبه . ومنذ يوم عزله وقع فريسة مصائب عديدة . ولم يرغب أحد في مساعدته ، وفي النهاية كان في حالة محزنة بدرجة لم يعد قادرًا على كسب قوته اليومي . وبقي معذبًا وغريقًا في البؤس والعار حتى مات .

لقد تنبأ الباب بسقوط الحاكم ، ففي خطاب وجهه الى الشاه ، قال عن حسين خان : «ان قسوته جلبت له القصاص السماوي»[١٠] .

اطاع الباب أمر حسين خان وأعد نفسه لمغادرة شيراز في الحال ، فودع الباب عائلته وأصحابه وغادر شيراز في صيف عام ١٨٤٦ م ، وترك الباب عائلته في رعاية خاله الحاجّ مرزا سيد علي . عانق الباب خاله بكل محبة وقت رحيله ووعده قائلاً :

«سأقابلك مرة أخرى وسط جبال آذربيجان ، ومن هناك سأرسلك لتنال تاج الشهادة وسأتبعك بنفسي... وسألحق بك في عالم الخلود»[١١] .

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٧٥-٧٦
٢. مجلة نجمة الغرب الانجليزية ، المجلد الرابع عشر ، الصفحة ٢٧١
٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٧٩-٨٠
٤. المصدر السابق ، الصفحة ٧٧
٥. المصدر السابق ، الصفحة ١٩٢
٦. المصدر السابق ، الصفحة ٢٣٥
٧. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٢٥٥
٨. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ١٩٤-١٩٧
٩. مقالة سائح ، الصفحة ١١
١٠. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٦٧-٣٧٣
١١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ١٩٨

الفصل التاسع **الحاكم الرؤوف**

رحل الباب الى أصفهان المدينة التي اشتهرت بعلم مشايخها، وهناك وجد أن أوّل من اعتنق دعوته كان رجلاً متواضعًا يعمل مغربلاً للقمح. وبمجرد ان أبلغ برسالة الباب قبلها وكرس حياته لتبليغها للآخرين. وعندما سمع بعد ذلك ببضع سنين ان بعضًا من زملائه المؤمنين يستشهدون، ترك عمله وقام حاملاً غرباله في يده وانطلق مسرعًا في أسواق اصفهان.

سأله اصدقاؤه قائلين: «لماذا تبارح بمثل هذه العجلة؟» فأجابهم: «انني ذاهب لأنضمّ الى الزمرة المجيدة الذين يبذلون أرواحهم عن طيب خاطر في سبيل ايمانهم. وبهذا الغربال الذي احمله معي اريد غربلة الناس في كل قرية أمرّ بها، وسأطلب من كل من أجده مستعدًا لاعتناق هذا الدين ان يلحق بي ويسرع الى حظيرة الاستشهاد».

كان اخلاص هذا الشاب على شأن ان الباب أشار اليه بمحبة عظيمة قائلاً ان اصفهان مدينة تميزت بغيرة سكانها الدينية وبعلم مشايخها والتي يتشارك الكبير والصغير فيها على حد سواء في لهفة انتظار مجيء الموعود، بالرغم من هذا كله عندما ظهر الرسول الإلٰهي رفضه العلماء والحكماء ورجال الدين، ووجد ان فردًا واحدًا فقط وهو مغربل للقمح من بين جميع سكان مركز العلم هذا اعترف بالحق.

وقال الباب ان هذا هو تحقق للنبوءة الخاصة بالموعود والتي تقول: «يجعل عاليهم سافلهم وسافلهم عاليهم»[1].

عندما اقترب الباب من مدينة اصفهان كتب خطابًا الى منوجهر حاكم تلك المقاطعة مدبجًا بعبارات اللطف والود ومكتوبًا بخط جميل الى درجة لفتت على الفور نظر الحاكم. لم يكن منوجهر خان معارضًا لكسب مزيد من المعرفة عن هذا الشاب، على

العكس من حسين خان وقد قرر أن يضع الباب تحت حمايته حتى يتمكن من تحري صدق دعواه.

أمر منوجهر خان رئيس علماء المقاطعة بمقابلة الباب وأخذه الى بيته، وطلب منه ان يعامله بكل لطف واحترام.

استاء رئيس العلماء (امام الجمعة) استياءً شديدًا لتكليفه بهذه المهمة بيد انه كان يخشى الاساءة الى منوجهر خان الذي عرف بقوته، لهذا امتثل للأمر على مضض، ومع ذلك اعترف بأنه وقع تحت جاذبية الباب منذ الليلة الأولى بالرغم من غضبه.

سبّب وجود الباب في اصفهان هياجًا أشد مما أحدثه في شيراز. فقد تدفق سيل لا ينقطع من الزوار والأصحاب من جميع اطراف المقاطعة على منزل رئيس العلماء. جاء البعض حبًا للاستطلاع، وآخرون جاؤوا للحصول على تفهّم أعمق لرسالته، والبعض الآخر جاء بطلب الشفاء من أمراضهم وأسقامهم، كما جاؤوا من قبل الى عيسى[٢]. وقد رحب الباب بهم جميعًا وساعدهم كلاً حسب حاجته.

في ذات ليلة حضر منوجهر خان بنفسه لزيارة الباب وطلب اليه ان يكتب تفسيرًا لنبوة محمد الخاصة. فتناول الباب قلمه فورًا وشرع يكتب. وفي أقل من ساعتين ملأ زهاء خمسين صفحة. تأثّر الحاكم تأثرًا عميقًا من أصالة ذلك التفسير وصحته وقوته.

بيّن الباب بنظر ثاقب، مرة أخرى الفكرة الأساسية في تعاليمه وهي أن الناس كانوا يتطلعون الى مجيء يوم الموعود، والآن قد اتى ذلك اليوم. وكان الباب يناقش بقوة وشجاعة ادهشتا كل من كان يستمع اليه[٣].

أخذ الحماس الحاكم ونادى الحاضرين في ذلك الاجتماع قائلاً: «اسمعوا اليّ، اشهدوا عليّ. اني بكل مقدساتي أشهد بايماني بالقوة الخارقة لطاقة البشر التي أُنعم بها على هذا الشاب، انها قوة لا يقدر أي قدر من العلم ان يمنحها». وبهذه الكلمات فضّ الحاكم الاجتماع.

تلوّى شقيق رئيس العلماء حسدًا من هذا التصريح ومن الاهتمام الذي أغدقه الحاكم وأخوه على الباب. فكانت عداوته المريرة وقسوته الوحشية لاتباع الباب واتباع الشخص الذي قال عنه الباب انه سوف يأتي من بعده سببًا في ان يستأهل للقب «الرقشاء».

 وتآمر مع العلماء الآخرين في المنطقة على تقويض سلطة الباب النامية. لقد كان من

السهل عليه ان يستحوذ على تعضيدهم لأنهم كانوا يعتقدون اعتقادًا راسخًا بأنهم ما لم يقوموا على قمع هذا الحماس الشعبي للباب فإن أسس معيشتهم ومستقبلهم سوف تزول.

امتنعوا في أول الأمر عن إظهار العداء علانية، وعوضًا من ذلك شرعوا في ترويج اشاعات مثيرة واتهامات سافلة حول تعاليم الباب. وتأكدوا من وصول هذه الاشاعات الكاذبة الى العاصمة طهران واطلاع رئيس الوزراء الحاجّ ميرزا اقاسي عليها.

سبق لرئيس الوزراء ان تخوّف من احتمال ميل الملك الى مصادقة الباب بسبب ايمان وحيد له، كان يعلم ان مثل هذه الصداقة بين الملك والباب ربما أدّت الى سقوطه بسهولة. وزاد خوفه كثيرًا من امكان محاولة منوجهر خان حاكم أصفهان ترتيب مقابلة بينهما، إذ إن الحاكم كان يتمتع بثقة الملك التامة، ولهذا أدرك الحاجّ ميرزا اقاسي أن عليه منع مثل هذا الاجتماع. فكتب رسالة شديدة اللهجة الى رئيس العلماء في اصفهان أنّبه فيها على قيامه بدور المضيف للباب قائلاً: «كنا نتوقع ان تقاوم هذه التعاليم بكل طاقتك ولكنك عوضًا عن ذلك صادقت عدوًا لدودًا، وآويت وعظّمت صاحب حركة حقيرة خطيرة».

كما كتب رئيس الوزراء الى سائر العلماء في اصفهان، بالرغم من تجاهله لهم في الماضي، ها هو الآن يغدق عليهم اهتمامه وتقديره ويقدم إليهم وعودًا سخية. كانوا يعرفون ماذا يرمي اليه رئيس الوزراء واستطاع بعطاياه اليهم، ان يكتّلهم جميعًا ضد الباب.

ما زال رئيس العلماء خائفًا من القيام علانية ضد الباب بسبب الحاكم منوجهر خان، ومع ذلك اتخذ خطوات لتقليل عدد الزائرين المتزايد على الدوام الذين كانوا يحتشدون كل يوم عند مدخل بيت الباب. قام شقيق رئيس العلماء بتشجيع بقية العلماء على مهاجمة الباب مباشرة، وحثّهم على شنّ حملتهم ضدّه من فوق المنابر.

ولما علم منوجهر خان بذلك، أحضر الباب على الفور الى أمان منزله، فزادت بادرة الحاكم هذه لحماية الباب في لهيب غضب علماء اصفهان، فدعوا الى عقد اجتماع كبير لهم جميعًا، وما أن اجتمعوا حتى أصدروا وثيقة خطية يوقعها ويختمها جميع الرؤساء الدينيين في المدينة وهي تقضي باعدام الباب. وقد ختم على الوثيقة زهاء سبعين زعيمًا دينيًا.

رفض اثنان من العلماء الدينيين التوقيع عليها، قائلين انها وثيقة كلها إهانة وتحقير. كما لم يوقع عليها رئيس العلماء خوفًا من سخط الحاكم، وبدلاً من التوقيع عليها كتب عليها بخط يده يقول انه لم يجد أي عيب في خلق الباب أو في شخصه، وأضاف قائلاً:

«وعلى أي حال فان اسرافه في الادعاء وازدراءه ومقته لأمور الدنيا تجعلني اميل الى الاعتقاد بأنه مجرّد من العقل والتمييز».

علم منوجهر خان سرًّا بنبأ خطة العلماء لقتل الباب، لهذا دبر خطة بنفسه، فأصدر بيانًا يقول بأنه قائم بارسال الباب الى طهران ثم أصدر أوامره بأن يغادر الباب اصفهان عند الغروب ويتوجه علانية الى طهران بحراسة خمسمائة فارس من رجال حرسه الخاص. كما أعطى أوامر اضافية بأن يعود الى اصفهان مائة من العسكر مسيرة كل ثلاثة أميال. أما قائد المائة الأخيرة، وهو رجل وضع فيه الحاكم كامل ثقته فقد أمره بأن يُعيد عشرين من رجاله بعد مسيرة كل ميل آخر ويُرسل من العشرين رجلاً المتبقين عشرة رجال الى اردستان لجمع الضرائب. اما العشرة الآخرون من رجاله المنتخبين كان قد اختارهم بنفسه ويثق فيهم أشد الثقة كلفهم بالعودة متنكرين مع الباب الى بيت الحاكم في اصفهان.

نفذت التعليمات بكل دقة، ولكي يتأكد منوجهر خان من سلامة الباب وراحته لدى عودته جعله يُقيم في جناحه الخاص، ولمدة أربعة أشهر قام منوجهر خان على خدمة الباب وتقديم الطعام اليه بنفسه.

سبق أن صدرت حتى ذلك الحين ثلاث فتاوى باعدام الباب. إحداها من رئيس الوزراء، وأخرى من حسين خان، والثالثة من علماء اصفهان باءت كل من هذه الفتاوى بالفشل، وهذا مصداق لما سبق وقاله الباب لحرس حسين خان، في طريقه من بوشهر عندما جاؤوا للقبض عليه: «لا يعرف أحد سرّ رسالتي ولا يقدر أي فرد سبر غورها. والى ان تأتي ساعتي الأخيرة، لا يقوى أحد على احباط خطة القدير».

في ذات يوم بينما كان الباب جالسًا في حديقة الحاكم الخاصة اقترب منوجهر خان منه وقال:

«لقد وهبني الله القدير ثروة طائلة. والآن بعد ان اعترفت بصدق رسالتك أرغب في ان أُقدّم جميع ممتلكاتي لترويج مصالح هذا الدين».

كان لدى منوجهر خان خطة سبق وأعدّها. فقال للباب: «في نيّتي الذهاب الى طهران فورًا وبذل كل ما في وسعي لكسب ايمان الملك، فان ثقته بي ثابتة لا تتزعزع بالرغم من رئيس الوزراء. انني على يقين من انه سيعتنق هذه الدعوة ويقوم على ترويجها. وسأحاول أيضًا حمل الملك على طرد الحاجّ ميرزا آقاسي الفاسد الذي أوصل بلدنا بغباوته الى حافة الهاوية».

واختتم منوجهر خان حديثه قائلاً : «آمل ان أتمكن من جذب قلوب ملوك الأرض وحكامها الى هذا الأمر العجيب» . تأثر الباب تأثرًا عميقًا وقال له : «جزاك الله على نواياك النبيلة . ان مقصدًا ساميًا كهذا هو في نظري أثمن من العمل نفسه بيد ان ايامك واياي معدودة فهي أقصر من ان تمكنني من أن أشهد تحقيق امنياتك أو أن تسمح لك بتحقيقها» .

قال الباب لمنوجهر خان ان أمر الله لا ينتشر على أيدي النبلاء والأثرياء ، بل انه ينتصر بمجهود الفقراء والمضطهدين والمستضعفين ، فبدماء هؤلاء المضطهدين التي تسفك في سبيل مولاهم ، وبتضحياتهم وعذابهم ينتشر أمر الله في جميع ارجاء العالم . وقد قطع الباب لمنوجهر خان وعدًا مكافأة له على محبته وخدمته قائلاً :

«سوف يغدق الله عليك في العالم الآتي بركات بلا حساب ، وأما ما تبقى من حياتك الأرضية فهو ثلاثة أشهر وتسعة أيام فقط» .

وكلما دنت أيام حياة منوجهر خان من نهايتها كان يقضي وقتًا أكثر فأكثر مع الباب . وفي أحد الأيام قال للباب : «انني أشعر بسعادة عظيمة تغمر حياتي ولكني أخشى عليك فاني اخاف ان اتركك تحت رحمة خلفي جرجين خان فهو سوف يكتشف وجودك في هذا المنزل ويسيء معاملتك اساءة بالغة» .

طمأنه الباب قائلاً : «لا تخف» . وردد عليه كلمات مماثلة لتلك التي نطق بها المسيح ومحمد في ظروف مشابهة قائلاً :

«اني بمحض ارادتي اخترت ان أُعذَّب بيد اعدائي حتى يقضي الله أمرًا كان مقضيًا» .

طيبت هذه الكلمات خاطر منوجهر خان وانعشت قلبه . وعرف أن ايامه لم تنقض على هذه الأرض سدى . فقد قابل الموعود وآمن به ، ولم يسد علمه اذنيه ، أو تعميه ثروته . وقد توفي هادئًا مطمئنًا بعد ثلاثة أشهر وتسعة أيام على أثر حمى خفيفة .

لم يفلت مير محمد حسين شقيق رئيس العلماء الذي عذب الباب وأتباعه عذابًا مريرًا في اصفهان من اصبع الانتقام الإلٰهي الذي تعقب هؤلاء الظالمين بلا رحمة . فقد طرد من اصفهان ومضى هائمًا على وجهه من قرية الى قرية يلاحقه الخزي والعار . وأخيرًا وقع فريسة مرض كريه قضى عليه . وكان هذا المرض ذا رائحة كريهة الى درجة لم تحتمل زوجته وابنته القيام بخدمته .

علم جرجين خان خلف منوجهر خان فورًا بوجود الباب في منزل الحاكم (الراحل). وبعد ان تحقق من ذلك ارسل خطابًا مستعجلاً الى الملك يقول فيه:

«كان من المعتقد ان جلالتكم استدعيتم الباب الى طهران قبل أربعة اشهر. اذ غادر اصفهان تحت الحراسة. والآن تبين انه كان مخفيًا في مكان اقامه منوجهر خان سلفي طيلة هذه المدة ومعروف ان الحاكم نفسه استضاف الباب سرًا وآمن به، ويسرني القيام بكل ما يرغب جلالتكم عمله الآن».

كان الملك ما زال مقتنعًا من ولاء صديقه العزيز منوجهر خان، وكان متيقنًا من ان الحاكم كان ينتظر مناسبة ملائمة يتمكن من خلالها ترتيب اجتماع بينه وبين الباب. وقد حالت الآن وفاته المفاجئة دون هذه الخطة.

لهذا عزم الملك على تحقيق ما اعتقد بأنه رغبة صديقه الحاكم الراحل وقرر ان يقابل الباب أخيرًا.

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، هامش الصفحة ٩٩
٢. ترجمة تاريخ الجديد الانجليزية، الصفحة ٢٢٠–٢٢١
٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٢٠٣–٢١٥

الفصل العاشر

الاستدعاء الملكي

نازعت الملك رغبتان متضاربتان. كان يريد مقابلة الباب ويشتاق لرؤية هذا الشاب بنفسه الذي اكتسب اليه شخصًا عالمًا موهوبًا كوحيد، ورجلاً بنبل منوجهر خان. ومكانته وثروته. كان مشتاقًا لمعرفة الكثير عن هذا النبي الشاب الذي استطاع التأثير على مثل هؤلاء الأشخاص المرموقين تأثيرًا قويًا. ولكنه كان في الوقت نفسه متهيبًا وخائفًا لمَا عساه قد يحدث اذا ما اكتسب الباب شعبية واسعة جدًا، فما زال رئيس وزرائه الحاجّ مرزا آقاسي يحذره دومًا من الباب، مثلما كان علماء الدين في البلاط الملكي يتحدثون بالكيفية نفسها التي تكلم بها المسؤولون عن المسيح قائلين: «انه سياسي ثوريّ سوف يقوّض مملكتك ويهدم نفوذك على رعيتك».

تردّد الملك في أمره وانقسم على نفسه، فمرةً أصدر بدافع من رئيس الوزراء أوامره للتخلص من الباب ثم سحب هذه الأوامر فيما بعد. والآن ظنًا منه في إرضاء صديقه الراحل منوجهر خان، أعرب الملك عن رغبته مرة أخرى في مقابلة الباب نفسه. ولهذا استدعى الباب الى العاصمة طهران.

كتب المؤرخ نيقولاس قائلاً: «كان الشاه غريب الأطوار متقلب الرأي، وناسيًا انه منذ وقت قصير أمر بقتل ذلك المصلح «الباب». حين شعر أخيرًا برغبته في رؤية ذلك الشخص الذي أثار مثل هذا الاهتمام لدى عموم الناس»[1].

وهذا هو نصّ الأمر الملكي: «أرسل الباب متخفيًا وبصحبة حرس من الخيالة. أسدي اليه منتهى الإحترام اثناء سفره. وحافظ على سرية رحيله، ولا تزر أية بلدة أو قرية في الطريق».

قال الملك انه يرغب بهذه الوسيلة حماية الباب من اعدائه. وفي الحقيقة كان رئيس الوزراء قد دبّر هذه الخطة لسبب آخر يختلف كل الاختلاف، فقد فضل ان يبقى الباب متخفيًا ومستترًا خوفًا من التأثير الذي قد يحدثه في سكان تلك المدن التي يمرّ بها.

قيل لضابط الحرس: «احذر من ان يطّلع على هويّته أحد، أو يُشتبه في طبيعة مهمتك. لا يسمح لأحد وحتى لأفراد حرسك بالتعرف إليه. واذا سئلت عنه، قُل انه تاجر أمرت ان توصله الى العاصمة وانك لا تعلم عن هويته شيئًا على الاطلاق».

شرع الباب في وقت متأخر من احدى الليالي بالرحيل الى طهران طبقًا لأوامر الملك. وفي أثناء الرحلة اكتشف حرس الباب شخصيته بالرغم من الاحتياطات وأصبحوا أعوانًا له. فقد استولى عليهم سحره الذي لا يقاوم، بجانب وقاره الموجب على الاحترام، ورقته المحببة للقلوب، الأمر الذي بدّل كيانهم وبعد ان تحولوا اليه، ورغبةً منهم في خدمته وارضائه قالوا له:

«نحن ممنوعون منعًا باتًا، بأمر من الحكومة، عن أن نسمح لك بدخول أية قرية أو بيت. ومأمورون بأن نسلك طريقًا غير مطروق رأسًا الى طهران لكي لا تتصل بأي شخص، ومع ذلك اذا رغبت، فنحن مستعدون لتجاهل هذه التعليمات، ونرافقك خلال شوارع كل بلدة».

أجابهم الباب بأنه يفضل السير في طريق الريف لأن المدن غير طاهرة، فأهلها يقدمون الاحترام للمقامات المقدسة بأفواههم في حين أنهم يهيلون عليها العار بأعمالهم، يبجلونها في الظاهر، ويهتكون شرفها في الباطن.

أرسل رئيس الوزراء رسالة اعترضت طريق الجماعة عند مسيرة يوم واحد من طهران، أمر فيها الحرس بعدم أخذ الباب الى طهران، بل الى قرية كلين بدلاً عنها، وابقائه هناك الى حين وصول تعليمات أخرى. كان رئيس الوزراء مصممًا على ان لا يسمح بوصول الباب الى العاصمة أبدًا.

ظلّ رئيس الوزراء يذكر الملك بالثورات الدينية التي اشتعلت في الماضي في كل من مازندران وخراسان، وحذره من ان الباب ما هو إلاّ مجرّد خطر مماثل يهدّد سلام المملكة، فقد كان تأثير رئيس الوزراء على الملك لا حدّ له.

كتب الكونت دي جوبينو المؤرخ الفرنسي يقول:

 «كان مزاج الملك بطبيعته ضعيفًا، وأصبح شديد الكآبة والانطواء إذ تشوّق الى الحب دون ان

يعثر عليه لا في زوجاته ولا عند أولاده وركز كل محبته في الملا العجوز «الحاجّ مرزا آقاسي» معلمه، فجعل منه صديقه الوحيد، وموضع ثقته، ثم وزيره الأول ذا السلطة المطلقة، بل حتى الهه»[٢].

تقول «الجريدة الآسيوية»: «ان رئيس الوزراء سيطر على الملك الى درجة يستطيع الفرد القول بحقّ ان رئيس الوزراء كان الملك الحقيقي»[٣]. ويقول ب. م. سايكس(P.M. Sykes) في كتابه «تاريخ ايران»: «ان الحاجّ ميرزا آقاسي الذي كان حاكم البلاد الفعلي لمدة ثلاث عشرة سنة، كان جاهلاً تمامًا بأمور الحكم والسياسة... ومع هذا كان كثير الغرور بدرجة لم يقبل معها النصح... وقحًا في كلامه، سفيهًا في تصرفاته، بليدًا في عاداته، بحيث أوصل الخزينة العامة الى حافة الافلاس، والمملكة الى شفا الثورة».

أخيرًا اقنع رئيس الوزراء الملك بارسال الباب الى قلعة نائية تدعى ماه‌كو.

وطبقًا لما ذكره أحد المؤرخين، ان الملك كان يقاسي من مرض فترة من الزمن وان الباب وعد بشفائه اذا سمح له بالحضور إلى طهران. وخشي الحاجّ ميرزا آقاسي من انه لو شفاه الباب فانه قد يفلت من قبضته[٤] ولذلك حثّ الملك على الكتابة الى الباب بالآتي: «مع شدة رغبتنا في مقابلتك فإننا نجد أنفسنا غير قادرين على استقبالك بما يليق في طهران. وقد أظهرنا رغبتنا في انتقالك الى ماه‌كو»[٥].

سبق ان كتب الباب الى الملك يطلب مقابلته. والتمس اذنًا بالحضور الى العاصمة كي يقدم في محضر الملك وجميع الزعماء الدينيين في البلاد البراهين على رسالته، ووافق على ان يترك للملك الحكم بالكلية في أحقية أو بطلان دعوته. وقال انه سوف يقبل بحكم الملك كحكم نهائي وانه مستعد للتضحية برأسه اذا فشل في ذلك[٦].

رحب رئيس الوزراء والملك كلاهما بهذا الخطاب في بادئ الأمر لاقتناعهما انه بمجرد ان يواجه الباب الزعماء الدينيين المعروفين في البلاد فانهم سوف يذلونه ويجردونه من كل اعتبار. ولكن عندما تسلما انباء انتصاراته الباهرة في مناظراته في شيراز، خصوصًا حين جاءت الأخبار باعتناق كل من وحيد ومنوجهر خان لدعوته، لم يعودا متشوقين حتى ولا راغبين في احضاره الى العاصمة.

عندما وصلت رسالة الملك الى الباب يخبره فيها بنقله الى سجن ماه‌كو، عرف الباب من الذي دبّر هذا الأمر القاسي. كتب الباب الى رئيس الوزراء قائلاً: «لقد استدعيتني للحضور من اصفهان لمقابلة العلماء، وللوصول الى تسوية قاطعة، فماذا حدث الآن، بحيث تغيرت هذه النية العالية الى ماه‌كو وتبريز؟»[٧].

لمح الباب بهذه العبارة الى الآلام التي سوف يلاقيها في مدينة تبريز الشمالية ، حيث سوف يستدعي من السجن هناك مرة لِضربه ، وأخرى لقتله.

هكذا أخلف الملك بوعده لمقابلة الباب ، وتحرك الركب الملكي وهو يضم ابن الملك الصغير البرنس فرهاد ميرزا والملك ورئيس الوزراء متوجهين الى حديقة جميلة في جوار طهران. واثناء وجودهم هناك اقترب الأمير من رئيس الوزراء وسأله قائلاً : «الحاجّ ... لماذا أرسلت الباب الى ماه‌كو»».

أجابه رئيس الوزراء بقوله : «انك ما زلت أصغر من أن تدرك أمورًا معينة ، ولكن اعرف هذا : لو ان الباب قد حضر الى طهران لما كنا انت وأنا في هذه اللحظة نسير دون قلق في هذا الظل اللطيف».

وقد دونت «الجريدة الأسيوية» الوثيقة التاريخية الآتية : «ما ان ذاع أمر رئيس الوزراء الحاجّ ميرزا آقاسي وأصبح معروفًا للجميع ... من اصفهان الى طهران ، تكلم الكل عن ظلم العلماء والحكومة للباب وتمتم الناس وصرخوا في كل مكان ضد مثل هذا التعسُّف».

أمر الباب ان يتابع السير اولاً الى تبريز ورفضَ قبول المال الذي خصصته الحكومة لمصاريف الرحلة وأنعم على الفقراء بكافة المخصصات التي قدمها رئيس الوزراء واستعمل النقود التي كسبها عندما كان تاجرًا لاحتياجاته الخاصة.

أُعطيت أوامر صارمة لتحاشي دخول أية بلدة اثناء الرحلة الى تبريز. وعندما وصلت الجماعة اخيرًا الى باب المدينة تقدم محمد بك قائد الحرس من الباب وقال : «كانت الرحلة من اصفهان طويلة وشاقة ، وأشعر بانني قد قصرت في اداء واجبي نحوك ، وتقاعست عن خدمتك كما يجب وليس بوسعي الا طلب صفحك وعفوك».

فقال له الباب : «كن مطمئنًا. فاني اعتبرك واحدًا من شيعتي. والذين يعتنقون أمري سوف يباركونك ويعظمونك ، كما انهم سوف يمجّدون سلوكك ويشيدون باسمك».

اقتدى بقية الحرس برئيسهم ، وبدموع تترقرق من عيونهم ودّعوا الباب الوداع الودّي الأخير وسلموه على مضض الى عساكر حاكم تبريز.

١. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٢٤٢
٢. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى ، الصفحة ١٣١–١٣٢
٣. المجلة الآسيوية ، ١٨٦٦ ، المجلد السابع ، الصفحة ٣٦٧–٣٦٨
٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، هامش الصفحة ٢٣٢
٥. المصدر السابق ، الصفحة ٢٣٠–٢٣١
٦. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى ، الصفحة ١٢٤
٧. مقالة سائح ، الصفحة ١٦

الفصل الحادي عشر **الاضطراب في تبريز**

سبّبت أخبار وصول الباب الى تبريز هيجانًا عظيمًا واندفعت حشود هائلة من الناس لاستقباله عند مدخل المدينة والترحيب به بشوق ولكن الموظفين المكلّفين بحراسة الباب رفضوا السماح لهم بالاقتراب منه وتلقي بركته.

لم يقدر أحد الشبان على ضبط نفسه، فجرى عبر بوابة المدينة وبمحاذاة المسؤولين وانطلق في سيره مسافة تزيد على الميل نحو الباب. اقترب من الخيالة الذين كانوا يسيرون في الطليعة ورحب بهم بسرور وناداهم قائلاً: «انتم مرافقو محبوبي واني أعزكم كبؤبؤ عيني». سمحوا له بمقابلة الباب، وبمجرد ان وقعت عيناه عليه انطلقت من بين شفتيه صيحة فرح، وانكب على وجهه يبكي بحرقة. ترجّل الباب من على جواده ووضع ذراعيه حول الشاب وعانقه. كان ذلك الشاب هو الوحيد بين مؤمني تبريز الذي أفلح في الوصول الى الباب والتبرك به. أما الباقون فقد اكتفوا بالقاء نظرة على محبوبهم عن بعد علّها تشفي غليل فؤادهم.

احتشد جمع غفير من الناس عند باب المدينة ليشاهدوا دخول الباب اليها... منهم من دفعه الفضول المحض، والبعض الآخر جاءوا ليتبيّنوا ما اذا كان الباب حقًّا ذلك الشخص العجيب الذي أُخبروا عنه، والباقون دفعهم ايمانهم واخلاصهم للمثول في محضره لكي يؤكدوا ولاءهم له.

وبينما كان يسير في الشارع كانت هتافات الترحيب تدوّي من كل جانب، وصاح معظم من رأوه يحيونه في مسيرته بصوت مرتفع «الله اكبر ... الله اكبر». كانت الضجة التي سببها وصول الباب عظيمة لدرجة ان أُرسل منادٍ بين الناس يحذرهم من خطر

استمرارهم في تصرفهم هذا، وأُنذروا «بأن كل من يحاول الاقتراب من الباب أو يسعى لمقابلته في أي وقت يحكم عليه بالسجن ويُستولى على جميع ممتلكاته»[1].

وضع الباب في حجرة بحصن يشبه القلعة، وقفت فصيلة من الجند لحراسة المدخل. ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح الجند اصدقاء له بالرغم من الأوامر المشددة التي تلقوها من رؤسائهم، وصاروا منقادين لأوامره بالكلية وسمحوا بدخول كلّ من يرغب رؤيته. قال الباب ان مهمة هؤلاء الحراس هي حمايته من الجموع المحتشدة حول البيت لكنهم لا يستطيعون ان يمنعوا اولئك الذّين يرغب في مقابلتهم.

هذه الفصيلة من الجند التي تقوم الآن بحراسته وحمايته هي بعينها التي سوف يقع الاختيار عليها في المستقبل وبطريقة غامضة لاطلاق الرصاص عليه والتسبب في موته. ولكن هذا سوف لا يتمّ الا بعد ان تعجز فصيلة أخرى عن قتله، الأمر الذي وصفه المؤرخ نيقولاس بأنه «حدث فريد في سجل التاريخ البشري»[2].

وفي يوم، بعد وصول الباب بمدة قصيرة الى تبريز، ذهب علي عسكر احد اتباعه المخلصين لمقابلته فحذره أصحابه من الذهاب قائلين:

«الا تعرف ان مثل هذه المحاولة الطائشة من جانبك لا تنتهي بمصادرة املاكك فحسب، بل بتعريض حياتك للخطر أيضًا؟».

أجابهم قائلاً: «اني ذاهب».

رفض علي عسكر الاكتراث لنصائح اصدقائه، وتوجه الى البيت الذي كان الباب مسجونًا فيه. فلم تكن هناك قوة تستطيع ان تحول بينه وبين المثول بين يدي مولاه ولو أدى ذلك الى التضحية بحياته.

سافر علي عسكر في الماضي أميالاً عدة مع الملا حسين بشروئي، أول تابع للباب، وبلغا الأمر معًا في مدن كثيرة، شكا علي عسكر مرة بعد أخرى بمرارة للملا حسين لاخفاقه في الاعتراف المبكر بالباب ومقابلته في شيراز. فقد كان هذا مصدر حزن كبير لعلي عسكر. فقال له الملا حسين: «لا تحزن فان الله القدير سوف يعوضك في تبريز ما فاتك في شيراز» وأكد له انه «لا مرة واحدة بل سبع مرات سيمكنك من أن تحظى بفرح المثول في محضره عوضًا عن المرة الواحدة التي فاتتك».

أما الآن وقد أصبح الباب في تبريز، فلن يسمح علي عسكر لأي شيء ان يحول بينهما. وبمجرد ان اقترب من باب المنزل الذي كان الباب محجوزًا فيه أُلقي القبض عليه

فورًا وعلى الصديق الذي كان يصحبه. أرسل الباب أمرًا الى الحراس قائلاً: «اسمحوا لهذين الزائرين بالدخول لأنني انا دعوتهما لمقابلتي». اسكتت هذه الرسالة الحراس على الفور فأُدخل علي عسكر وصديقه إلى حضور الباب. حيّاهما الباب بحرارة ورحّب بقدومهما وأعطاهما تعليمات كثيرة لتنفيذها، وأكد لهما بأنه لن يعترض أحد طريقهما إذا هما رغبا في زيارته.

قال علي عسكر: «تجاسرت في بعض الأحيان على زيارة الباب للاستفسار منه عن بعض التفصيلات الخاصة بالمهمة التي أوكلها اليّ ولم أواجه في أية مرة أي اعتراض من اولئك الذين كانوا يقومون بحراسة مدخل منزله. كنت قد نسيت ما اخبرني به الملا حسين الى ان حانت زيارتي الأخيرة للباب. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما زرت الباب في المرة السابعة وسمعته يقول لي: «الحمد لله الذي مكّنك من اكمال عدد مرات زيارتك وشملك بحمايته».

روى شاهد عيان ما يلي: «في خلال العشرة الأيام الأول لحبس الباب في تبريز لم يعلم أحد ماذا سيحدث له بعد ذلك. وكانت أفظع الشائعات تدور في المدينة. وفي ذات يوم سألت الباب عما اذا كان سيظل في تبريز ام انه سوف ينتقل الى مكان آخر. فأجابني قائلاً:

«سنمكث معتقلين مدة لا تقلّ عن تسعة أشهر في ماه‌كوه ثم ننتقل الى جهريق».

وبعد مرور خمسة أيام على هذه النبوءة صدرت الأوامر بنقل الباب وانا معه الى قلعة ماه‌كوه وتسليمنا لحراسة علي خان.

وبقلوب ملؤها الأسى شاهد اهالي تبريز الباب يرحل عن المدينة. وأخذت الحيرة كثيرًا منهم لعجز الباب الظاهري ووداعته فأعرضوا عنه تمامًا كما أعرض الناس عن المسيح ولم يعودوا يؤمنون. وتهامسوا فيما بينهم كما تهامس الناس في اورشليم من قبل عندما سلّم المسيح بدوره الى بيلاطس وقيافا قائلين:

«اذا كان هذا هو الموعود حقًا فلماذا تتلاعب به اهواء أهل الأرض؟».

---

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٢٣٧-٢٤١، ٢٤٣

٢. المصدر السابق نفسه، الصفحة ٢٣٩

ايضا راجع مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٣٧٥

الفصل الثاني عشر **السجن الصخري الشاهق**

عهد بالباب الى علي خان حارس قلعة ماه‌كو حيث حبس داخل تلك القلعة الصخرية ذات الأبراج الأربعة المقامة على قمة جبل، يحدّها غربًا نهر اراكس وهو الحد الفاصل بين ايران وروسيا.

اختار رئيس الوزراء الحاجّ ميرزا آقاسي ماه‌كو لسجن الباب لسبب واحد فقط هو ان هذا الاقليم موحش لا يعرف كرم الضيافة، يقطنه قوم يكنّون دائمًا عداءً مريرًا للايرانيين. لقد منّ رئيس الوزراء على هذا الاقليم المتمرد بكثير من الافضال فأصبح الآن في قبضة يده[1]. وأيقن رئيس الوزراء انه بهذا الحبس يمكنه ان يقطع الباب بصورة دائمة عن اتباعه ويفصله عن نشاطهم. بهذه الطريقة يقضي على دينه في مهده ويُخمد سريعًا. فقلة هم الذين يمكنهم اختراق ذلك البلد المعادي، اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً.

فشلت خطة رئيس الوزراء، اذ لانت عداوة أهل ماه‌كو شيئًا فشيئًا لدماثة أخلاق الباب، كما ذابت معارضتهم لتعاليمه بحكمة كلماته. فكانوا يحضرون في كل صباح من قريتهم ماه‌كو ويجتمعون في الطريق الواقع تحت السجن وينادونه ويلتمسون منه البركة في عملهم اليومي.

كتب الباب نفسه عن أوائل أيامه في ماه‌كو قائلاً: «كان أصحابي رجلين وأربعة كلاب». ولكن تعاليمه وصلت الى الجماهير المتجمعة في الخارج. فقد كان الباب يملي على السيد حسين يزدى الذي اتى معه أسيرًا من تبريز. وكان الناس الذين يعيشون تحت القلعة يسمعون صوت الباب جليًا في اليوم الهادئ. وكتب أحد الذين شاهدوا هذه الأيام قائلاً: «... كان الجبل والوادي يرددان عظمة صوته. وكانت قلوبنا تهتزّ من اعماقها من جذب بيانه»[2].

بذل علي خان كل ما في وسعه لتثبيط الناس عن عادتهم هذه، ولكنه لم يقوَ على اخماد حماسهم. كان علي خان يرفض السماح لأي قرويّ بالمثول في محضر الباب، كما لم يأذن لأحد من اتباعه الذين يأتون الى الجبل المكوث ولو ليلة واحدة في قرية ماه‌كو. فقد كان الحاجّ ميرزا آقاسي قد حذره من خطر الوقوع تحت تأثير سحر الباب. وقال عنه رئيس الوزراء انه: «مثير للفتن».

وجد علي خان نفسه عاجزًا بصورة متزايدة عن مقاومة انجذابه نحو الباب، ففي خلال التسعة الاشهر التي قضاها الباب مسجونًا، من صيف ١٨٤٧م الى ابريل ١٨٤٨م. تعرضت عداوته الى سلسلة من التغيرات، فمن عداوة الى تفان. ومنذ تلك اللحظة حاول علي خان بكل الوسائل ان يكفّر عن بغضه السابق.

وفي ذات يوم ذهب الى الباب وقال له: «يوجد رجل مسكين ينتظر خارج بوابة ماه‌كو وهو يحنّ لبلوغ محضرك، فهل تأذن لي باحضاره الى هذا المكان لمقابلتك؟ لعل عملي هذا يشفع لي عندك وتصفح عني. وتمحى الى الابد ذكرى سلوكي القاسي نحوك ونحو اتباعك».

وافق علي خان على طلب الباب وبذل كل ما في وسعه لتخفيف وطأة الأسر على الباب. فقد كان يترك بوابة القرية مفتوحة طوال النهار لكل من يريد الحضور لدى الباب والتحدث معه وأخْذ تعليماته، لكنه كان يغلقها عند المساء.

ومما كتبه نقولاس: «يخبرنا جميع المؤرخين الموالين منهم وغير الموالين... انه بالرغم من الأوامر المشددة لمنع اتصال الباب بالعالم الخارجي، فقد كان الباب يستقبل عددًا عظيمًا من التلاميذ والغرباء في سجنه»[٣].

وصرّح مؤرخ آخر يقول: «جاءت جموع غفيرة من جميع الأطراف لزيارة الباب، وكانت البيانات الصادرة من قلم وحيه خلال هذه الفترة كثيرة الى درجة بلغ مجموعها اكثر عن مائة الف آية»[٤].

وفي خلال الأشهر التسعة هذه في ماه‌كو وضع الباب اشمل كتبه هو البيان الفارسي الذي وصف فيه رسالته بكونها رسالة مزدوجة: هي دعوة الناس للرجوع الى الله واعلان مجيء موعود جميع الأديان والعصور، وقال، ان هذا المبعوث الإلهي العظيم سوف يظهر سريعًا بعده، وان مكانة هذا المظهر الإلهي القادم عظيمة الى درجة انه اخبر اتباعه قائلاً ما معناه: «لو يسمع أحد آية واحدة من آيات من يظهره الله ويتلوها خير له من تلاوة البيان الف مرة»[٥].

وقد حثّ الباب أتباعه ان يتذكروا هذه الكلمات وان يبحثوا ويعثروا على هذا المظهر العظيم بعد وفاته هو. وأشار ضمناً ان دينه ودين الآتي بعده هما متطابقان ودين واحد. انه هو المبشر الآتي بعده المؤسس، وان هذه الحقيقة هي الآن في مرحلة النطفة وسيظهر كمالها في يوم من يظهره الله [٦]

أخبر الباب أتباعه مراراً انه لم يكن الاّ الممهد ليوم الله العظيم المذكور في جميع الكتب والصحف المقدسة وكما حذر السيد المسيح تلاميذه من اليوم الآخر بهذه الكلمات «اسهروا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم» [٧]. وردّد الباب هذا الانذار قائلاً: «انتبهوا في يوم من يظهره الله» [٨]. لم يكف الباب عن الدعاء خلال أشهر اسره في ماه‌كو ليستطيع اعداد قلوب البشر لمجيء هذا الراعي العالمي العظيم قائلا ما معناه: «يا إلهي أهلك به جميع الطغاة... وامح بعدله كل أشكال الظلم» [٩].

قال الباب انه تحدث عن اضطهاده فقط لكي يضرب مثلاً لأتباعه «فلا يفعلوا مع من يظهره الله مثل ما فعل أهل الفرقان بي» [١٠].

كتب الباب اثناء وجوده في ماه‌كو قائلاً: «وقد كتبت جوهرة في ذكره وهو انه لا يُشار باشارتي ولا بما ذكر في البيان» [١١].

لم يدع الباب أي مجال للشك في نفوس أتباعه بالنسبة لمقامه قائلاً، انه هو الفجر، والذي يأتي بعده هو الشمس، وقد أعلن قائلاً ما معناه: «لو يظهر في هذا الحين فانا أول العابدين وأول الساجدين» [١٢].

روى المؤرخ نيقولاس بأن الباب عندما كان يُسأل عن الدليل على صدق رسالته، كان جوابه مدهشاً لدقته ووضوحه وبياناته جديدة اصيلة في نوعها، وكتاباته الأدبية ذات متعة عميقة» [١٣].

لم يكف قلم الباب عن الجريان خلال الأشهر التسعة هذه. وكان اتباعه البابيّون يتقاطرون من جميع اطراف فارس لزيارته. وبعد قضائهم ثلاثة أيام كان الباب يحثّهم على العودة الى مواطنهم ومتابعة اعمال التبليغ وتثبيت الأمر.

وبالرغم من العزلة التي فرضها رئيس الوزراء على الباب، فقد أُتيحت له الفرصة لا لمقابلة اتباعه فحسب، بل والأهمّ من ذلك هو انه تسنّى له الوقت الكافي لتبيّن الحقائق الأساسية لرسالته تبيّناً ثابتاً.

وفي غرفته المنعزلة هذه ، لم يُسمح له حتى بايقاد سراج. وكان الشتاء قارصًا بدرجة ان الماء الذي كان يغتسل به كان يتجمد على شكل قطرات على وجهه.

وفي تلك الأثناء قرّر الملا حسين زيارة الباب في ماه‌كو [١٤]. لقد كان الملا حسين يبلّغ الدعوة بجدّ في مدينة مشهد التي هي أعظم مركز للحجّ في بلاد فارس كلها. كان نصف أهاليها يتعيشون من سيل الزوار. وقد تجمع كل اولئك الناس ضدّ هذا المبلّغ الذي قد يحرمهم من مورد رزقهم قائلين ان محاربة الفساد الديني قد تصحّ في أية مدينة أخرى، ولكن من المؤكد انه لا يليق محاربتها في مشهد التي تعيش من هذا الفساد كل فرد من جميع الطبقات. ليظهر الموعود ما شاء له ان يظهر، وقد يحقّ له ذلك، لكن مما لا شك فيه انه سوف يكون مصدر إزعاج عام. وقد أوضحوا للملا حسين قولاً وفعلاً، بأنه قد يكون شيئًا مثيرًا حقًا ان يقوم هو والباب بقهر العالم وفتحه، ولكن هذا ينطوي على مجازفة عظيمة، ناهيك عن التعب والخطر، خاصة الآن حيث ينعم كل فرد بالهدوء التام في مدينة جميلة ذات تجارة رائجة ويستطيع كل فرد فيها كسب قوته بكل سهولة واطمئنان.

ترك الملا حسين مشهد مشمئزًا منها، فقد كان تواقًا لمحضر الباب ذلك المحضر الطاهر المقدس. وقال لاصدقائه: «لقد عقدت النية ان أقطع المسافة التي تفصلني عن محبوبي سيرًا على الأقدام. ولن أستريح حتى أصل الى بغيتي».

وفي صباح يوم، رأى الحارس علي خان الملا حسين يقترب من ماه كو عند الشروق. فاسرع اليه مرحبًا بقدومه وأحضر معه حصانًا لكي ينهي الملا حسين المرحلة الأخيرة من سفره براحة.

رفض الملا حسين ركوب الحصان قائلاً: «اني نذرت ان أقوم برحلتي هذه كلها مشيًا على الأقدام وسأسير الى قمة هذا الجبل وسأزور هناك سجينك».

وعندما وصل الملا حسين الى باب السجن شاهد الباب واقفًا عند العتبة. مد الباب ذراعيه وعانقه بكل محبة.

وفي ذات يوم بينما كان الباب والملا حسين واقفين معًا على سطح السجن ينظران الى جبال آذربيجان، ذكر الباب النبوءة الآتية للملا حسين: «لا بد لنا من آذربيجان. ما لا يقوم لها شيء فإذا كان ذلك فكونوا اجلاس بيوتكم فإذا تحرّك محرك فاسعوا إليه».

التفت الباب الى الملا حسين واستشهد ببيت من الشعر وكأنه قال قائله بالهام ربّاني: «سوف تعمّ الضجة شيراز. وسيظهر فيها فتى حلو اللمى وأخشى أن تهيج أنفاسه بغداد» *.

وقال الباب للملا حسين ان جزءًا من هذه النبوءة قد تحقق وسرّ ما تبقى سوف يظهر عام ١٨٥٣م. ثم ألقى الباب بنظرة ناحية الغرب حيث ينساب نهر اراكس أسفل سفح القلعة، وكشف أيضًا للملا حسين عن نبوءة أخرى تقول: «ان الكنوز الإلهية مخبوءة تحت عرش الرحمن ومفاتيحها السنة الشعراء» واستطرد قائلاً ذلك هو النهر وهذا شاطئه الذي كتب عنه الشاعر حافظ الشيرازي قائلاً:

يا نسمة هابة على جانبي اراكس قبلي ثغر ذاك الوادي وعطري منه انفاسك
ويا ديار سلمى تحية منا لك بعد ان دوى فيك صوت الحادي وجلجلة اجراسه ••

قال الباب للملا حسين: «لولا قصر مدة اقامتك لاريناك ديار سلمى كما كشفنا لك عن شواطئ اراكس».

قصد الباب بديار سلمى سجن جهريق الذي سينقل اليه بعد وقت قصير، والذي يقع بجوار بلدة سلماس.

قص الباب على الملا حسين كثيرًا من الحوادث التي ستقع في المستقبل وأمره ان لا يُطلع عليها احدًا.

وعندما ودّع الباب الملا حسين الوداع الأخير قال له: «لقد سرت على الأقدام طوال الطريق من موطنك الى هذا المكان، وسيرًا على الأقدام يجب ان تعود... فان ايام فروسيتك لم تأت بعد. لقد قدّر لك ان تظهر من الشجاعة والبطولة والمهارة ما سوف يكسف سناها كل ما قام به الأبطال في قديم الزمان». وأمر الباب الملا حسين بزيارة المؤمنين في كل قرية يمرّ بها وقال: «اشعل قلوبهم من جديد... ومكّن ايمانهم بهذا الظهور».

• ترجمة تقريبية للبيت الفارسي:

شيراز پرغوغاشود شكّرلبي پيداشود
ترسم كه آشوب لبش برهم زند بغدادرا

•• ترجمة تقريبية للبيتين الفارسيين:

اى صبا گر بگذري برساحل رودارس
بوسه زن برخاك آن وادى مشكين كن نفس
منزل سلمى كه بادش هردم ازما صد سلام
پرصد اى كاروان بيني وآواى جرس

(المعرّبان)

وقال له أيضًا : «بعد رحيلك ببضعة أيام سينقلوننا الى جبل آخر . وستصلك اخبار انتقالنا من ماه‌كو قبل ان تصل الى مقرك».

تمّ سريعًا ما تنبأ به الباب . فالأشخاص الذين ارسلهم رئيس الوزراء لمراقبة ما يدور في ماه‌كو سرًا قد أرسلوا اخبارًا تُنذر بالخطر قائلين : «ان عداء أهل ماه‌كو المألوف قد تبدل الآن نحو الباب الى محبة واحترام عظيمين». واعترفوا «بأن الناس يحضرون الى زيارته من كل فج. حتى علي خان نفسه أصبح مفتونًا به ويعامله كضيف لا كسجين».

وبدافع من الخوف والغضب أصدر رئيس الوزراء أمره بنقل الباب فورًا الى سجن جهريق الذي هو أشد قسوة والذي اطلق عليه اسم «الجبل الشديد».

كان الملا حسين في تبريز عندما وصلت إليه انباء نقل الباب الى جهريق.

ودّع الباب أهالي ماه‌كو وكان الحزن يملأُ قلوبهم من منظر فراقه المؤلم. فالشخص الذي أحبوه حبًا جمًا والذي عرفوا فيه خلال الأشهر التسعة من الأسر التي قضاها بينهم قوة شخصيته العظيمة ، وسموّ أخلاقه سوف يبتعد عنهم الى الأبد.

---

١. المجلة الآسيوية ، ١٨٦٦ ، المجلد السابع ، الصفحة ٣٥٦
٢. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٤٩
٣. مسيونيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٦٥–٣٦٦
٤. التاريخ الجديد ، الصفحة ٢٣٨
ايضا نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٤٨ الهامش الرقم ١
٥. مقالة سائح ، الصفحة ٣٤٩
٦. شوقي افندي – نظم بهاء الله العالمي ، الصفحة ١٠٠
٧. انجيل متى ، الفصل ٢٤ ، الآية ٤٢
٨. مسيو نيقولاس – ترجمة الدلائل السبعة ، الصفحة ٦٤–٦٥
٩. المصدر السابق ، الصفحة ٦٤–٦٥
ايضا نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الهامش الرقم واحد ، الصفحة ٢٤٩
١٠. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٦٥–٣٦٧
١١. شوقي افندي – نظام بهاء الله العالمي ، الصفحة ١٠٠
١٢. بهاء الله – لوح ابن الذئب – الصفحة ١٧١
١٣. مقدمة مسيو نيقولاس لترجمة الدلائل السبعة الصفحة ١٢–١٣
١٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٥٤–٢٦٠

الفصل الثالث عشر **الجلد في تبريز**

تعرّض الباب في جهريق الى حبس أشد عنفًا. فقد أصدر رئيس الوزراء أوامره المشددة الصريحة الى يحيى خان حارس قلعة جهريق (صهر محمد شاه)، طلب فيها منه ان لا يسمح لأحد بمقابلة الباب، ولا استثناء في ذلك. وأنذره ان يتّعظ بفشل علي خان حارس ماه‌كو، ولا يتجاهل أبدًا الأوامر التي تلقاها ولو لحظة واحدة، هذا اذا أراد ان يحتفظ بحياته.

وعلى الرغم من هذا التهديد الواضح لسلامته، وجد يحيى خان نفسه عاجزًا عن اطاعة هذه الأوامر. فقد شعر هو أيضًا بقوة سجينه الفائقة، فنسي تمامًا الواجب الذي كان من المنتظر منه القيام به، اذ سيطرت محبته للباب على كيانه، حتى أصبح يفضل ان يُقتل على أن يتسبّب في أدنى مضايقة له.

اما القرويون سكان جهريق الذين كانوا أشد تعصبًا في كراهيتهم للباب من أهل ماه‌كو فقد وقعوا تدريجيًا تحت تأثير وجود الباب المبدّل للنفوس. فالروح التي كانت تشعّ منه كانت روحًا خلاّقة، بدلت الكراهية الى محبة، والاعداء الى اصدقاء.

يؤيد ذلك الرواية التاريخية الآتية: «كانت اخلاقه نادرة من حيث النبل والجمال، وشخصيته وديعة ولكنها قوية، يمتزج لطف سحره الفطري بلباقة وحكمة زائدة بدرجة انه بعد اظهار دعوته سرعان ما أصبح شخصية ذائعة الصيت في جميع انحاء ايران. فقد كان يكسب اليه كل من اتصلوا به، كثيرًا ما حول سجّانه الى مؤمن بدعوته، وبدّل ألدّ الاعداء الى أصدقاء معجبين»[1].

لقد تضاءل عدد الزائرين في ماه‌كو امام من قدموا الى زيارته في جهريق. لم يقف

يحيى خان في وجه أي زائر يريد رؤية الباب ، بذلك ضاقت جهريق لضخامة عدد الزائرين. واضطروا للبقاء في جهريق القديمة ، التي هي على بعد ساعة من القلعة.

ومما كتبه موشنين (M. Mochenin) في مذكراته اثناء عمله مع إحدى المنظمات الأجنبية في تلك الجهة قائلاً : «كانت جموع المستمعين حول الباب عظيمة بدرجة ان ضاق الفناء بهم ، وظل أغلبهم في الشارع ينصتون اليه بسرور مفرط»[٢].

كانت جميع احتياجات الباب تُشترى من جهريق القديمة. وفي ذات يوم اشتُري له عسل بسعر بدا باهظًا ، فردّه قائلاً : «لا شكّ ان عسلاً اكثر جودة من هذا يمكن الحصول عليه بثمن أقل ، عليكم ان تتبعوا طريقتي في جميع معاملاتكم فلا تغشوا جاركم ولا تسمحوا له ان يغشكم». وأصرّ على اعادة العسل وشراء عسل آخر بدلاً عنه يكون اكثر جودة وأقل ثمنًا[٣].

أثناء تلك الأيام حضر درويش من الهند سيرًا على الأقدام ليبحث عن الباب. وبمجرد ان قابله اعتنق دعوته. وقد روى ذلك الدرويش القصة التالية قائلاً : «كنت من رجال الدولة في الهند أشغل منصبًا عاليًا. ظهر لي في الرؤيا شاب يحدق فيّ ، وقد استطاع ان يستأثر بقلبي. فنهضت وبدأت أسير خلفه. فنظر إليّ بكل إمعان وقال: «جرّد نفسك من ملبسك الفاخر واترك بلدك واسرع لمقابلتي مشيًا على الأقدام ، في آذربيجان ، وفي جهريق تصل الى محبوب قلبك» فاتبعت أوامره حتى وصلت الآن الى بغيتي».

هذه القصة هي مصداق للنبوءة الخاصة بآخر الزمان التي تقول : «سوف تأتي الناس من أماكن بعيدة مهتدين بالروح لملاقاة الموعود»[٤].

كانت هذه الحادثة واحدة من كثير من تلك الحوادث البارزة التي تتابعت سريعًا وأشعلت هياجًا في جهريق فاق بكثير ما حدث في ماه‌كو. فقد كان هناك سيل لا ينقطع من الباحثين والأتباع الذين كانوا يتدفقون ذهابًا وايابًا من مدينة السجن القديمة جهريق واليها من عظماء الرجال والعلماء البارزين حتى موظفي الحكومة كانوا يسرعون لاعلان ايمانهم علانية. حدث ان أعلن أحد الموظفين الكبار المشهود له بالعلم وسعة الاطلاع ايمانه بدعوة الباب وكرس نفسه وقلمه لنشرها. فأطلق عليه الباب اسم «ديان». كان ديان في بادئ الأمر معارضًا لدعوة الباب. وفي احدى الليالي رأى حلمًا كتب على أثره خطابًا للباب يقول فيه : «انني احتفظ ببعض مسائل في ذهني ، أرجو منك ان تكشف لي عنها». وبعد مضي بضعة أيام تسلم رسالة بقلم الباب يصف له حلمه ويكشف عن

الكلمات نفسها التي كان يكنها في خاطره. كانت الإجابة دقيقة بدرجة انه آمن بالباب فورًا وسار على قدميه الى الجبل لملاقاته. أشعلت فيه هذه المقابلة نار الحماس الذي لم يخمد حتى آخر حياته.

علم الباب بدنوّ ساعة عذابه الأخيرة. فأمر أتباعه الملتفين حوله في جهريق بالتفرق والعودة الى موطنهم لمباشرة أهم واجب عليهم، الا وهو التبليغ. كما امر تلميذه الهندي بالعودة الى بلده والعمل دون توقف لنشر الكلمة. فقام على الفور ملبيًا أمر الباب مرتديًا أبسط الثياب، وسار وحيدًا يحمل عصاه بين الجبال، يبشر بكلمة الله كل من يلاقيه في طريقه الى ان وصل بلده.

انتظر الباب بكل هدوء ورضا امر الحاج ميرزا آقاسي المحتوم الذي لم يتأخر كثيرًا. فما ان وصلت أخبار هذه الحوادث المثيرة الى العاصمة حتى اشتد غضب رئيس الوزراء. فقد فشل للمرة الثانية، وعلم ان عليه ان لا يفشل في المرة الثالثة. وأصدر امره بنقل الباب على الفور من سجنه في جهريق الى مدينة تبريز. وشدّد على عدم الاتصال بأي بلدة امتد اليها نفوذه وأوعز باحضاره الى تبريز عن طريق تمر عبر قرية أرومية.

ولكن سرًا كهذا لا يمكن كتمانه. فعندما وصل الباب الى قرية ارومية استقبله البرنس ملك قاسم ميرزا بكل احترام وأرسل اليه حرسًا من المشاة ليفسحوا له الطريق وسط الجماهير المتعطشة لرؤيته. فقد كانت جموع الشعب تتزاحم كل يريد الفوز بنظرة الى هذا السجين العجيب.

أعدت الأمور لكي يذهب الباب الى الحمام العمومي. أراد البرنس ان يمتحن قوة ضيفه الباب وشجاعته بعد ان سمع عنه هذه الروايات الغريبة. فأمر سائسه ان يقدّم جوادًا من أشد جياده هياجًا وأصعبها مراسًا. خاف السائس الذي تعلق قلبه بالباب ان يناله اذية من هذا الحيوان الشرس. فاقترب من الباب سرًا وأخبره بذلك محاولاً إقناعه بعدم ركوب هذا الحصان قائلاً: «ان هذا الحصان قد أطاح بأمهر الفرسان وأشجعهم من على ظهره». أجابه الباب: «لا تخف، افعل كما أمرت واتركنا الى عناية الله».

علم أهالي ارومية بخطة البرنس فأسرعوا في الصباح التالي وملأوا الميدان العام متلهفين لمشاهدة الاختبار ورؤية ما سيحدث للباب. أحضر ذلك الجواد الشرس من الاسطبل، وسلم السائس المذعور اللجام للباب بغاية الحذر. تقدم الباب بكل هدوء نحو الجواد وطبطب عليه بلطف ثم أدخل قدمه ببطء في الركاب وامتطاه دون ان تصدر من الحصان ادنى حركة. وسار الباب الى الحمام وسط الجماهير التي قدمت من كل مكان وتجمعت على

طول الطريق مندهشة من هذه المعجزة ومعلنة ايمانها بدينه. امتطى الباب الجواد عينه عند عودته فقابلته الجماهير بالهتاف والحماس مرة اخرى.

وبمجرد ان غادر الباب الحمام اندفع اهالي ارومية الى الداخل، واغترفوا بأوانيهم الماء الذي استعمله الباب وعادوا به الى منازلهم المنتشرة في جميع انحاء القرية. ذكر البعض الحديث المشهور للامام علي الذي أشار فيه الى الموعود حيث قال: «ان بحيرة ارومية سوف تغلي وتطفو على الشاطئ وتفيض على المدينة»[٥].

عندما قيل للباب ان عددًا كبيرًا من الناس اعلنوا ايمانهم بدعوته تلقائيًا بسبب الحوادث العظيمة التي اعتبروها من المعجزات. ذكر بحزن الآية القرآنية: «احسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟».

تحقق تمامًا هذا القول في موقف اهالي ارومية من الباب عندما وصلتهم انباء المعاملة المريعة التي واجهها الباب في تبريز، فالقليل منهم من استقام على الأمر وأعلن ايمانه بكل اخلاص. كان على اتباع الباب ان يدركوا بـأنّ المعجزات ما هي الا دليل ثانوي لصحة الرسالة الإلهية، وانها ليست بالبرهان الخالد، بل تنحصر قيمتها فقط في اولئك الذين يشاهدونها بأعينهم. تمامًا مثلما حدث ايام المسيح عندما ابرأ عشرًا من المجذومين ولم يبق منهم الا واحد فقط ليشكره. فقال: «ألم يكن عدد الذين شفوا عشرة؟ اين التسعة الباقون؟»[٦].

سبقت قصص ما حدث في أرومية الباب وأصحابه الى تبريز، فأشعلت موجة من الحماس. كانت تبريز على الأخص في اضطراب شديد. فأهاجت اخبار قرب وصول الباب مشاعر الجماهير. كما اشعلت أشد أنواع العداوة في قلوب علماء الدين. تجمع الناس عند مدخل المدينة عن بكرة ابيهم يتطلعون الى مقدم الباب بحماس عظيم.

اشتد حماس الجمهور بدرجة قررت الحكومة حجز الباب خارج ابواب المدينة. ولكن لم يفلح هذا في منع انفعال الجماهير المتزايد. اتخذت التدابير وأعلنت الانذارات واستعملت القوى فلم يزدهم الاّ حماسًا. تأزم الموقف تمامًا، فقد سيطر الباب على مشاعر الجماهير ولم يتمكن العلماء ولا الحكام من تقليل حب الشعب له.

اصدر رئيس الوزراء الحاج ميرزا آقاسي أوامره من العاصمة طلب فيها من أكابر الزعماء الدينيين ورجال الحكومة عقد اجتماع عاجل. بيّن لهم بوضوح خطورة الموقف وقال: على الزعماء الدينيين اتخاذ اجراءات فعالة لاخماد هذه النار التي أشعلها الباب فورًا.

عليهم انهاء سيطرة الباب على مشاعر الجماهير. لا مجال لارتكاب خطأ ما. يجب مثول الباب أمام هذا الحشد من العلماء ويتمّم إهانته بحيث يقوض نفوذه الى الأبد.

كان الباب على علم تام بما يدبره له رئيس الوزراء. في الليلة الثانية بعد وصوله الى تبريز قال لاتباعه: «غدًا وفي حضور ولي العهد وبين الجموع المحتشدة من العلماء والأعيان سوف اعلن دعوتي»[٧].

اكتمل عقد الاجتماع في مقرّ الحاكم حسب الخطة التي رسمها رئيس الوزراء. أرسل احد الضباط لاحضار الباب. اسرع الناس منذ الفجر واحتشدوا عند مدخل قصر الحاكم كي يفوزوا بنظرة الى وجه الباب. كان ازدحامهم بدرجة اضطرت العسكر الى شق طريق امام الباب وسط هذه الكتل البشرية.

دخل الباب قاعة الاجتماع فوجد جميع المقاعد مشغولة عدا مقعد واحد اعد لوليّ العهد فحيّا الباب المجلس بلطف وأدرك انهم يريدون اهانته بتركه واقفًا امامهم. وبدون تردد توجه الى مقعد الشرف هذا وجلس عليه. خيّم صمت طويل على الجميع، فقد خاب ظنهم، وأخذ الغضب يسري في وجوههم. وأخيرًا قطع رئيس الاجتماع الصمت بتوجيه سؤال الى الباب:

«ماذا تدّعي انت؟ وما هي الرسالة التي أتيت بها؟».

لقد أعاد التاريخ نفسه. فعندما أخذ المسيح الى قاعة المحاكمة امام العلماء الدينيين ليحكموا عليه بما سبق وقرروه من قبل، سألوه: «هل انت المسيح؟» أجابهم: «نعم أنا هو»[٨]. فلم يبق هناك أدنى شك حول رسالته.

وبنفس الطريقة وبكلمات مشابهة أجاب الباب على الحاضرين الذين أرادوا ان يستمعوا اليه وهو يصدر الحكم على نفسه، وذلك بسبب هذا الإدعاء المذهل وعدم تراجعه. فقد كرر الباب مرات ثلاث القول:

«انا هو. انا هو. انا هو الموعود الذي ما زلتم ترجونه منذ الف عام وتقدمون اجلالاً لذكره. وتتشوقون للقائه، وتتضرعون الى الله ان يعجل ساعة ظهوره. اني اقول انه ينبغي لأهل الشرق والغرب اطاعة كلمتي وتقديم الولاء لي».

قال شاهد عيان لهذا الحادث المثير: «فور اظهار نفسه بكونه الموعود استولى على الحاضرين شعور بالخوف والمهابة كما دل اصفرار وجوههم على اضطراب قلوبهم».

وسجل خبر ذلك الاجتماع في مكان آخر: «كانت المهابة بادية في سلوكه، وفيض

الثقة متربعًا على جبينه. لاسيّما روح القوة المشرقة من كيانه التي سحقت أرواح الحاضرين».

ساد الصمت القاعة، وأصبحت أعصابهم لا تتحمل توترًا أكثر من هذا، فنهض أحد الحاضرين وصرخ في وجه الباب قائلاً:

«ايها الشقي الفج صبي شيراز، هل تريد أن تثير الشغب هنا؟».

التفت الباب الى رئيس الاجتماع وخاطبه قائلاً: «يا فضيلة الشيخ... لم أحضر الى هنا من تلقاء نفسي، بل استدعيت الى هذا المكان».

لم يوجه اليه المسؤولون أي سؤال صادق يتعلق بصميم رسالته أو تعاليمه، بل راحوا يوجهون الاهانات والأسئلة التي لا تمت بصلة الى دعوته، والتي قصدوا من ورائها تحقير سجينهم. وبعد ان صبر الباب على سفاهاتهم وإهاناتهم خاطبهم بهذه الآية الكريمة: «سبحان ربّك ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين». وعلى الفور قام وغادر المكان.

شنّ العلماء على الفور حملة مضللة من الأقاويل الملفقة والتقارير الباطلة حول دور الباب في تلك المحاكمة، وادعوا بان اجاباته كانت صبيانية وغير مقنعة لا تصدر عن شخص عاقل فكيف بالموعود المنتظر.

لحسن حظ التاريخ، حفظ لنا اثنان من المستشرقين الأوربيين تقريرًا خاليًا من التعصب عن هذه الحوادث بعد أن قاموا بتحريات كثيرة، أولهما الدكتور ت. ك. شين، (Dr. T.K. Cheyne) وهو قس مسيحي وطالب في دراسة تلك الفترة. فقد كتب يقول:

«ان التقارير الاسلامية عن المحاكمة التي هي أمامنا ليس فيها أي أساس من الصحة، بل يظهر انها تزويرات وبناء على معرفتنا للباب، فمن الأرجح انه ادلى بأقوى الحجج، وان العلماء والمسؤولين الذين حضروا الاجتماع لم يرغبوا في تدوين هزيمتهم»[٩].

والثاني هو الأستاذ ادوارد براون (Professor EdwardG. Browne) من جامعة كمبرج، الذي وصف الأسئلة التي وجهت الى الباب بأنها «تافهة غير مهذبة». وكتب عن المحاكمة قائلاً: «ومما لا شك فيه ان المحاكمة برمتها كانت مهزلة والحكم كان متفقًا عليه من قبل وانه لم يكن عند المجتمعين اذ ذاك أي غرض في التعرف على طبيعة وصحة

دعوة الباب وتعاليمه ، وان المجلس من بدايته الى نهايته انحصرت مداولاته في التهكم والسخرية والاستهزاء والمهاترة ويظهر هذا جليًا من التقارير الاسلامية والبابية»[10].

وحتى رئيس الجلسة حاجي ملا محمود لم يكن راضيًا عن الطريقة التي سارت بها المحاكمة بدرجة لم يرغب ان يقترن اسمه بها وقال : «يا لعار هؤلاء الناس وقلة أدبهم. فما العلاقة بين هذه الأسئلة التافهة وبين التحري النزيه عن مثل هذا الأمر الهام كالذي يدعيه الباب ؟» .

أشار أ. ل. م. نيقولاس (A.L.M. Nicolas) الى استجواب سابق أجراه معه مثل هؤلاء العلماء المعادين الذين اشترطوا لايمانهم بصحة عقيدته اظهار مقدرته في تبيين ثلاث معجزات لهم هي اولاً : كيف استطاع الإمام الجواد ان يطوي المسافة بين بلاد العرب وفارس في غمضة عين بجسده؟ ثانيًا : كيف يمكن للامام علي ان يتواجد في ستين مكانًا مختلفًا في آن واحد؟ ثالثًا : كيف كانت السماء تدور بسرعة اثناء حكم الظالم ، وببطء اثناء حكم الامام؟» .

علّق نيقولاس قائلاً : «انهم اقترحوا على الباب ان يحل هذه الخزعبلات ولن أطيل الحديث عنها... اذ يستطيع المرء ان يحكم بسهولة على مقدار سخف هؤلاء العلماء وغطرستهم»[11].

أُحضر الباب الى منزل الميرزا علي أصغر شيخ الاسلام وسُلّم الى حارس الحاكم الخاص لجلد الباب. رفض الحارس القيام بمثل هذا العمل قائلاً : «ليس هذا عملاً رسميًا أقوم به : انه من اختصاص رجال الدين» .

ولما لم يطق ميرزا علي أصغر صبرًا على التأخر في تنفيذ الحكم ، عزم على تنفيذ العقوبة بنفسه. لعله يبخس بهذا من انتصارات الباب التي اكتسبها على مشهد من الجميع .

وتمامًا مثل ما حدث للمسيح عندما وقع تحت سياط بيلاطس بعد التحقيق معه في قاعة المحاكمة حيث أعلن انه هو المخلص لبني البشر ، واجه الباب أيضًا الاهانات نفسها عقب نفس المحاكمة والاعلان العظيم نفسه فقد جلد احدى عشرة جلدة بالعصي على قدميه ، أصابت احداها وجهه وأحدثت به جرحًا كبيرًا.

استُدعي الطبيب الانجليزي الدكتور كورمك (Dr. Cormick) الذي كان يُقيم في تبريز لعلاج الباب وقد سجّل لنا هذا الطبيب انطباعات عن الباب خلال تلك المقابلات قائلاً : «كان رقيقًا وسيم الطلعة... له صوت ملائكي عذب نفذ الى اعماق

قلبي... قلت له انني اريد ان اعرف شيئًا عن دينه لأنني ربما اعتنقه، فدقق النظر فيّ وأجابني انه لا يشك في ان جميع الأوربيين سوف يؤمنون به». وأضاف الطبيب قائلاً: «كانت هيئته تجذب الانسان نحوه»[١٢].

لم يفرجوا عن الباب بعد جلده، بل سيق مشيًا على الأقدام الى سجن جهريق تحت حراسة مشددة. غير انه ترك وراءه في تبريز ذكرى انتصارات باهرة. فكثير من أعدائه أصبحوا أتباعًا له. وأشار كثيرون بإصبع الاتهام الى سلوك العلماء القاسي وهم يرددون تلك النبوة الخاصة بالموعود «... وفي زمانه يكون أكثر اعدائه من العلماء».

والذين شعروا بحزن عظيم للقسوة التي عومل بها شخص لطيف مثل الباب جاءتهم هذه الكلمات من الباب تواسيهم: «اصبروا... فقد قطع الله على نفسه عهدًا أن يشيد مجده في جميع انحاء الأرض وبين أهل العالم أجمعين».

مكنّت المحاكمة في تبريز الباب من تبيين المعالم الأساسية لدعوته كما أتاحت له الفرصة لدحض حجج اعدائه بأسلوب مختصر مقنع. وكما قال المسيح «ان تعاليمي ليست مني بل من الذي ارسلني». كذلك بين الباب ان رسالته هي فيض من شخص أعظم منه، وان مقصده ان يعلن ان كلمة الله هو رسول الله وللناس مطلق الحرية في اختيار طريق الايمان أو المضي في غيّهم.

عندما عاد الباب الى قلعة جهريق حرر خطابًا مؤثرًا استنكر فيه رئيس الوزراء الغدّار الحاجّ ميرزا آقاسي وتنبأ بسقوطه العاجل وأنذر فيه جميع الحكام الذين يُعرضون عن الحق ويُغلقون الباب في وجوه اولئك الذين تركوا مصائرهم في قبضتهم.

سلم الباب هذا الخطاب الى أحد تلاميذه وأمره ان يوصله الى يد الحاجّ ميرزا آقاسي. وأُطلق على هذا الخطاب اسم «الخطبة القهرية»، استهلها الباب بقوله: «يا من كفر بالله...»[١٣].

أخذ القصاص الإلهي منذ تلك الساعة ينزل على كل من اضطهد الباب وتلاميذه، ويتعقب تلك الشرذمة من جلاديه زعماء تبريز[١٤]. فشيخ الاسلام ميرزا علي أصغر الذي جلد بيده الباب في المسجد داهمته مصائب عظيمة. كان الناس يخشونه وفي نفس الوقت يحتقرونه ويدعون الله ان يخلصهم من شره. وفجأة أُصيب بالشلل ومات بعد ان قاسى آلامًا مبرحة مدة طويلة وبموته أُلغي منصب شيخ الاسلام نهائيًا من تبريز. وأصبح اسم المؤسسة التي اقترنت باسمه مبغوضًا عند الناس بدرجة انهم استعملوه للتحقير[١٥].

حتى محمد شاه الملك نفسه لم يفلت من العقاب. فقد كان ضعيف الشخصية بدرجة انه استجاب الى كل ما كان يمليه عليه رئيس الوزراء، وامتنع عن مقابلة الباب رغم الطلب الذي قدمه الباب اليه في رسالة خاصة، وبدلاً عن ذلك اختار الملك نفيه الى سجن جبلي بعيد. وما ان أصدر محمد شاه أمره هذا حتى انتابه سوء الطالع فجأة، فقد اندلعت الثورة في عدد من ولايات مملكته. وتدهورت صحته تدهورًا سريعًا. وأخيرًا توفي وهو في الاربعين من عمره، بعد ان وقع فريسة لمضاعفات أمراض عديدة تنبأ له الباب بأنها سوف تقضي عليه.

اما رئيس الوزراء الحاجّ ميرزا آقاسي، رئيس المتآمرين، الذي شنّ حملته ضد الباب، أصبح الهدف الأكبر لهذا القصاص الإلهي، وما ان انصرم عام ونصف على تدخله بين الباب والملك ومنع لقائهما، حتى أُطيح به من الحكم. وبينما كان الباب مقيمًا في سجنه الذي أرسله اليه الحاجّ ميرزا آقاسي والذي منه أرسل الباب رسالته القهرية عزل رئيس الوزراء من منصبه بعد ان لطخه العار والخزي. كما جرد من جميع أمواله وممتلكاته التي حصل عليها بطرق غير مشروعة.

كتب س. رماركهام (C.R. Markham's) في كتابه تاريخ ايران: «ان الحاجّ ميرزا آقاسي رئيس الوزراء العجوز شبه المعتوه... كان يجمع لنفسه بكل جد ونشاط الثروة في طهران على حساب البلاد التعيسة. فقد كانت مناصب حكام الولايات تباع لمن يعرض اكبر قدر من المال، وكان هؤلاء الحكام بدورهم يجورون على الشعب بطرق بشعة»[١٦].

وعندما افتضح أمره للشعب وظهرت بشاعة افعاله وسرقاته، لاذ بالفرار من غضب قومه. لقد كان الحاجّ ميرزا آقاسي قد طرد الباب من موطنه ونفاه الى مكان بعيد، واليوم جاء دوره فطرد من البلاد ونفي الى العراق، وهناك وقع فريسة للمرض والحزن.

ذكرت الجريدة الاسيوية: «ان حزنه الأكال قضى على البقية الباقية من حياته»[١٧].

وقد سجل لنا التاريخ وصفًا لأواخر ايام حياة الحاجّ ميرزا آقاسي حيث يقول: «واجه الموت وهو في عذاب لا يوصف وفقر مدقع»[١٨].

١. شوقي افندي – مقدمة مطالع الأنوار، الصفحة ٣٣
٢. ٢. المجلة الآسيوية، المجلّد السابع، الصفحة ٣٧١
٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣٠٣
٤. المصدر السابق، الصفحة ٧٠
٥. المصدر السابق، الصفحة ٣٠٩–٣١١
٦. انجيل القديس لوقا، الفصل السابع عشر، الآية ٧
٧. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣١٣–٣٢٢
٨. انجيل القديس مرقس، الفصل الرابع عشر، الآية ٦٢
٩. Dr. T.K. Cheyne, *The Reconciliation of Races and Religions*, p. 62
١٠. مقالة سائح، الصفحة ٢٩٠
١١. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٢٣٩–٢٤٠
١٢. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣٢١–٣٢٢
١٣. المصدر السابق، الصفحة ٣٢٣
١٤. شوقي افندي – *God passes by* الصفحة ٨١–٨٢
١٥. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣٢١
١٦ C.R. Markham, *A General Sketch of the History of Persia*, 486-487
١٧. المجلة الآسيوية، ١٨٦٦، المجلد السابع، الصفحة ٣٦٧–٣٦٨
١٨. نبيل زرندي، مطالع الأنوار، الصفحة ٥٢٥

الفصل الرابع عشر **مذبحة قلعة الشيخ طبرسي**

توفي محمد شاه وأصبح ناصر الدين شاه الحاكم الجديد وكان يبلغ آنذاك السابعة عشرة من عمره. كما سقط الحاجّ ميرزا آقاسي من سدة الحكم وجيء بميرزا تقي خان رئيسًا للوزراء.

كان الملك الشاب أقل مودة من أبيه. وكان رئيس الوزراء أغلظ قلبًا في حكمه، وبغضه للباب أشد قسوة من بغض آقاسي له. فلقد استخدم كلاً من السلطة المدنية والدينية في شنّ هجماته على الباب وأتباعه البارزين، وعزم على أن لا يقع في الخطأ الذي وقع فيه سلفه وينتظر طويلاً.

انتشرت سريعًا في جميع انحاء ايران انباء انتصارات الباب على ممتحنيه من علماء تبريز، فأوقدت حماسًا جديدًا في قلوب أنصاره فضاعفوا جهودهم لنشر تعاليمه، كما أشعلت ردّ فعل مضاد بين اعدائه. وبتشجيع من رئيس الوزراء الجديد اكتسحت البلاد موجة من العنف لم يسبق لها نظير من قبل جرفت معها أقوى أتباع الباب ويمكن اعتبار هذه الفترة القصيرة والمظفرة أدمى فترة وأكثرها عنفًا منذ ظهور دعوته.

ولا تكمل قصة حياة الباب الآنّ بالتحدث عن تلاميذه الذين ضحّوا بكل شيء في الحياة مبرهنين بذلك على حبهم وتفانيهم لدعوة صاحبهم. فالبعض منهم سبق الباب الى ساحة الاستشهاد والبعض الآخر لحقوا به بعد فترة قصيرة ولم يفلت احد من اتباعه البارزين من لقاء مصرعه خلال هذه الفترة القاسية من الاضطهاد.

كان القدوس مسجونًا في قرية ساري وسارع الملا حسين لانقاذه. فقد جاء رسول من الباب الى الملا حسين حاملاً عمامة الباب. وقالت له رسالة الباب: «زيّن رأسك بعمامتي

الخضراء... وبالراية السوداء المنشورة أمامك أسرع وقدِّم مساعدتك الى حبيبي القدوس».

ترك الملا حسين على الفور ولاية خراسان وتوجه الى ساري وسار حزبه الصغير تحت الراية السوداء التي رفعها الملا حسين كي يعرف كل من يريد الانضمام اليهم أنهم من أتباع الباب. وقد ظل العلم الأسود يخفق باستمرار فوق رؤوس جماعته الصغيرة مدة أحد عشر شهرًا. داعيًا ناظريه الى الانقطاع عن العالم واعتناق دين الله. انه كان العلم نفسه المتنبأ عنه لآخر الزمان: «اذا رأيتم الرايات السود اقبلت من خراسان فأسرعوا اليها ولو حبوًا على الثلج، فانها تبشّر بظهور خليفة الله المهدي»[1].

وصل الملا حسين وأتباعه الى مفترق في الطريق المؤدي الى مازندران. فنصبوا خيمهم تحت شجرة كبيرة على ضفة نهر جار. خاطب الملا حسين أتباعه قائلاً: «نحن الآن على مفترق الطرق. وسوف ننتظر هنا اشارة تدلنا على الطريق الذي علينا ان نسلكه».

وفي ذات يوم قامت عاصفة شديدة اقتلعت غصنًا كبيرًا من الشجرة. فعقب الملا حسين على ذلك قائلاً لقد اقتلعت سلطنة محمد شاه من جذورها وألقيت على الأرض.

وفي اليوم الثالث من نبوءته هذه وصل رسول من طهران يعلن وفاة الملك. جمع الملا حسين أصحابه في اليوم التالي وقال لهم وهو يشير الى جهة مازندران وساري:

«هذا هو الطريق المؤدي الى استشهادنا. فمن ليس مستعدًا فليعد الآن الى منزله. لأنني مع اثنين وسبعين من أصحابي سوف نلاقي الموت في سبيل الباب المحبوب. ليرحل في الحين كل من لم يقوَ على الإعراض عن الدنيا. لأنه لن يقدر على الفرار فيما بعد».

اختار عشرون منهم العودة لشعورهم بالعجز عن تحمل الشدائد التي كان الملا حسين يشير اليها دائمًا. وتابع الآخرون السير حتى اقتربوا من بلدة بارفروش.

أزعجت اخبار حضورهم سعيد العلماء «الزعيم الديني لذلك البلد». يقول نيقولاس في تاريخه ان جميع العلماء في بارفروش كانوا ممتلئين حقدًا وكراهية لاتباع الباب لأن القدوس كسب الكثيرين من أهالي بلدتهم الى دعوة الباب فقد بلغ عددهم ثلاثمائة خلال اسبوع واحد[2]. أمر سعيد العلماء منادي المدينة بدعوة الأهالي للتجمع في المسجد على الفور. وعندما اكتظ المكان بالناس اعتلى سعيد العلماء المنبر وألقى بعمامته على الأرض ثم مزق صدر قميصه وأخذ يحرّض القوم بغضب على مقاومة الملا حسين وجماعته، وأرعد فيهم قائلاً: «انتبهوا. فأعداؤنا متربصون لنا على أبواب مدينتنا فعلى الشبان والشيوخ أن

يتسلحوا ضدّ هؤلاء المخرّبين لديننا. غدًا انهضوا جميعًا واخرجوا اليهم عند الفجر لابادتهم واستئصال شأفتهم».

نهضت الجموع المحتشدة ملبية لندائه واستعدوا للفجر متسلحين بكل سلاح وجدوه او ابتكروه.

وفي صباح اليوم التالي بعد أن أدى الملا حسين صلاة الصبح دعا رفقاءه للاجتماع فورًا وطلب منهم ان يتخلوا عن كل ما في حوزتهم وحثهم قائلاً: «اتركوا خلفكم كل متاع لكم واكتفوا بجيادكم وسيوفكم حتى يشهد الكل على انقطاعكم عن الدنيا وأسبابها. ولعلهم يدركون حينئذ ان هذه العصبة الصغيرة من أصحاب الله المختارين لا رغبة لهم في المحافظة على أموالهم، فكيف بهم التطلع الى ما عند الآخرين؟».

استجاب الجميع على الفور، وأفرغوا حمل جيادهم دون ان يتفوهوا بكلمة. وكان أول من ألقى بكنزه تاجر بارز انضم الى الجماعة في نيشابور حاملاً معه كيسًا من الفيروز الثمين، فبكلمة واحدة من الملا حسين ألقى بخرجه في حفرة دون ان يلقي نظرة الى الخلف كي يقتدي به غيره.

وعلى مقربة من بارفروش واجه الملا حسين وأصحابه حشودًا من الناس، قطعوا عليهم الطريق المؤدي الى ساري. فشرع بعض الأصحاب في سل سيوفهم لمواجهة ضجيج هذا القوم الغاضب، فقال لهم الملا حسين: «لا لم يحن الوقت بعد. فلن نستلّ سيوفنا حتى يرغمنا المعتدون على الدفاع عن أنفسنا».

تحرك الغوغاء المتسلحون بالمدى والعصي والفؤوس والبنادق والسيوف، وبكل سلاح معروف باتجاه تلك الجماعة الصغيرة وقد بدأوا رحلتهم من بارفروش عند الفجر عازمين على مجابهة جماعة الملا حسين وقتلهم، ونهب ما في حوزتهم، بينما ظل سعيد العلماء قابعًا في عقر داره بعد أن حرّض الآخرين على الهجوم.

لم تكن هذه الاّ واحدة من سلسلة من الهجمات التي كانت تقع في طول البلاد وعرضها كل ذلك بتحريض من رئيس الوزراء ميرزا تقي خان. يشير البيان التاريخي الآتي الى خطورة الموقف بقوله: «كان رئيس الوزراء يصدر أوامره بكل تعسف وبدون تلقي أية تعليمات أو طلب اذن ويرسلها الى جميع الجهات لمعاقبة البابيين وتعذيبهم. وكان الحكام والقضاة يتذرعون بحجة ما لجمع الثروة، وكان الموظفون يريدون وسيلة للحصول على المكاسب. قام العلماء المشهورون بتحريض الناس من فوق منابرهم للقيام بهجوم عام وتعاونت القوى الدينية والمدنية فيما بينهما على استئصال وتحطيم هؤلاء الناس»[٣].

كانت هذه الأولى من مناسبات ثلاث انسحب فيها البابيون الى ملاجي اختاروها وأقاموا فيها التحصينات للدفاع وتحدي أية مطاردة أخرى. كانوا يحاربون دفاعًا عن النفس بكل قوة ومهارة فائقة، دون القيام بأي هجوم، وحتى في معمعة الاشتباكات لم يسعوا وراء مغنم أو توجيه ضربة لا لزوم لها[٤].

يقول البرفسور براون في كتابه «عام بين الايرانيين» حتى النساء اشتركن في احدى تلك المناسبات، فعندما هوجم ملجأهن قطعن شعورهن الطويلة كما فعلت نساء قرطاجة قديما واحبكن بها اسلحتهن المؤقتة لجعلها أكثر تمكينًا لهن.

يقول أيضًا: «ان مقاومة البابيين المستميتة اذن يجب ان لا تعزو في الكثير الى قوة مركزهم الذي كانوا يشغلونه، بل الى البسالة في دفاعهم عن أنفسهم»[٥].

لم يدرك بعد البابيون تمامًا تعاليم رئيسهم السجين الباب الواضحة فيما يتعلق بالعنف الجسماني والقتال لأنهم كانوا مفصولين عنه الأمر الذي جعلهم يتصرفون في مثل هذه الظروف حسب معتقداتهم القديمة التي تقول: «لا تهاجم بل دافع». وجاء في كتاب مقالة سائح الذي اعده للنشر البروفسور برون من جامعة كمبردج انه في المدن الصغيرة التي كان فيها عدد هؤلاء البابيين قليلاً راحوا جميعًا طعمًا للسيف وهم مغلولي الأيدي بينما في المدن التي يكثر عددهم كانوا يقاومون دفاعًا عن النفس حسب معتقداتهم السابقة لأنه كان من المستحيل عليهم الاستفسار عن واجباتهم»[٦].

لم يطالع البابيون حتى ذلك الحين كلمات الباب حيث يقول: «ان قتل النفس محرم في شريعة الله... واذا ما أُمر به شخص فلم ولن يكون من أهل البيان ولا يوجد له ذنب أعظم من هذا»[٧].

وبينما كانت الجموع المحتشدة تتقدم نحوهم في بارفروش بصورة تهديدية توسل أصحاب الملا حسين اليه قائلين:

«اسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا». فأجابهم: «لم تحن الساعة بعد».

تدفق سيل الغوغاء نحو تلك الفئة القليلة. وما ان اقتربوا منهم حتى أطلقوا النار عليهم، فسقط على الفور بالضربة الأولى ستة من الجماعة العزلاء عن السلاح. نفد صبر الأصحاب وناشدوا الملا حسين قائلين:

«لقد قمنا وتبعناك ولم يكن لنا قصد سوى تضحية أنفسنا في سبيل الله. ولكننا نتضرع اليك أن تسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا حتى لا نسقط مهانين أمام هؤلاء الهمج الرعاع».

آثر الملا حسين الصبر آملاً ان يجد وسيلة ما يتفادى بها اهراق الدماء. وفجأة انطلقت رصاصة أصابت أقرب صاحب منه يدعى السيد رضا، اخترقت صدره وأردته قتيلاً في الحال.

كان السيد رضا رجلاً متواضعًا حسن الخلق ومتفانيًا تفانيًا عميقًا ومخلصًا للباب. وكان يمشي على قدميه بجانب الملا حسين طوال الطريق من خراسان. وعندما شاهد الملا حسين رفيقه الحبيب يسقط ميتًا عند قدميه لم يستطع السكوت اكثر من هذا.

ناجي الملا حسين ربه قائلاً: «ترى يا إلهي ما حلّ بأصحابي، وتشهد الترحيب الذي قابلنا به هؤلاء الناس. انك تعلم اننا لا نقصد سوى هدايتهم الى طريق الحق».

وعندما انطلق الغوغاء في هجومهم بكل قواهم، استل الملا حسين سيفه وهمز جواده للسير الى الامام، وأمر أصحابه بالدفاع عن أنفسهم.

وعلى سهل بارفروش، بدأت تتحقق كلمات الباب التي قالها للملا حسين في ماه‌كو: «ان ايام فروسيتك لم تأت بعد. فقد قدر لك ان تظهر من الشجاعة والمهارة والبطولة ما سوف يكسف سناها ما قام به الفرسان في قديم الزمان».

أشاع الملا حسين الرعب في قلوب هؤلاء الرعاع الذين لا يخضعون للنظام. التجأ احد القتلة خلف شجيرة ورفع بندقيته أمامه ليحتمي بها حين انقضّ الملا حسين عليه. عرف الملا حسين انه هو الذي قتل رضا صاحبه، فهجم عليه، وبضربة واحدة من سيفه شطر البندقية والقاتل والشجرة كلاً الى نصفين.

ومما ذكره المؤرخ نيقولاس «ان الغضب ضاعف من قوة الملا حسين، فقطع بضربة واحدة من سيفه كلا من البندقية والرجل والشجرة الى شطرين». وأضاف قائلاً: «ان هذه الرواية لم يكذب صحتها المسلمون انفسهم»[٨].

سجل احد أعداء الملا حسين انطباعاته عن ذلك الهجوم الرهيب قائلاً: «... ثم رأيت الملا حسين يستل سيفه ويرفع وجهه نحو السماء ويقول: «الآن قد أجبرونا على الدفاع عن أنفسنا». وأخذ يهاجمنا من اليمين والشمال. أقسم بالله انه في ذلك اليوم شهر سيفه بكيفية فاقت قدرة البشر، وهرب الجميع من أمامه عدا فرسان مازندران. ولما حمي وطيس المعركة لحق بجندي هارب محاولاً حماية نفسه خلف شجرة متدرّعًا ببندقيته. فضربه الملا حسين ضربة قطعت الجندي والبندقية والشجرة الى ستة قطع»[٩].

انهت هذه الضربة المذهلة كل مقاومة. وفر الغوغاء مذعورين وهم يصيحون: «الأمان الأمان».

شق الملا حسين طريقه وسط هذه الجموع المنهزمة غير عابئ بالرصاص المنهمر عليه كالمطر واتجه بحصانه نحو بارفروش قاصدًا بيت سعيد العلماء. دار حول المنزل ثلاث مرات وهو يدعوه الى الخروج قائلاً:

«فليخرج هذا الجبان الحقير من مخبئه الذميم. هل نسي ان الذي يدعو الى الجهاد يجب عليه أن يكون على رأس قومه ليشعل حماسهم بأعماله؟».

وأخيرًا ساد السلام. خاطب الملا حسين أهالي بارفروش قائلاً: «ماذا فعلنا حتى قمتم علينا؟ وما الذي دعاكم تعتقدون أن الله أحل لكم سفك دمائنا؟ هل صدرت منا كلمة واحدة ضد حقيقة دينكم؟ أهذا هو الكرم الذي أمركم به رسولكم محمد (صلعم) باظهاره للمؤمنين والكافرين على حد سواء؟».

بمثل هذه الكلمات أخجلهم الملا حسين ثم جمع أصحابه وسار بهم الى ساري لانقاذ القدوس.

وما ان غادر الملا حسين المكان حتى خرج سعيد العلماء من مخبئه وأخذ في اعداد خطة لمهاجمتهم في خان سبزه ميدان حيث كانوا يقضون ليلتهم.

جمع الملا حسين أصحابه في غروب ذلك اليوم وسألهم قائلاً: «هل يوجد بينكم من يرغب في المخاطرة بحياته ويصعد الى سطح الخان ويؤذن للصلاة؟». أكد الملا حسين لهم، انهم بمثل هذا العمل يبرهنون على أنهم ليسوا اعداء بل أصدقاء، وبأنهم محبون للاسلام.

استجاب شاب بفرح الى طلب الملا حسين. وما كاد صدى كلمة «الله أكبر» يتردد في القرية حتى عاجلته رصاصة قضت عليه في الحال. حثّهم الملا حسين قائلاً: «لينهض شخص آخر وبنفس التضحية يكمل الأذان الذي لم يقدر ذلك الشاب على انهائه».

صعد شاب آخر الى السطح وأخذ ينادي: «أشهد أن محمدًا رسول الله». فقطعت شهادته رصاصة أخرى اردته قتيلاً.

ومع ان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أمر بقوله: «اكرم الضيف ولو كان كافرًا» (حديث)، فان هؤلاء الأصحاب الذين آووا هذا الخان يقضون فيه ليلتهم حكم عليهم

بالقتل، على الرغم مما أبدوه من احترام ومحبة لاقامة الصلاة. لقد رجاهم الملا حسين أن يظهروا ولاءهم حتى يفضحوا بذلك عدم اخلاص المعتدين.

وتلبية لرغبة الملا حسين، حاول شاب ثالث اتمام الأذان الذي تركه اثنان من أصحابه الشهداء غير كامل، فلاقى هو الآخر نفس المصير اذ بمجرد ان قارب انهاء الاذان بكل قوّة ونادى «لا إله الاّ الله» سقط بدوره ميتًا.

ازاء هذا العمل القاسي اضطر الملاّ حسين لفتح باب الخان وامتطى صهوة جواده واعطى الاشارة للهجوم واندفع الى الخارج على رأس جماعته نحو المعتدين الذين كانوا متجمّعين امام الباب فهربوا من شدة بأسه وهكذا تكررت قصة بارفروش، ومرة أخرى فر الأعداء مذعورين وملتمسين الامان، متضرعين مرة أخرى طلبًا للرحمة.

كان ما حدث في بارفروش وسبزه ميدان هو أول اصطدام من سلسلة الاصطدامات التي دامت عامًا. كان المؤمنون يقابلون كل هجمة بهجمة مضادة منزلين بأعدائهم الهزيمة والعار المرة بعد المرة. كانت صيحة الملاحسين: «امتطوا جيادكم يا أبطال الله» تجمع شمل الأصحاب وتبعث فيهم قوة عظيمة.

وصل الملا حسين وأصحابه أخيرًا الى مزار صغير للشيخ طبرسي على مسافة اربعة عشر ميلاً من بارفروش، آملين بانسحابهم هذا أن تتوقف الهجمات ضدهم، وتتاح لهم الفرصة بعد فترة من الزمن لمواصلة مسيرهم الى ساري بسلام.

فرح سعيد العلماء، وظنّ أن اعدائه المبغوضين قد وقعوا أخيرًا في الفخ. وأقسم ان لا يفلتوا من يده وناشد الحكومة مساعدته على ابادتهم.

رأى حارس مزار الشيخ طبرسي في الليلة السابقة لوصول الملا حسين وأصحابه حلمًا غريبًا اذ شاهد رجلاً قدسيًا وفي معيته سبعون محاربًا وعدد كبير من المرافقين يفدون الى مقام الشيخ طبرسي. ورأى انهم اشتركوا في معارك غاية في البطولة وانتصروا على القوى المعادية لهم، وان رسول الله (صلّعم) قد حضر بنفسه ذات ليلة للتحدث معهم.

وعندما وصل الملا حسين في اليوم التالي عرفه الحارس وأخبره بما رأى في منامه. فأجابه الملا حسين قائلاً: «كل ما شاهدته سوف يقع. والحوادث العظيمة التي رأيتها في حلمك سوف تحدث أمام عينيك قريبًا».

انضم الحارس الى الملا حسين وزمرة الأبطال المدافعين عمّا أصبح يدعى بـ « قلعة الشيخ طبرسي».

أدرك الملا حسين وأتباعه انهم سوف لا يتركون وشأنهم. وأن الأوامر صدرت بابادتهم، فأخذوا في تشييد التحصينات حول المقام لحماية انفسهم.

شعر الملا حسين بحزن شديد لفشله في الوصول الى ساري وتخليص القدوس. واذا بخبر يقول ان القدوس يصل قريبًا الى القلعة. فقد نجحت البعثة التي أرسلها الملا حسين في اطلاق سراح القدوس من سجنه حيث كان أسيرًا في دار أحد الرسميين.

كان على اتباع الباب داخل هذه القلعة أن يصمدوا أمام الهجمات والجوع والخيانة. مستعدين للتفوق على جيش الملك بأكمله في الحرب والحيلة. وكان على تلك الحفنة الثملة بمحبة الله الوقوف امام جيش مدرب كامل العدة، معززًا بجموع الشعب، مباركًا من علماء الدين، يقوده امير يجري في عروقه الدم الملكي، معتمدًا على موارد الدولة، وعاملاً بموافقة وحماس الملك نفسه.

وعندما دخل القدوس القلعة طلب من الملا حسين احصاء عدد الأصحاب المجتمعين بالضبط. اخذ الملا حسين في عدهم واحدًا تلو الآخر وهم يدخلون من باب القلعة فكان عددهم ثلاثمائة وأثنا عشر صاحبًا. وبينما هو ذاهب لاخبار القدوس بعددهم اذا بشاب جاء سائرًا على الأقدام من بارفروش. يندفع نحو الداخل وتوسل ان يسمح له بالانضمام اليهم. اصبح العدد بذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر صاحبًا. فأُخبر القدوس بذلك.

خاطبهم القدوس قائلاً: «ان مـا نطق به لسان محمد رسول الله بخصوص الموعود يجب ان يتمّ». عندئذ ذُكّر الأصحاب بالنبوءة الخاصة بهذا اليوم التي تشير الى انّ «اجتماع ثلاثمائة وثلاثة عشر من الانصار المختارين» هو دليل آخر يعلن عن ظهور الموعود على وجه الأرض[١٠].

زاد غضب سعيد العلماء عندما وصله نبأ وصول القدوس الى القلعة. فأرسل الى الملك نداءً حارًا مدفوعًا بحقد لا يلين يقول فيه: «لقد اندلعت الثورة، وهؤلاء التعساء المشاغبون يسددون الضربات الى أساس ملكك. لقد بنوا لهم قلعة منيعة وكمنوا في خنادقها استعدادًا لشن حملة سوف تطيح بك من على عرشك. فأي نصر أعظم إذًا من ان تستهل حكمك الجديد بمحو هذه الفئة البغيضة التي تجاسرت على التآمر ضدك. وان أنت تهاونت في أمرهم فلزام علي أن أحذرك بأن اليوم يقترب سريعًا حين تنبذ ايران بأجمعها سلطانك، لا هذه الولاية فحسب وتستسلم لأمرهم»[١١].

 تنبـه الملك للخطر واستجاب بارسال جيش مكون من اثني عشر ألف جندي

لإجلاء هذه العصبة الصغيرة عن القلعة وإبادتها عن بكرة ابيها . عسكر الجيش فوق تل يُشرف على القلعة ، وقطع عن الأصحاب الطعام والشراب ، وسرعان ما أصبحوا في حالة خطيرة .

وقف القدوس والملا حسين يراقبان جيش الملك فقال القدوس . «ان قلة الماء قد أقلقت الأصحاب . فسوف ينهمر المطر بمشيئة الله في هذا المساء ، يباغت أعداءنا ، يعقبه سقوط ثلج شديد وهذا مما يساعدنا على صد هجومهم المدبر» .

وبينما كانت جحافل العدو تتأهب في تلك الليلة للهجوم على القلعة ، باغتهم المطر الغزير فأتلف عتادهم وفرق صفوفهم والتجأ الجند الى حيث يعصمهم من الماء تاركين كل خطط هجومهم ، كما تجمع ماء المطر بسرعة داخل القلعة لارواء ظمأ الأصحاب .

يروي السجل التاريخي التالي عن هذه الفترة بأنه : «كان سقوط الثلج شديدًا بدرجة لم يشاهدها من قبل أهالي تلك المنطقة حتى في صميم الشتاء ، مما زاد كثيرًا في ما احدثه المطر من مضايقات» . لقد جلبت هذه العواصف الصعوبات والدمار الى معسكر جنود الملك ، بينما أتت بالانتعاش للقلعة .

وقبيل فجر احد الأيام دارت رحى معركة من المعارك التي لا تُنسى مطلقًا فقد كان الأصحاب في غاية الشدة من الهجمات المتواصلة المباشرة من أعمال القناصة . وفي صباح احد الأيام فتحت أبواب القلعة على مصراعيها لمواجهة احدى الهجمات ، وأتى الأمر من الملا حسين : «امتطوا جيادكم يا ابطال الله» . أنعشت هذه الصيحة المثيرة جميع القلوب . وانطلقوا في هجومهم بكل قوتهم وعلى رأسهم القدوس نحو حصن الامير قائد الجيش الملكي . وشق الملا حسين طريقه رأسًا الى الجناح الملكي . وكان الأمير قد سبق ان ألقى بنفسه من نافذة خلفية الى الخندق وفر هاربًا حافي القدمين تاركًا جيشه في حيرة وهزيمة على يد حفنة من أصحاب الملا حسين.

يصرح الكونت دي جوبينو في تقريره قائلاً : «وفي بضع لحظات ساد الهرج والمرج في صفوف جيش الأمير، وتشتت على أيدي ثلاثمائة رجل من أصحاب الملا حسين. أليس هذا سيف الله وجدعون؟

عثر الأصحاب في مقر الأمير على صناديق مملوءة بالذهب والفضة . فتركوها دون أن يمسوها . واكتفوا بأخذ سيف الأمير الذي تركه خلفه وأعطوه للملا حسين الذي أصيب سيفه الخاص برصاصة .

وفي هذه الأثناء أحاطت مفرزة من الجنود بالقدوس وأطلقوا عليه صلية من النار اصابته في فمه وحنجرته. سارع الملا حسين لمساعدته ولوّح بسيف القدوس بيد وبسيف الأمير الذي غنم باليد الأخرى وأخذ في مهاجمة الأعداء يعاونه مائة وعشرة من زملائه التلامذة فولّى الجنود مدبرين. وشفي القدوس من جراحه وهو غير عابئ بها.

وفي كل مرة ينهزم فيها الأعداء، كان القدوس يذكر الأصحاب بغرضهم الحقيقي قائلاً: «لقد رددناهم على أعقابهم، ولا حاجة بنا لمتابعة العقاب عليهم. ان هدفنا هو حماية أنفسنا عسى أن يعيننا الله على متابعة عملنا في ابلاغ الناس واحياء قلوبهم. ولا غرض لنا في احداث ضرر لا لزوم له لأي كان».

حاول اصحاب الملا حسين والقدوس مرارًا وتكرارًا اقناع العدو بالسماح لهم بالمضي في طريقهم دون إهراق مزيد من الدماء. وقد شهد بذلك أحد قواد جيش الملك يدعى عباس قلي خان عندما سأله فيما بعد الأمير احمد ميرزا عن طبرسي والملا حسين، فأدلى بالتالي:

«في ذات يوم وقف الملا حسين في العراء متكئًا على رمح في يده ونادى قائلاً: «أيها الناس. لماذا تعاملوننا بمثل هذه القسوة بدافع من أهوائكم وتعصبكم دون ان تتبينوا أمرنا، مجتهدين دون سبب في اهراق دماء بريئة؟ اخجلوا من أنفسكم أمام رب العالمين وافسحوا لنا الطريق على الأقل لكي نغادر هذا المكان».

«وعندما لاحظت تأثر الجند، أطلقت النار، وأمرتهم بأن يصيحوا حتى يضيع صوته. ومرة أخرى رأيته متكئًا على رمحه وينادي قائلاً: «الا يوجد فيكم من يساعدني؟» رددها ثلاث مرات حتى سمعها الجميع عند ذلك خيّم الصمت على الكل، وشرع البعض في البكاء، كما بدا التأثر على الكثيرين من الفرسان. وخوفًا من ان ينساق الجيش لندائه ويشق عصا الطاعة، أمرتهم مرة أخرى باطلاق النار والصياح. وعندئذ شاهدت الملا حسين يستل سيفه ويرفع وجهه الى السماء، وسمعته ينادي قائلاً: «يا إلهي قد اتممت الحجة على هذا الجيش، ونصحتهم فلم ينفعهم نصحي». ثم أخذ يهاجمنا ذات اليمين وذات الشمال»[١٢].

قتل الملا حسين خلال معركة الدفاع عن قلعة طبرسي. وطبقًا لنبوءته سقط صريعًا مع اثنين وسبعين من أصحابه بنيران العدو.

اضطرت قلة المياه الأصحاب الى حفر بئر داخل القلعة. وبينما كان الملا حسين

يشاهد المرحلة الأخيرة من العمل قال مبتسمًا : «سنحصل اليوم على الماء اللازم لاستحمامنا ، ولغسل الأدران الأرضية ، والمضي الى محضر الله فليستعدكل من يريد منكم اللحاق بي للمشاركة في نيل كأس الشهادة قبل طلوع الفجر».

«اغتسل الملا حسين جيدًا في عصر ذلك اليوم وارتدى ملابس نظيفة ، وزين رأسه بعمامة الباب الخضراء والسعادة بادية على وجهه. قضى الملا حسين وقتًا طويلاً في التحدث مع القدوس. ثم التقى بكل واحد من الأصحاب مشيعًا فيهم روح السرور والفرح ، مشعلاً في قلوبهم الحماس».

وبعد منتصف الليل بقليل بزغت نجمة الصباح في السماء فنظر اليها الملا حسين وعرف أنها النجمة التي «تبشره ببزوغ فجر لقائه مع محبوبه».

امتطى الملا حسين جواده وأمر بفتح باب القلعة على مصراعيه ، وخرج راكبًا يتقدم أصحابه. ويصيح قائلاً : «يا صاحب الزمان». كانت هذه الصيحة في مدح الباب شديدة وقوية ، الى درجة ردّد صداها كل من الغابة والقلعة والمعسكر.

هجم الملا حسين على المتاريس التي كان الجيش ينوي القيام بأشد هجوم مركّز من ورائها وقد اخترقها الملا حسين الواحدة تلو الأخرى بعد تحطيمها ، حتى اتى على المتاريس السبعة بأكملها. لم تكن بسالته وشجاعته أعظم مما بدت في هذا اليوم غير ان أيام فروسيته وبطولته قد بلغت نهايتها.

وعندما تمّ له النصر اشتبكت رجل جواده في حبل احدى الخيام ، وقبل أن يتمكن الملا حسين من تخليص نفسه اصابته رصاصة في صدره اطلقت عليه من كمين في شجرة مجاورة، كان عباس قلي خان احد قادة العدو قد فرّ من المعركة واختبأ بين أغصانها بدلاً من مواجهة هجوم الملا حسين ، وعندما شاهده في محنته هذه أطلق عليه الرصاصة القاتلة.

وترجل الملا حسين من على جواده ومشى مترنحًا بضعة خطوات ثم وقع على الأرض خائر القوى فاقدًا وعيه. أسرع اليه اثنان من أصحابه وحملاه وعادا به الى القلعة.

قال لهما القدوس : «اتركاني بمفردي معه».

فانسحب الصاحبان من محضرهما وسمع احدهما الذي كان واقفًا بجوار الباب صوت القدوس وهو يتحدث الى الملا حسين بكل رقة وبغاية المحبة قائلاً : «لقد عجّلت ساعة

رحيلك وتركتني تحت رحمة اعدائي. أرجو الله أن ألتحق بك قريبًا وأتذوّق حلاوة السماء».

ما أقصر الفترة التي مضت منذ تلك الليلة في شيراز عندما خاطب الباب الملا حسين قائلاً: «يا أول من آمن بي، اني أنا الباب، باب الله». ففي تلك الليلة التي لا تُنسى دعا الباب جميع الناس الى ان ينتبهوا، ويبلغوا كلمة الله، ويحيوا النفوس البشرية.

ها هو الملا حسين راقدًا الآن داخل القلعة في نزعه الأخير. كانت آخر كلماته للقدوس والتي رددها بصوت منخفض يناجي بها محبوب قلبه الباب: «هلْ أنت راضٍ عني؟».

فتح القدوس الباب وخرج يقول للأصحاب: «لقد ودعته الوداع الأخير». فأدركوا أن الملا حسين قد فارق الحياة. دخلوا ليلقوا النظرة الأخيرة عليه، وانهمرت من عيونهم الدموع عندما شاهدوا ابتسامة السعادة ما زالت عالقة على محياه. وكان الاطمئنان باديًا على وجهه ويبدو وكأنه مستغرق في النوم[١٣].

أشرف القدوس على الدفن وألبس الملا حسين قميصه. وأصدر أوامره بدفنه في بقعة بجوار مقام الشيخ طبرسي. جاء في مقالة سائح ان «رفاة الملا حسين ما زالت مدفونة في الغرفة الصغيرة داخل ضريح الشيخ طبرسي حيث وضعت بكل احترام حسب توصيات القدوس، وبأيدي رفقائه الحزانى في مستهل عام ١٨٤٩م»[١٤].

وقال القدوس وهو يواري الملا حسين التراب: «أرجو الله أن لا يجعل بيني وبينك حائلاً أبدًا».

امتاز الملا حسين في كل معركة خاضها بالشجاعة والفروسية. فعلمه الغزير وحبه للعدل وقوة ايمانه وتفانيه المستقيم في الله، جعله شخصية بارزة بين اولئك الذين شهدوا لقوة دين الباب.

وكتب المؤرخ جوبينو عنه يقول: «وأخيرًا توفّي فالدين الجديد الذي سقط من أجله الملا حسين شهيدًا فقد بذات الوقت رجلاً ذا قوة خلقيّة عظيمة وذا نفع كبير له لو قدّر ان يعيش مدة أطول، وبطبيعة الحال تشعر القوى المعارضة بكراهية نحو هذا القائد بقدر ما يكنّ له البابيّون من محبة واحترام»[١٥].

وكتب القس المسيحي ت.ك. شين يقول: «كان الملا حسين ضعيف البنية، ولكنه كان جنديًا باسلاً، ومحبًا متحمسًا لله جمع من الصفات والمميزات ما يندر وجودها مجتمعه في شخص واحد»[١٦].

سببت وفاة الملا حسين للباب حزنًا عميقًا لا يوصف، حزنًا جعل قلم الباب يجري بالثناء عليه والدعاء له... وفي إحدى هذه الأدعية صرح الباب بأن غبار الأرض التي دفن فيها الملا حسين له من القوة ما يجلب الفرح للحزانى والشفاء للمرضى[١٧].

وكتب عنه فيما بعد صاحب الظهور الأعظم (بهاء الله) الذي كان الباب على الدوام يبشر بمجيئه يقول: «لولاه (الملا حسين) ما استوى الله على عرش رحمانيته».

استشهد الملا حسين وهو في السادسة والثلاثين من عمره. وبعد دفنه أصدر القدوس أوامره بدفن جثث الأصحاب الستة والثلاثين الذين سقطوا مع الملا حسين في تلك الليلة في قبر واحد بجوار المقام. وقال القدوس حين انزالها في القبر:

«ليتأسّ أحبّاء الله بشهداء ديننا هؤلاء. فليكونوا متحدين في حياتهم اتحاد هؤلاء في مماتهم».

أصبح القدوس الآن القائد الوحيد لمن في القلعة. وعندما قاربت مؤونتهم من النفاد، وزع القدوس آخر ما تبقى من الأرز على الجماعة، وحذّرهم من الشدائد التي سوف يلاقونها قائلاً:

«ليمكث معنا في هذه القلعة كل من يشعر في نفسه بالمقدرة على مواجهة المحن التي ستصيبنا قريبًا. وليرحل عن هذا المكان كل من لديه أدنى خوف أو تردد. وقريبًا يسدون امام وجوهنا الطريق. وسوف نكون فريسة لمحن هائلة».

وفي الليلة ذاتها التي أصدر فيها القدوس هذا التحذير، خانت نفس متخوفة أصحابها. فكتب هذا الشخص خطابًا الى عباس قلي خان، القائد التابع للملك يعلمه فيه بوفاة الملا حسين. وقال: «كان الملا حسين العماد الذي كانت ترتكز عليه القلعة في قوتها وأمنها... لقد انهكتهم المجاعة، وحالتهم يرثى لها». حمل هذا الخطاب ساعٍ تسلّل في جنح الظلام من القلعة حاملاً معه حصته من الأرز التي أعطاه اياها القدوس.

دفع نبأ وفاة الملا حسين السار عباس قلي خان لشن هجوم جديد. وخشية ان ينشر الرسول هذا الخبر عن وفاة الملا حسين فيسلبه بعضًا من شرف النصر، قتله في الحال وحشد جنوده للتقدم نحو القلعة، وقام على رأس مفرزتين من رجاله بمحاصرتها.

أدرك القدوس على الفور ما حدث، وقال: «لقد أعلن خائن وفاة الملا حسين. انبروا لهم وانزلوا بهم العقاب اللائق».

شن تسعة عشر من الأصحاب هجومًا خاطفًا على صفوف العدو، جابهم ما لا يقل عن كتيبتين من المشاة والفرسان. قاموا بهجوم مضاد بغضب وعنف الى درجة أخذ الفزع عباس قلي خان قاتل الملا حسين فسقط من على حصانه، ومن شدة ذعره وعجلته ترك فردة من حذائه معلقة بالركاب، وفر هاربًا بحذاء واحدة وهو يرتعد خوفًا. فرّ عباس قلي خان الى الأمير واعترف له بالنكسة المشينة التي أصابته على أيدي هؤلاء، اصحاب الملا حسين التسعة عشر.

كتب عباس قلي خان هذا نفسه بعد ذلك عن هؤلاء المدافعين عن قلعة طبرسي يقول: «انني لا أعرف ماذا كان دافع هؤلاء الناس لخوض هذه المعارك بمثل هذا الفرح والسرور، وما أعجز خيال المرء عن أن يتصوّر شدة شجاعتهم وبأسهم».

كتب الكونت دي جوبينو يقول ان الجيش «شيد أبراجًا كبيرة يوازي ارتفاعها مختلف مستويات القلعة أو أعلى منها، وباشر في اطلاق النار باستمرار حتى أصبح تجول البابيين داخل القلعة ينطوي على خطر عظيم... ولكن بعد ايام استطاع الأصحاب ان يرفعوا تحصيناتهم بحيث صارت أعلى من ابراج الأعداء مستفيدين من طول الليالي»[١٨].

ازداد غضب الأمير من شواهد حماس الأصحاب الذي لا يخمد لهيبه فأقام برجًا عظيمًا وضع فوقه أكبر مدافعه وأخذ يصب نيرانه في قلب القلعة.

تخبرنا إحدى الوثائق التاريخية بأن «المؤمنين حين شاهدوا ذلك حفروا ممرات تحت الأرض يحتمون بداخلها. غير ان أرض مازندران تقع بالقرب من الماء وهي مشبعة بالرطوبة، أضف الى ذلك استمرار هطول الأمطار الأمر الذي زاد في الاضرار. وقد عاش هؤلاء المعذبون المساكين بين الأوحال والمياه حتى بليت ملابسهم ورثّت من الرطوبة»[١٩].

ثار غضب كبار ضباط الجيش بامرة الأمير وبدافع من غضبهم لفشلهم في قبر هذه العصبة الحقيرة من التلاميذ غير المدربين، فجمعوا قوة ضخمة وبنوا الخنادق والمتاريس وأحضروا مزيدًا من المدافع والقذائف، وأخذوا في قذف القلعة بالقذائف الملهبة، وأعطوا الأوامر للبدء بدك القلعة دكًا بالمدافع.

ويقول جوبينو في كتابه: «وفي وقت قصير جدًا تفككت التحصينات الخارجية للقلعة ولم يبق منها الا قوائم متساقطة واخشاب محترقة وأحجار متناثرة»[٢٠].

وبينما كان القذف بالمدافع مستمرًا، خرج القدوس من ملجئه وسار الى وسط

القلعة بكل هدوء وثبات. وفجأة سقطت قذيفة في القلعة انغرست أمامه في الأرض ثم تدحرجت من نفسها واستقرت امام قدميه. فوضع القدوس قدمه عليها بهدوء وأخذ يحركها الى الأمام والخلف قائلاً: «ما اجهل هؤلاء المعتدين بقوة غضب الله المنتقم. هل يريدون أن يدخلوا الرعب في قلوب ابطال الله الذين لا يرون سلطة الملوك الا كظل زائل». التفت القدوس الى أصحابه وحذرهم قائلاً: «إياكم ان يسلب الخوف وحب النفس مقامكم العظيم. فلكل منكم أجله فاذا جاء الأجل لا تقدمه هجمات الاعداء ولا تؤخره شفاعة الأصدقاء. فاذا تركتم الخوف يتسرب الى قلوبكم من قصف هذه المدافع التي سوف تمطر هذه القلعة بالقذائف بعنف متزايد، طرحتم بأنفسكم خارج حصن الحماية الإلهية».

نزل النداء بردًا وسلامًا على تلك القلوب المضطربة التي تراكمت عليها المتاعب. لقد غدا طعامهم في آخر الأمر لحم الخيل التي غنموها من معسكر العدو. واكتفوا بعد ذلك بالأعشاب التي اقتلعوها من الأرض، وأخيرًا التجأوا الى قلف الأشجار وجلد سروجهم وأحزمتهم وأغمدة سيوفهم، ونعالهم أكلوها حتى انهم تعيشوا على عظام الخيل المطحونة التي نفقت في المعركة. وقد قضوا مدة ثمانية عشر يومًا كان قوتهم الوحيد خلالها جرعة من الماء يتناولونها في كل صباح.

وشهد احد الذين نجوا من هذه المحنة قائلاً: «يعلم الله، اننا لم نعد نشعر بالجوع». كان القدوس يلهب حماسهم ويجدد أمالهم كل يوم عند شروق الشمس وغروبها، بالتحدث اليهم عن عظمة الباب وجماله.

لقد فقد الكثيرون أرواحهم، ولكن هذه العصبة المتضائلة بقيت غير مقهورة. وحققت اعمالهم نبوءات عدة تشير الى ظهور الموعود الإلهي في آخر الزمان، ومن أهمها ما تحدث عن أولئك الذين آمنوا بالله عند طبرسي واستشهادهم[٢١].

وأخيرًا نفد صبر الملك الشاب، فقال: «جيش ظنناه قادرًا على مصارعة الاسود والحيتان يعجز عن محاربة حفنة من الرجال الضعفاء العزّل». واستطرد قائلاً: «فهو لم يحقق أي شيء».

صبّ الملك ورئيس وزرائه جام غضبهما على قادة الجيش، وبلهجة قاسية اتهماهم بعدم الكفاءة تمامًا. وهدّداهم بنفس العقاب الذي اعدّوه للبابيين. وفي ثورة من الغضب والقلق هدّد الملك بقتل كل فرد في هذه المنطقة المجاورة لقلعة طبرسي قائلاً: «سوف أبيدهم عن بكرة أبيهم».

أدرك الأمير وعباس قلي خان عدم الفائدة من محاولة اطلاع الملك الغاضب على ان المدافعين عن قلعة طبرسي مع انهم ليسوا جنودًا نظاميين فقد ثبت انه يستحيل اخضاعهم. عبّر عباس قلي خان نفسه عن هذه المعضلة حين أقر في حديثه عن اصحاب القدوس بكونهم «علماء ومثقفين... لم يتعودوا على قصف المدافع وقرقعة السلاح، وخوض المعارك... مع ذلك تسري في هيا كلهم روح جديدة حين يشتركون في القتال. انه من الصعب على الفرد ان يتصور شدة بأسهم وبسالتهم فكانوا يعرضون أنفسهم للرصاص وقذائف المدافع دون خوف وبكل شجاعة بل بكل شوق وابتهاج كأنهم يعتبرون ساحة المعركة وليمة»[٢٢].

علم الأمير بتهديدات الملك الأخيرة، فخاف أن أيّ تأخير في اخضاع القدوس وأصحابه قد يؤدي الى فقدانه شهرته وربما حياته. لذا لجأ الى وسائل الغدر، فقد يئس من امكان قهر الأصحاب. فدبر خطة الخيانة والغدر بهم.

أرسل الأمير القرآن الكريم الى القدوس. وأقسم به بأنه سيطلق سراح جميع المدافعين عن القلعة ويسمح لهم بالمضي اينما شاؤوا، ووعد بأن لا يتعرض لهم، ونذر بتدبير رحيلهم بأمان واحترام الى مواطنهم على نفقته الخاصة. تسلم القدوس القرآن الكريم وقبله بكل احترام، وتلى الآية الآتية: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق انك خير الفاتحين» (الأعراف).

ثم تلا تعهد الأمير، وجمع اصحابه وقال لهم: «استعدوا لمغادرة القلعة فباستجابتنا لقسمهم هذا نختبر صدق نواياهم».

ركب الجميع الخيل عند باب القلعة ليتوجهوا بها الى معسكر الأمير حيث قدم طعام العشاء الى القدوس وأصحابه المتضورين جوعًا. رفض القدوس ان يمسّ الطعام لعلمه بدنو أجله. وكرر الأمير وعده قائلاً: «ان قسمي مقدس لا مردّ له».

همس احد الأصحاب في اذن القدوس قائلاً: «اعتقد أن ما يجري على لسانه غير الذي يكنّه في قلبه». شاركه القدوس في الرأي وطلب من الأصحاب أن يتفرقوا في نفس تلك الليلة قبل فوات الآوان. فتوسلوا اليه ان لا يرسلهم بعيدًا عنه.

وكانت آخر كلمات القدوس لهم: «لا تبكوا فاجتماع الشمل الذي يعقب هذا الفراق سوف يدوم أبديًا. والآن فوضنا أمرنا الى عناية الله».

 كان هذا هو المشهد النهائي لتلك الفاجعة الكئيبة في طبرسي. فقد نكث الأمير عهده

المقدس وألقى القبض على القدوس وأصحابه وجردوا من متاعهم اليسير وبيع البعض كالعبيد، والبعض الآخر قتلوا على الفور بحراب وسيوف الضباط المتعطشين للانتقام.

وجاء في احدى الروايات أنّ العالم بأجمعه دهش للطريقة التي ضحى بها هؤلاء... ولاعمالهم... ولجلدهم وقوة تحملهم[٢٣].

قتل في هذه المأساة ما لا يقل عن تسعة من تلاميذ الباب الثمانية عشر الأولين المعروفين بحروف الحي.

ويتحدث المؤرخ نيقولاس عن المحاولة العقيمة التي قامت بها السلطات المدنية والدينية لطمس معالم هذه البقعة المجيدة بقوله: «أزيلت جميع التحصينات التي أقامها البابيون من على وجه الأرض وحتى الأرض سويت كي لا يبقى أي أثر يشير الى ذلك الدفاع البطولي لأولئك الذين ماتوا في سبيل دعوتهم، وظنوا انهم بذلك يسكتون التاريخ».

كُبِّل القدوس بالسلاسل وأخذه الأمير سيرًا على الأقدام الى بارفروش موطن سعيد العلماء الجبان، ومسقط رأس القدوس أيضًا. لم يخش سعيد العلماء الآن من الخروج من منزله وذهب مصطحبًا معه علماء بارفروش للترحيب بالأمير ليقدم تهانيه بعودته ظافرًا، كما ارتفعت الأعلام في كافة انحاء البلدة احتفالاً بالنصر، وأُشعلت نيران الزينة في المساء. واستمرت هذه المهرجانات مدة ثلاثة ايام.

لم يشر الأمير بأي شيء لسعيد العلماء عن مصير القدوس. كان الأمير غير راغب قط في اساءة معاملة أسيره أكثر ممّا جرى. فقد قبض على القدوس غدرًا، وبعد ان عادت اليه الآن كرامته، فهو لا يريد ان يلتصق به مزيد من العار بمشاركته في هذه الحادثة المقيتة.

استقرّ رأي الأمير على اقتياد القدوس الى طهران وتسليمه الى يد الملك. واعتقد انه بذلك ترفع عنه مسؤولية تقرير مصير القدوس. والأهم من هذا هو ان هذا العمل سوف يجلب له مزيدًا من الشرف خلال مسيرته الى العاصمة. بيد ان عداوة سعيد العلماء التي لا تخمد اعترضت خطته هذه. فعندما وجد سعيد العلماء ان القدوس قد يفلت من قبضته، استنجد مرة أخرى بالسوقة والغوغاء من الناس كما سبق وفعل في أول يوم وصل فيه الملا حسين وأصحابه الى سهل بارفروش وحرك فيهم أحط المشاعر، وأشعل فيهم نار الغضب، فهاجت بارفروش عن آخرها مستجيبة لندائه الملح الشرير. خطب فيهم من على المنبر قائلاً: «لقد آليت على نفسي ان لا أذوق الطعام والنوم حتى أنهي حياة القدوس بيدي».

تجمع الناس من حوله بصورة مخيفة الى درجة جعلت الأمير يخشى على سلامة نفسه. فاستدعى الأمير جميع علماء بارفروش للتشاور معهم في الوسائل التي تهدئ من مشاعر الجمهور وتخفف من اندفاعه.

استدعي القدوس أيضًا لحضور اجتماعهم، وفي تلك اللحظة تبين فيها للأمير ان المدينة بأكملها متكتلة في كراهيتها له، فتنهّد ونطق بكلمات تُذكّر بتلك التي نطق بها بيلاطس البنطي: «اغسل يدي من كل مسؤولية عن أي أذى يلحق بهذا الرجل. افعلوا به ما تشاؤون. فأنتم احرار، وسوف تسألون عن ذلك يوم الحساب».

وما ان تفوه بتلك الكلمات حتى سلم القدوس الى يد سُعيد العلماء، ثم ركب جواده. وصل جبنه الى نهايته بفراره من المدينة مدبرًا ظهره للقدوس.

لم يبق الآن رادع أمام الجمهور. فانقضوا على القدوس بعنف جامح، جردوه من ملابسه، وساروا به في الشوارع حافي القدمين، عاري الرأس، مثقلاً بالسلاسل، يعقبه في كل خطوة عواء الغوغاء الذين كانوا يلاحقونه بصيحات الاستهجان ويبصقون عليه، ويقذفونه بالقاذورات.

وفي وسط اعمال تعذيبه الأخيرة هذه سأل الله أن يصفح عن مضطهديه: «أغفر لهم يا إلهي خطاياهم وعاملهم برحمتك لأنهم لا يعرفون السرّ الذي قد اكتشفناه. أهدهم يا إلهي الصراط الحق وبدل جهلهم بالإيمان».

وفي ساعة محنته، مرّ به أحد الخونة الذين هجروا القلعة وشاهد مدى عجز القدوس في تلك اللحظة. فتشجع وتقدم منه وصفعه على وجهه، وقال متهكما: «إنْ كان ما تنطق به هو من عند الله، خلص نفسك؟».

نظر القدوس اليه بكل هدوء وقال: «عسى الله أن يغفر لك فعلتك بقدر ما زدت في آلامي».

عندما سمعت عائلة القدوس بما يلاقيه من عذاب تذكروا ما سبق ان تنبأ به منذ سنوات عديدة في نفس هذه المدينة. كانت زوجة ابيه تكنّ له كل حب وحنان، وكثيرًا ما حثته على الزواج قائلة: «كم انا مشتاقة لمشاهدة يوم عرسك وأخشى ان اموت قبل ان تتحقق امنيتي هذه».

أجابها القدوس قائلاً: «لم يحن بعد يوم عرسي. ولا يمكن وصف مجد ذلك اليوم.

فلن احتفل بعرسي داخل جدران هذا المنزل ؛ بل في العراء تحت قبة السماء امام انظار جمّ غفير من الناس سأحتفل بعرسي وأشهد تحقق كافة امانيّ».

والآن صدق ذلك الوعد. فعندما اقترب القدوس من الميدان العام تذكر تلك السنوات السريعة المنصرمة والكلمات التي نطق بها ، فرفع صوته قائلاً : «ليت أمي كانت معي الآن لتشهد بهاء عرسي».

وعند منتصف الليل ، جمع صديق مخلص ما تبقى من جسد القدوس المشوّه والمحروق ودفنه في مكان لا يبعد كثيرًا عن مكان استشهاده.

يقول النبيل في كتاب تاريخه ، ان قصة الملا حسين والقدوس والدفاع عن قلعة طبرسي «يجب ان تظلّ على الدوام حادثة من أشد حوادث التاريخ الحديث تأثيرًا»[٢٤].

«ما أجهل هؤلاء المعتدين المتفاخرين بقوة غضب الله المنتقم». هذه الكلمات التي نطق بها القدوس في قلعة طبرسي وقد انكشفت حقيقتها وتمت بها نبوءته.

فبعد مضي وقت قصير خرّ سعيد العلماء صريعًا بنفس المصير الذي سحق كلا من حسين خان ، وميرزا علي اصغر ، ومحمد شاه ، والحاجّ ميرزا آقاسي ، وبذلك وقع زعيم آخر من المتآمرين على الباب واتباعه في قبضة الهلاك. فقد أُصيب رئيس العلماء بمرض غريب لا علاج له. فبالرغم من الفراء التي كان يرتديها وبالرغم من النار المشتعلة على الدوام في حجرته ، لم يكن يشعر بالدفء. وفيما كان يرتجف بردًا كانت الحمى المتّقدة في جوفه عالية بدرجة لم يفلح شيء في اطفاء لهيب ظمئه.

أجهز المرض عليه فمات ، وهجر منزله الجميل حتى انهار خرابًا. وشيئًا فشيئًا نشأت عادة طرح القمامة في الموقع الذي كان فيه منزله يومًا ما مشيدًا وشامخًا.

يشير نيقولاس في تاريخه قائلاً : «أثرت هذه الحادثة في الأهالي (في تلك المنطقة) بدرجة انهم عندما كانوا يتشاجرون فيما بينهم ، كانت آخر اهانة يمكن أن تقال هي : «ليؤول دارك الى ما آل اليه بيت سعيد العلماء»[٢٥].

وصلت انباء المصير المفجع الذي لحق بأبطال طبرسي الى الباب في سجنه بجهريق. فجلبت حزنًا عميقًا الى قلبه. فكتب رثاء بافتخار كل من القدوس والملا حسين بيّن فيه انه هو الآخر سوف يلحق قريبًا بهذين التوأمين الخالدين اللذين اعطى كل منهما بحياته ومماته رونقًا أبديًا لدين الله.

أمر الباب أحد أتباعه بزيارة طبرسي وبارفروش قائلاً : «قم ... بلباس سائح ... وزر

نيابة عني البقعة التي تضم جسديهما... وأحضر لي حفنة من ذلك التراب المقدس الذي يغطي بقايا حبيبيَّ القدوس والملا حسين كتذكار لزيارتك، واجتهد في العودة قبل يوم النيروز، لتحتفل معي بهذا العيد، فقد يكون آخر عيد أراه»[٢٦].

---

١. نبيل زرندي، مطالع الأنوار، الصفحة ٣٢٤–٣٢٩،٣٥١
٢. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٢٩٦–٢٩٧
٣. مقالة سائح – الصفحة ٣٤–٣٥
٤. شوقي افندي – مقدمة مطالع الأنوار، الصفحة ٣٤
٥. ادوارد براون – سنة بين الفرس، الصفحة ٧٤
٦. مقالة سائح، الصفحة ٣٤–٣٥
٧ *Journal of the Royal Asiatic Society*, October 1809, art. 12, p. 927-928.
٨. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٢٩٥–٢٩٦
٩. التاريخ الجديد، الصفحة ٤٩؛١٠٧–١٠٨
١٠ E.G. Browne, *A History of Persian Literature in Modern Times (A.D. 1500-1922)*, p. 399
١١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣٥٨–٣٥٩
١٢. التاريخ الجديد، الصفحة ١٠٦–١٠٩
١٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣٧٩–٣٨٣
١٤. مقالة سائح، الصفحة ٢٤٥
١٥. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ١٧٦
١٦ T.K. Cheyne, *Reconciliation of Races and Religions*, p. 83.
١٧. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٤١٦
١٨. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ١٨١
١٩. التاريخ الجديد، الصفحة ٨١–٨٣
١٠. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ١٨١–١٨٢
١١. التاريخ الجديد، الصفحة ٧٩–٨٠
١٢. المصدر السابق، الصفحة ١٠٦–١٠٩
٢٣. بهاء الله – كتاب الايقان، الصفحة ٢٢٤–٢٢٥
٢٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٤٢٩
٢٥. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٣٣٠
٢٦. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٤٣٠–٤٣٢

الفصل الخامس عشر **اعجوبة بين النساء**

كانت هناك امرأة هي من أشجع أتباع الباب جميعًا ومن زمرة تلاميذه المختارين. عرفت بالطاهرة. امتاز افراد اسرتها بالزعامة الدينية في ايران، وكان والدها أكثرهم شهرة وكان أهل بلدتها يعتبرونها منذ صغرها موهبة. كان علم الطاهرة وموهبتها عظيمين الى درجة ان والدها كان يتحسر كثيرًا، ويقول: «ليتها كانت صبيًا، فلكان اضاء بيتي وأصبح خليفتي»[١].

اشتهرت الطاهرة بذكائها وجمالها. قال عنها أخوها عبد الوهاب: «لم يتجرأ أحد منّا، من أخوتها أو أبناء أعمامها على التكلم بحضورها الى هذه الدرجة كان علمها يرعبنا. واذا ما تجاسرنا يومًا وتجادلنا حول نظرية مذهبية يدور حولها خلاف كانت الطاهرة تشرحها لنا بوضوح ودقة وبصورة قاطعة تجعلنا نرى بعدنا عن الحقيقة، فكنا ننسحب على الفور ونحن في حيرة»[٢].

يخبرنا نيقولاس في روايته التاريخية ان شهرتها طبقت آفاق فارس برمتها بحيث تبنّى بعض آرائها ونظرياتها احد العلماء الموصوفين بالتعجرف.

وفي ذات يوم عندما كانت تزور ابن عمها في منزله، لفت نظرها بعض الكتب الممتعة جدًا في مكتبته من تأليف الشيخ أحمد وخلفه السيد كاظم. حذّرها ابن عمها من غضب والدها اذا وجدها تطالع هذه الكتب، وقال: «انه يعارض هؤلاء المفكرين العصريين». ولكنها أقنعته برأيها واخذت الكتب الى منزلها لدراستها. فأثار والدها احتجاجات عنيفة، وأجرى مناقشات حادة معها، كما انتقد واستنكر كتابات الشيخ احمد.

طالعت الطاهرة بشغف كل ما وصل الى يديها من مؤلفاتهما. كان الشيخ احمد قد توفي، ولكن السيد كاظم كان لا يزال على قيد الحياة في كربلاء فأخذت الطاهرة بمراسلته. وأشعلت خطاباته في قلبها شوقًا يزداد حدة لمجيء الموعود المنتظر، واشتد تشوقها للذهاب الى كربلاء والدرس على يد السيد كاظم.

علمت الطاهرة ان والدها لن يعطيها اذنًا بذلك. غير انها استطاعت بمساعدة عمها الحصول على اذن لزيارة المقامات المقدسة في كربلاء والنجف. ومنحتها عائلتها الاذن اعتقادًا منهم بانها تعود بعد الزيارة الى رشدها فتصبح أكثر تمسكًا بعقيدتها الأصلية. ولم يخطر ببالهم أن الغرض الحقيقي من ذهابها هو مقابلة السيد كاظم.

قامت الطاهرة برحلتها عام ١٨٤٣ م. متلهفة للدرس على يد السيد كاظم. كان شاغلها الوحيد خلال تلك الأيام وعده بقرب ظهور مربٍّ روحاني جديد في العالم. قالت الطاهرة لعمها بأنها ترغب في أن تكون أول امرأة تقوم على خدمته حين ظهوره.

قالت: «آه، متى يأتي هذا اليوم الذي تظهر فيه شريعة جديدة على وجه الأرض. فسوف أكون أول من يعتنق هذه التعاليم الجديدة وأضحي بحياتي من أجل أخواتي»[٣].

حزنت الطاهرة حزنًا عميقًا عندما وصلت الى كربلاء ووجدت أن السيد كاظم قد توفي قبل وصولها بعشرة أيام فقط. وقد خف حزنها عندما سمح لها بالبقاء في منزله والاطلاع على جميع كتاباته، التي لم يكن بعضها قد نشر قط. وعكفت الطاهرة على دراستها بشغف، واكتشفت في كل واحد من هذه الكتب البشرى المثيرة نفسها عن قرب ظهور موعود عظيم في العالم.

قابلت الطاهرة اثناء اقامتها في كربلاء الملا حسين الذي كان على وشك البدء في البحث عن الموعود. فاشتعلت آمالها، واعتكفت على الصلاة والتأمل مثل ما فعل الملا حسين.

ظهر لها ذات ليلة في المنام شاب رافعًا يديه الى السماء وهو يردد بصوت مليح آيات رائعة كثيرة دونت الطاهرة احداها. وأفاقت والفرحة تغمر كيانها.

وفي يوم، قدم اليها أحد الأصحاب بعض كتابات الباب. وعندما وقع نظرها على صحيفة منها وجدت نفس الكلمات التي دونتها من حلمها. وأدركت بغاية الابتهاج ان صاحب تلك الرسالة حق.

كتبت الطاهرة فورًا الى الباب تخبره بايمانها بانه هو الرسول المنتظر المذكور في جميع

الكتب المقدسة الذي كان الناس يترقبونه بشوق منذ قديم الزمان. واضافت تقول لحامل رسالتها هذه الى الباب: قل له عن لساني:

لمعـــات وجهـــك أشرقـــت وضيـــــاء طلعتـــك اجتـــلى
لم لا تقـــول ألسـت بربّكـم حتـى نلبّيـــك ببلى بـــلى[٤]

جلب عليها ايمانها بالباب احتجاجات فورية عنيفة من أبيها وعمها وزوجها واخوتها. حاول الجميع تهدئتها والحد من نشاطها وذلك بسبب السمعة الطيبة التي يتمتع بها أسرتها.

كانت الطاهرة مشتعلة من رسالة الباب، وكسبت في كربلاء الكثير من الناس الى دعوته، وفيما يلي وصف مدون لأوائل ايامها في نشر دعوة الباب في تلك المدينة: «انجذب كل من قابلها لفصاحتها الخلابة، ولم يقدر أحد على مقاومة سحر حديثها، وقليلون هم الذين نجوا من عدوى ايمانها واعترف الجميع بأخلاقها الممتازة غير العادية. واعجبوا بشخصيتها المدهشة، واقتنعوا بصدق اعتقادها»[٥].

لم تكتف الطاهرة بعطف سلبي لدعوة الباب. وقد اعترفت علانية بإيمانها به وحاولت تنبيه من في حولها لمجيء يوم عظيم جديد في شؤون العالم بأسره. وبدأ أناس كثيرون يشاركونها حماسها، والتفوا حولها يستمعون اليها.

حين علم علماء وزعماء كربلاء بأن الطاهرة أصبحت أحد اتباع الباب الغيورين وانها تقوم على نشر دعوته في قلب مركزهم الديني، اشتكوا منها بشدة الى الحكومة واشتد غضبهم خاصة عندما علموا بأن الطاهرة تريد ان تحتفل بذكرى ميلاد الباب التي تصادف وقوعه خلال شهر الاحتفال بشهادة الامام حسين. فقد خلعت ملابس الحداد وارتدت ملابس تعبر عن فرحتها[٦].

أرسل المسؤولون على عجل للقبض عليها فورًا. ولكنهم قبضوا على صديقة لها بطريق الخطأ فكتبت الطاهرة على الفور الى الحاكم تخبره بأنها هي التي يبحثون عنها، وطلبت إطلاق سراح صديقتها.

فرض الحاكم حراسة على بيت الطاهرة لمنع دخول الناس وخروجهم لمدة ثلاثة اشهر[٧].

سمعت أسرتها بما حدث، وحاولوا اعادتها الى قزوين. ولما فشلوا في ذلك حثوها أن تكون أكثر هدوءًا وتحفظًا ولا تجعل مسلكها يؤثر على سمعة العائلة الحسنة.

ووصلت أخبار الى الطاهرة تُفيد باجتماع تلاميذ الباب في مؤتمر عظيم بخراسان،

فشرعت فورًا في الرحيل. ولكي تريح ضميرها، كتبت الطاهرة قبل مغادرتها كربلاء رسالة الى كل عالم فيها، تستنكر فيها تعصبهم. وكان هؤلاء يعتبرون منزلة المرأة أعلى بقليل من رتبة الحيوانات حتى انهم أنكروا وجود الروح عندهن، وقد دافعت الطاهرة بمقدرة في خطابها هذا عن دينها، وفضحت فيه ظلمهم وآراءهم الرجعية[٨].

رافقت الطاهرة اثناء سفرها من كربلاء كل من والدة الملا حسين واخته اللتين اشتملت في قلبهما حبًا عظيمًا للأمر. وقد توقفت الطاهرة في بغداد اثناء سفرها. وقامت بتبليغ الدعوة منذ اليوم الأول لوصولها الى بغداد. وكانت تتحدث بقوة وفصاحة أذهلت اولئك الذين كانوا قد رأوها واستمعوا اليها قبل أن تصبح بابية، وكانوا يقولون: «أليست هذه هي السيدة نفسها التي كنا نعرفها من قبل؟».

بدأت محاضراتها تجذب عددًا كبيرًا من أتباع كل دين. وكان من أبرز صفاتها قدرتها على اشعال الرغبة الشديدة في نفوس مستمعيها لتحري حقيقة دعوة الباب بأنفسهم واكتسبت خلال فترة قصيرة بسحر بيانها انصارًا عديدين، وكان عدد كبير من الناس قد تبعوها من كربلاء الى بغداد لحضور حلقات دراستها. هاج علماء بغداد عندما جذبت كلمات الطاهرة أتباعهم اليها. كانت الطاهرة تفرغ فضولهم ممن يحضرونها. وقام الكثيرون ضدها فتحدتهم علانية، ودعتهم عن طريق الحاكم لمواجهتها في مناظرة عامة يناقش فيها صحة دعوة الباب أو بطلانها. ورفض العلماء وتذرعوا بالحجج وبدلاً من مواجهتها شكوها للحاكم بصدد الثورة التي كانت تثيرها.

رويت القصة الآتية عن طبيب يهودي يدعى «الحكيم مسيح» كان مارًا ببغداد في طريقه الى كربلاء بصحبة الملك والتقى هذا الطبيب يومًا بجماعة كبيرة من الناس معظمهم من العلماء الدينيين يستمعون الى محاضرة تلقيها سيدة احتجبت عن أنظارهم بجلوسها خلف ستار. دخل الحكيم مسيح ليستمع. وبمجرد أن انتهت من كلمتها أخذوا يحاجونها. وكان حديثها منطقيًا ومقنعًا بدرجة انجذب معها الحكيم ودهش كثيرًا لعدم استطاعة العلماء دحض حججها، وما لبث حتى اقتنع بأن هذه السيدة على حق وظن ان هذه الخطيبة الساحرة لا بد وأن تكون الموعود الإلهي الذي كان الجميع يتحدثون عنه. حضر الحكيم مجالسها واطلع على رسالة الباب وآمن به، وهكذا اجتذبت الطاهرة بمنطقها وفصاحتها الى الايمان بدعوة الباب يهوديًا كان قد فاتته روعة رسالة كل من المسيح ومحمد وأصبح يؤمن الآن بالمسيح ومحمد وكافة رسل الله[٩].

وفي يوم حضر إلى الطاهرة وفد من أكابر العلماء الدينيين في بغداد. فقد كبرت شعبيتها

بدرجة مذهلة جعلتهم يشعرون بالذعر من الأثر الذي قد تحدثه على جماهيرهم. فتكتلوا ضدها. كان هذا الوفد يمثل طائفتين رئيسيتين من الاسلام، وأيضًا، الجالية اليهودية والمسيحية. جاءوا جميعًا لإفحامها. قالوا لها: «جئنا لاقناعك بحمق تصرّفك، ولنثنيك عن غرضك».

ظن هؤلاء العلماء الدينيّون قبل الاجتماع ان الطاهرة ما هي إلاّ موهوبة تخطت بحماسها للشيء الجديد حد الاعتدال، وحسبوا أن شعبيتها مبنية على التجديد أو البدع، ولكن عندما تلتقي وجهًا لوجه مع زمرة من هؤلاء الزعماء الدينيين البارزين سوف تخضع وتعود مرة أخرى إلى مكانها المتواضع كامرأة. ولم يكونوا متوقعين بأن حكمتهم مجتمعة سوف تقابل باللامبالاة من جانبها، وستجابه دوافعهم ببرود منها.

وبعد ذلك الاجتماع نظروا اليها على أنها خصم خطر قوي الشكيمة. فقد تمكنت الطاهرة من اسكات اي اعتراض، واذهلتهم بقوة حوارها وعمق معرفتها. فلم يلن جانبها أو تذعن لهم كما كانوا يتوقعون، وبدلاً عن ذلك كانت مشتعلة بنار محبة الله، وأحرقت بلهيب كلماتها تفكيرهم السخيف. قالوا: «هذه ليست مجرد امرأة». وارتبكوا لعدم مقدرتهم اخضاعها، وانسحبوا يجرون أذيال الخيبة والفشل.

زادت هذه الانتصارات شهرة الطاهرة، كما ضاعفت من غضب الزعماء الدينيين»[١٠].

كان تأثير الطاهرة على النفوس عظيمًا، والهياج الذي أحدثته تعاليمها شديدًا، بدرجة قام المسؤولون بالقبض عليها ووضعها في منزل المفتي بأمر من حاكم بغداد. ظلت الطاهرة هناك تحت الحراسة حتى يتسلم الحاكم أوامر بشأنها من القسطنطينية، المركز الرئيسي للحكومة التركية[١١].

وفي اثناء سجنها هناك دافعت الطاهرة عن عقيدتها ومسلكها امام رئيس القضاة بكل مقدرة. وقبل ان تغادر منزله قال لها المفتي مخلصًا: «اشاركك في اعتقادك، ولكنني أخشى سيوف آل عثمان».

ولتزايد شكاوى العلماء الدينيين ذوي النفوذ ضدها، رأت الحكومة أن تبت بسرعة فيما اذا كان سيسمح لها بمواصلة نشاطها التبليغي أم لا. رفع الأمر اولاً الى حاكم بغداد، الذي رفعه بدوره الى السلطات في القسطنطينية[١٢].

ألف المفتي بعد ذلك كتابًا يتحدث فيه عن إقامة الطاهرة في منزله قائلاً: «كانت تستيقظ في الساعات الأولى عند كل صباح للصلاة والتعبد وكثيرًا ما كانت تصوم، وصرح بأنه لم يشاهد قط سيدة في فضائلها وانقطاعها، ولم يرَ رجلاً أكثر منها علمًا وشجاعة»[١٣].

وفي مساء يوم حضر والد المفتي لرؤية ابنه ، دخل دون أن يحيّي الطاهرة ، وبدلاً عن ذلك شرع أمام الطاهرة في تأنيب ابنه لعطفه عليها ، ولعنها على أنها عدوة للدين ، ثم قال متشفيًا ، إن رسالة وصلت توًا من القسطنطينية بخصوص الطاهرة منح فيها السلطان الطاهرة حياتها وحريتها ، لكنه أمرها بأن تغادر الأراضي التركية على الفور .

وقال والد المفتي لها بكل فظاظة : « استعدي لمغادرة العراق غدًا » . كان هذا كل ما قاله لها ثم انصرف .

خجل المفتي من تصرفات والده واعتذر لها عما حدث . اخبر المفتي أصدقاءه بعد مغادرة الطاهرة منزله قائلاً : « لقد رأيت فيها من العلم والمعرفة والأدب وحسن الأخلاق ما لم أجده في أي رجل عظيم في هذا القرن » .

عبرت الطاهرة الحدود التركية الايرانية . ودخلت مدينة كرمنشاه : وهنا على العكس من بغداد ، قوبلت بترحيب حار . وقد خرج العلماء ورجال الدولة والشعب للترحيب بهذه الشخصية الشهيرة . أخذ الجميع من فصاحتها وجرأتها . وقد ترجمت الطاهرة احدى كتابات الباب ، وبطلب منها قرئت جهرًا في كرمنشاه . وفي أثناء وجودها هناك اعترف الحاكم وعائلته بصدق دعوة الباب ، وأظهروا عظيم محبتهم واعجابهم بالطاهرة .

أقامت الطاهرة في قرية كرند ثلاثة ايام للتبليغ . أعلنت اثناءها رسالة الباب علانية ، ونجحت في جذب اهتمام جميع الطبقات من الناس . وقيل أن ألفًا ومائتي شخص قبلوا دعوة الباب [١٤] .

أقامت الطاهرة في قرية صحنة الصغيرة يومين . قوبلت فيها بحماس فاق ما لاقته في كرند . وعند سفرها توسل اليها سكان القرية بالسماح لهم بجمع أعضاء جاليتهم والسير معها ، لقد كانوا على استعداد لترك كل شيء وراءهم والانضمام اليها في نشر وترويج دعوة الباب . ولكن الطاهرة نصحتهم بالبقاء في قريتهم وتبليغ قومهم [١٥] .

توجهت الطاهرة بعد ذلك الى مدينة همدان وحصل انقسام لأهل البلد في موقفهم نحو الطاهرة . حاول البعض تحريض الأهالي عليها ، بينما رفع آخرون أصواتهم في مدحها .

امتعض احد الرؤساء الدينيين امتعاضًا شديدًا من شهرتها وأراد قتلها . كان يرغب في حث الناس علانية للهجوم عليها ، ولكنه كان يخشى انتقام أصحابها .

علمت الطاهرة بما يدور في خاطر هذا الرجل ، فكتبت اليه خطابًا مطولاً شرحت له فيه بكل دقة تعاليم الباب . أرسلت هذا الخطاب بيد صديق مخلص يدعى الملا ابراهيم .

وصل الملا ابراهيم ومعه هذا الخطاب في الوقت الذي كان فيه عدد من هؤلاء العلماء المعادين قد اجتمعوا ليقرروا الخطوات التي يمكن اتخاذها ضد الطاهرة لاسكاتها. أغضبهم هذا الخطاب واعتبروه وقحًا بحيث اثار غضبهم وانقضوا جميعهم على الملا ابراهيم بالضرب حتى فقد الوعي. وعندما حمل الى الطاهرة وهو ما زال في غيبوبته، لم تستسلم الطاهرة للبكاء حين رأته كما توقع من كان حولها. وأدهشتهم جميعًا عندما خاطبت الملا ابراهيم بقولها: «انهض يا ملا ابراهيم والحمد لله على ما قاسيته في سبيل محبوبك. والآن انهض وتابع خدمتك له».

وعندما فتح عينيه تبسمت له الطاهرة وقالت: «يا ملا ابراهيم، من ضرب بسيط فقدت وعيك. هذا هو الحين الذي نحن فيه على استعداد لتقديم حياتنا ألم يفعل حواريو المسيح وصحابة محمد مثل هذا؟». نهض الملا ابراهيم من اغماءته واستعاد قواه، ثم غادر محضرها وقام على نشر الكلمة[١٦].

عزمت الطاهرة على الذهاب من همدان الى طهران، في محاولة لمقابلة صاحب الجلالة محمد شاه كي تطلعه على هذه التعاليم الجديدة. ولكن واحدًا من العلماء الذي رفض مناظرتها علانية عندما كانت في كرمنشاه كتب الى والدها سرا في قزوين وأخبره بأن ابنته جلبت العار على سمعة جميع العلماء، ناهيك سمعة اسرتها.

أرسل والدها على الفور ابنه مع جماعة من أقاربه الى همدان ليعترضوا طريقها ويحثوها على العودة الى بيتها. قالت الطاهرة لمرافقيها قبل وصول اقاربها من قزوين: «انهم في طريقهم الينا. قادمين من قزوين. فلنخرج لملاقاتهم قبل وصولهم الينا هنا». وعدلت الطاهرة عن زيارتها لطهران وعادت الى بيتها مع حراسها.

اجتمع مجلس العائلة في الليلة الأولى التي وصلت فيها الطاهرة الى قزوين أنّبها كل من أبيها وعمها بعنف لتصرفاتها. وتذمر والدها قائلاً: «ماذا أفعل بك بعد ان اخترت ان تتبعي هذا الصبي الشيرازي؟».

وأخذ عمها تقي يلعن الباب ودعوته. وفي سورة من غضبه ضربها عدة لكمات وليقينها بانتقام الله تفوهت بكلمات قاتلة تنبأت فيها بما سيحدث له، فصاحت: «يا عماه أرى فمك يمتلئ بالدم».

أغضبته هذه الكلمات وهدّد بكيها. وانفض المجلس غاضبًا. حاولت العائلة في اليوم التالي اقناعها بالرجوع الى زوجها، آملين أن يكبح هذا من حماسها.

فقالت لهم: «لقد انفصلنا عن بعضنا منذ ثلاث سنوات. انه أنكر شريعة الله ويأخذه العار مني. والآن لا يوجد شيء مشترك بيننا على الاطلاق».

أرسل زوجها الذي كان يعتبر نفسه واحدًا من أكابر العلماء في ايران خطابًا شديد اللهجة اليها يدعوها للانتقال الى منزله. فأجابت: «لا في هذا العالم، ولا في العالم الآخر لن أكون معه. لقد طرحته خارج حياتي الى الأبد».

وفي شدة هيجانه اتهمها بالكفر وسعى في تحطيم مكانتها وتلويث سمعتها. وبعد مضي ثلاثة أسابيع طلقها وهو غاضب[١٧].

كان والدها واخوتها ما زالوا يأملون في اضعاف نفوذها بوجودها بينهم، واعادتها تدريجيًا الى ما كانت عليه. ولكن ما حصل كان عكس ذلك. فقد اكتسبت بشجاعتها وقدرتها على التنظيم ومهارتها وحماسها الذي لا يخمد جذوته انتصارات عديدة جديدة للباب.

قتل تقي (عم الطاهرة) في المسجد يوم جمعة بطعنة سددت الى حلقه. ومع أن التحقيقات كشفت بكل وضوح عن ان القاتل ليس بابيًا مع ذلك فان تهمة القتل ألصقت بالطاهرة. تذكرت العائلة تلك الكلمات التي تنبأت بها الطاهرة ليلة وصولها: «يا عماه ارى فمك يمتلئ بالدم». هاجت المدينة بأكملها. وحرّض الغوغاء على الانتقام بان يعتقلوا ويقتلوا كل من يشتبه بانه بابي وينهبوا بيته.

وضعت الطاهرة تحت الحراسة المشددة. واحترامًا لمركز والدها لكونه عالمًا بارزًا في الشريعة الاسلامية سمحت السلطات له بسجنها في قبو بمنزله لكنهم أمروا الحارسات بتشديد الرقابة عليها، وان لا يتركوها تغيب عن أنظارهم. وقالوا انه يجب ان لا تهرب. قال أحد اقارب الطاهرة، بعد سنين عديدة، بينما كان يرى الزوار القبو الذي سجنت فيه: «كان والد الطاهرة حقًا يحب ابنته الموهوبة، رغم اصطدامه الشديد معها بسبب العقيدة الدينية. وقد سجنها في بيته محاولة منه لحمايتها من وحشية اولئك الذين أرادوا كيها بالنار لانتمائها الى (دعوة الباب) المحتقرة. ولكن حتى والدها لم يقدر على انقاذها، فقد حضروا وأخذوها الى سجن البلدة»[١٨].

وحبًا في الانتقام، حث زوج الطاهرة الحاكم بمحاكمة الطاهرة بتهمة قتل عمها تقي بالرغم من براءتها. رفض والدها ان يسمح لها بمغادرة منزله، ولكنهم أخذوها بالقوة الى دار الحكومة، كما قبضوا على خادمتها «كافية» بأمل ان يؤثروا عليها لتشهد ضدها.

استمروا في التحقيق مع الطاهرة وخادمتها ساعة بعد أخرى محاولين انتزاع اعتراف منها بالقتل. وعلى كل سؤال كانت الطاهرة تجيب بكل هدوء: «لا نعلم شيئًا عن هذا الحادث، فقد ارتكب بدون علم منا».

كان زوجها يغلي من الغضب ويخشى اطلاق سراحها فظل يتوسل الى الحاكم لينزل عليها عقابًا قاسيًا بقوله: «شيء شديد، شيء شديد جدًا».

أخذ الحاكم بهذه الاشارة فأعطى أمره الى الجلاد باحضار قطع حديد الكي. ولأجل ارهاب الطاهرة والحصول ربّما على اعتراف زائف عن طريق التعذيب وضعوا يدي خادمتها كافية تحت (درفة) باب ينزلق عازمين بذلك على كيها من الناحية الأخرى.

كانت الطاهرة تعلم بعجزها. ولم يكن لها ملجأ الا العزيز القدير. فرفعت الحجاب عن وجهها واتجهت ناحية الباب في سجنه بماه‌كو، واخذت تصلي. قدمت قطع الحديد الملتهب وأعدت يدا الخادمة للكي. وفي هذه اللحظة المخيفة سمع صوت منادي المدينة يصيح في الشارع «عثر على القاتل، عثر على القاتل»[١٩].

حضر القاتل من تلقاء نفسه الى دار الحكومة واعترف بجريمته بدلاً من ترك الأبرياء يتعذبون. فأطلق سراح كل من الطاهرة وكافية. وأعيدت الطاهرة كسجينة الى بيت ابيها. قام الزوج بمحاولة أخرى للاعتداء على حياتها بدس السم لها. وعلى الرغم من كل هذه المحاولات، لم تتوقف الطاهرة عن تبليغ الكلمة لكثير من الناس.

أثرت الطاهرة تأثيرًا عميقًا في مدينة قزوين. فعلى الرغم من ان قزوين كانت تفتخر بأنها تحوي بين أسوارها ما لا يقلّ عن مائتين من أكابر علماء الاسلام الا ان الانتصارات التي احرزتها الطاهرة في قزوين كانت أكثر مما كسبته في أي مكان آخر، هذا مع انها كانت مسجونة لفترة طويلة من اقامتها فيها[٢٠].

هناك سؤال صريح وجهته «المجلة الاسيوية» خلال دراستها لهذه الفترة وهو: «في بلدة كقزوين حيث يتمتع فيها رجال الدين بسلطان عظيم كهذا كيف يمكن ان يكون هناك... امرأة استطاعت تنظيم مجموعة قوية من الكفرة؟». وتختتم هذه الدراسة بعبارة: «هنا يوجد سؤال حيّر حتى المؤرخ الايراني سبهر اذ ان هذا الحادث لم يسبق له مثيل»[٢١].

لم يتخذ رئيس الوزراء ميرزا تقي خان أي اجراء ضد اولئك الذين بدون سبب نهبوا البابيين وقتلوهم في قزوين. فقد تغاضى عن هذا الخطأ وهو فرح في قرارة نفسه، الأمر الذي شجع العلماء والأهالي في قزوين على اعادة الكرة على الطاهرة. وعزموا على قتلها سرًا

اذا لزم الأمر ، وبالسرعة الممكنة مصممين على أن لا تخرج الطاهرة من قزوين وهي على قيد الحياة.

وعندما وصل اليها نبأ هذه المؤامرة الجديدة ، لم تخف وكتبت الى مطلقها الذي أصبح رئيس العلماء في قزوين خطابًا جريئًا تتحداه فيه بان ينهي حياتها قائلة : «اذا كان الأمر الذي أتبعه هو الحق. فسوف يخلصني الله من نير ظلمك قبل مرور تسعة أيام. واذا لم ينقذني فأنت حرّ لتفعل بي ما تشاء»[٢٢].

شددت الحراسة منذ تلك اللحظة على الطاهرة اكثر من ذي قبل ، وبالرغم من كل جهودهم فان الطاهرة نجت بنفسها بكل هدوء في اليوم التاسع ليلاً من قزوين. أدخل اختفاؤها المفاجئ والغامض الخوف في قلوب اعدائها ، كما سبب القلق لأصدقائها. قضى المسؤولون الليل يفتشون كل منزل في قزوين بحثًا عنها. وقد أخذ الغضب والدهشة لاختفائها وتحقيق ما سبق وتنبأت به.

في هذه الأثناء كانت الطاهرة في العاصمة طهران حيث أمضت أيامًا سعيدة في التبليغ وملاقاة البابيين الذين جاءوا الى العاصمة من سائر انحاء ايران.

انتهت هذه الأيام الخالية من المتاعب عندما وصل نبأ عن اجتماع البابيين في قرية تدعى بدشت بخراسان... غادرت الطاهرة العاصمة على الفور للالتحاق بهم. كان اعداؤها ما زالوا يتربصون بها على طول الطريق ، ولكنها هربت من طهران متخفية وسافرت الى بدشت. كان هذا في بداية صيف عام ١٨٤٨ م.

اجتمع واحد وثمانون فردًا من كبار أتباع الباب في هذه القرية للتشاور. كان القدوس بينهم ، اذ ان هذا الاجتماع عقد قبل حوادث طبرسي. كان للاجتماع غرضان :

أولهما : تقرير الخطوات التي يجب اتخاذها لكي لا ينظر الى دين الباب على أنه مذهب إسلامي ، بل كدين جديد مستقل له رسوله وكتابه الخاص.

ثانيًا : البحث في الوسائل التي يمكن بها اطلاق سراح الباب من سجنه القاسي في جهريق. لقد نجح المؤتمر في غرضه الأول وفشل في الثاني.

كان البابيون يتشوقون للانفصال الكلي عن الأحكام الدينية التي مضى زمنها ، وعن نظام المشيخة والعادات والتقاليد القديمة. كانت الطاهرة نفسها أداة لهذا الفصل ، وأصبحت الرمز الظاهر له عندما ظهرت في أحد الأيام سافرة الوجه بعد أن نبذت هذا الحجاب الذي كان يرمز الى انحطاط مركز المرأة.

وقع هذا وقوع الصاعقة ، حتى على زملائها المؤمنين الذين صدموا منه . فوقفوا مشدوهين من هذا المنظر غير المتوقع والذي لم يحدث من قبل . بدا الفرح والانتصار على وجهها لبزوغ فجر يوم جديد ونهضت من مقعدها بوقار واطمئنان ، غير مبالية بالاضطراب الذي حدث من جراء ظهورها سافرة . لقد كان من الأمور الشائنة ان ينظر الرجال الى وجهها السافر .

بيد ان الطاهرة كانت عالمية في نظرتها ، فقد ادركت ان تعاليم الباب قد جرفت أمامها كلّ التقاليد القديمة المحدّدة وكان على الظلم والعبودية اللذين كانا يمارسان على الرجال والنساء ان ينتهيا قريبًا وقد وقفت الطاهرة أمامهم يشع النور من جمالها الظاهر والباطن . ونادت بصوت عالٍ تقول :

«أنا صوت الصافور ... أنا النفخة في الصور» .

وتابعت نداءها قائلة ، إن ايام الخوف واخضاع خلق الله قد ولّت ، ثم وجهت وهي تبتهج فرحًا نداءً حارًا فصيحًا الى المجتمعين . تذكر البعض يومذاك النبوءة التي تبشر بأن فاطمة الزهراء تظهر في يوم الموعود دون حجاب . وربما تذكر آخرون صوت «الصافور» «والنفخ الصاعق في الصور» ، المذكورين في القرآن الكريم عن آخر الزمان[٢٣] .

أنهت الطاهرة نداءها بدعوة جميع الحاضرين للاحتفال بهذه المناسبة العظيمة بما يليق بها وقالت :

«هذا يوم الابتهاج والسرور العالمي ، اليوم الذي تحطمت فيه قيود الماضي . لينهض كل من شارك في هذا الفوز العظيم ويتعانقوا»[٢٤] .

انفض المؤتمر بعد بضعة أيام وتفرق الاصحاب الى جميع الجهات ليعلنوا عن اليوم الجديد حمل كل واحد منهم الأنباء المثيرة الى منطقته الخاصة عن هذه الحوادث الخطيرة التي وقعت في بدشت . وبينما كانت الطاهرة في طريقها عائدة الى طهران اعترضتها جماعة من الذين كانوا يبحثون عنها . وأرسلوها تحت الحراسة الى العاصمة حيث احضروها امام الملك فقال معلقًا لدى رؤيتها : «يعجبني منظرها دعوها وشأنها» .

أخذت الطاهرة بعد ذلك كسجينة الى بيت رئيس بلدية طهران «محمود خان» . أرسل الملك اليها خطابًا وهي في هذا المنزل يحثها فيه على إنكار دعوة الباب وعودتها مسلمة حنيفة ، ووعد بأنها لو فعلت ذلك لأعطاها منصبًا عاليًا ، كمشرفة على حريم قصره ، بل لاختارها عروسًا له . فأجابت على ظهر خطابه بأبيات من الشعر قالت فيها ما معناه : «ان الملك والجاه لك كفاني ان اسلك طريق الزهد والمسكنة» .

تأثر الملك تأثرًا عميقًا حين قرأ ردها وتحدث عن شجاعتها وروحها قائلاً : « لم ينجب التاريخ لنا حتى الآن امرأة مثلها »[٢٥].

أعطيت الطاهرة قسطًا وافرًا من الحرية اثناء سجنها في منزل المحافظ ، وتمكنت من متابعة التبليغ وكانت لا تزال منتعشة بحماس بدشت وحرارتها. وصلت شهرة الطاهرة وشعبيتها خلال هذه الفترة في طهران الى أوجها. فقد استنكرت علانية تعدد الزوجات والحجاب ، وكافة القيود التي كبلت بنات جنسها ظلمًا خلال قرون عديدة من الزمان في الشرق. وأثارت النساء بتبيينها لهن الأدوار المنحطة التي فرضتها عليهن عقيدتهن القديمة ، وجذبتهن الى جانبها بعد ان اطلعتهنّ على ما منحته شريعة الباب للمرأة من احترام وحرية وكرامة.

كتب السير فرانسيس يونغ هزبند عن حياة الطاهرة يقول : « بلغ ايمانها درجة انها مع ثروتها ونبلها تخلت عن المال والبنين والشهرة والجاه في سبيل خدمة سيدها ، وكرّست نفسها لاعلان وتأسيس تعاليمه». ويضيف في مكان آخر قائلاً : «كانت حلاوة بيانها على شأن جذبت اليها الضيوف من حفلة عرس بدلاً من الأنصات الى الموسيقى التي أعدها المضيف »[٢٦].

وكتب الكونت دي جوبينو عن الطاهرة يقول : «يذكر الكثيرون ممن عرفوها أو استمعوا اليها في أوقات مختلفة انها فضلاً على ما اشتهرت به من علم وسعة اطلاع ، فان القاءها كان من السهل الممتنع ، فاذا تحدثت تأثر مستمعوها تأثرًا عميقًا من حديثها ، وكثيرًا ما أفاضت أعينهم بالدمع من شدة اعجابهم »[٢٧].

هيّجت الطاهرة العاصمة بأكملها بدرجة جعلت السلطات المسؤولة تتخذ أخيرًا اجراءات نحوها. وأرسلت الحكومة وفدًا خاصًا ليحاجوها في معتقداتها. وعقدوا معها سبعة مؤتمرات قدمت الطاهرة خلالها الحجج والبراهين التي تثبت ان الباب هو الموعود الإلهي المنتظر، مستندة على ما ورد في القرآن الكريم من آيات لاقناعهم. وفي المؤتمر الأخير ضاقت الطاهرة ذرعًا بعنادهم ورفضهم قبول أي شيء غير التفسير الحرفي للآيات والأحاديث وخاصة بعض النبوءات فصاحت قائلة : «الى متى تتمسكون بهذه الخزعبلات والأكاذيب... متى تنظرون الى شمس الحقيقة؟».

صعق متهموها من موقفها هذا. فعادوا الى منازلهم وكتبوا حكمًا بادانة الطاهرة قائلين انها رفضت التخلي عن عقيدتها. وبناء على توصيات هذا الوفد صدر الحكم باعدامها[٢٨].

شددت الحراسة بعد ذلك على الطاهرة ، ووضعت في غرفة منفردة في بيت محمود خان. تعلقت زوجة محمود خان بالطاهرة تعلقًا شديدًا مع انها لم تكن بابية. وقبل أن تؤخذ الطاهرة للقتل أصبحت هذه السيدة صديقة متفانية وتركت لنا هذه القصة :

«ذهبت ذات ليلة الى حجرة الطاهرة فوجدتها مرتدية ثوبًا من الحرير الأبيض الناصع فعبرت عن دهشتي. فقالت : «انني استعد للقاء محبوبي ، وأريد أن أخلصك من انشغال البال والقلق الذي تلاقينه من جراء سجني».

ذهلت في بادئ الأمر ، وأخذت أبكي حين فكرت بفراقها. فواستني قائلة :

«لا تبكي فالساعة التي سوف أتجرع فيها كأس الشهادة تقترب مسرعة. ورغبتي هي أن يُلقى جسدي في بئر يُمـلأ بعد ذلك بالتراب والأحجار. ورجائي الأخير هو ان لا تسمحي لأحد بالدخول الى حجرتي ، والى ان يحين الوقت الذي استدعى فيه لمغادرة هذا المنزل ، لا تدعي احدًا يقطع عليّ صلواتي. وقد عزمت على صوم لن أقطعه حتى ألاقي محبوبي وجهًا لوجه».

بهذه الكلمات رجتني ان اقفل باب حجرتها وان لا أفتحه حتى تدق ساعة الفراق. اقفلت الباب وعدت الى حجرتي وأنا في أشد حالات الحزن. رقدت على الفراش كئيبة بلا نوم ، كان التفكير باقتراب استشهادها أقوى من أن احتمله. ولعجزي عن تمالك نفسي نهضت عدة مرات وتسللت الى عتبة غرفتها. وقد فتنت من حلاوة صوتها وهي تتغنى بالثناء على محبوبها»[٢٩].

صلّت الطاهرة طوال الليل عسى ان تكون قابلة للقاء الله القدير الذي تمنت ان تُفدى بحياتها في خدمته.

تستعيد زوجة محمود خان المحافظ ذكرى اعدام الطاهرة بالكلمات التالية : «بعد الغروب بأربع ساعات سمعت طرقًا بالباب. فأسرعت الى نجلي وأخبرته بآخر رغبات الطاهرة ، فوعد بتنفيذها كلها. فتح نجلي الباب وأخبرني بأن اعوان عزيز خان سردار المكلف باعدام الطاهرة واقفون عند باب المنزل الخارجي يطلبون تسليم الطاهرة اليهم.

اخذني الرعب من هذا النبأ ، وحين تمايلت الى حجرتها وبيد مرتعشة فتحت الباب ، وجدت الطاهرة متحجبة ومستعدة لمغادرة الحجرة. وبمجرد ان رأتني اقتربت مني وقبّلتني ، ووضعت في يدي مفتاح صندوقها الذي تركت فيه بعض الأشياء الزهيدة تذكارًا لاقامتها في منزلي. وقالت :

«أتعشم أن تتذكريني وتفرحي لفرحي كلما فتحت الصندوق وشاهدت ما فيه».

بهذه الكلمات ودّعتني الوداع الأخير. يا لها من آلام شديدة تملكتني في تلك اللحظة وانا اشاهد جمال هيكلها يتوارى عن الأنظار وهو يبتعد.

امتطت الجواد الذي أرسله اليها عزيز خان سردار وارتحلت يحيط بها نجلي وعدد من الأعوان في كل جانب. اقتادوا الطاهرة الى حديقة خارج أسوار طهران. كان عزيز خان سردار وضباطه غارقين في عربدة السكر، وكانت وجوههم محتقنة بالخمر، يقهقهون بالضحك، غير شاعرين بقدوم الطاهرة.

نزلت الطاهرة من على ظهر جوادها والتفتت الى ابن المحافظ الذي كان يرافقها. وطلبت اليه ان يكون وسيطًا بينها وبين عزيز خان سردار وقالت:

«انهم سيرغبون في خنقي، وقد احتفظت بمنديل حريري منذ امد طويل ارجو أن يستعمل لهذا الغرض. ها أنا أُسلمك اياه، وانا لا أميل الى مخاطبة جلاّدِيَّ الغارقين في سكرهم وعربدتهم».

دنا الشاب لمقابلة عزيز خان سردار، وفيما كان يتقدم اليه اومأ السردار اليه بالابتعاد عنهم صارخًا: «لا تقطع علينا جو مرحنا». ثم استرسل في القهقهة الصاخبة واتجه ثانية الى زملائه. ونادى حاشيته قائلاً: «لتخنق تلك الشقية التعسة، وليُلقَ بجثتها في حفرة».

أعطى الصبي المنديل للأعوان. وقدم هذا الشاب بنفسه وصف شاهد عيان لتلك اللحظة الخطيرة بقوله:

«وافقوا على تلبية طلبها. ولفّ المنديل نفسه حول عنقها وجعله اداة لاستشهادها. اسرعت فورًا الى البستاني وسألته ان يدلني على مكان يصلح لاخفاء الجثة، فأرشدني الى بئر حفرت حديثًا وتركت دون اتمام. وبمساعدة بضعة افراد انزلت الطاهرة الى مثواها الأخير وملأت الحفرة بالتراب والحجارة حسب رغبتها. وتأثّر اولئك الذين شاهدوها في تلك اللحظات الأخيرة تأثرًا عميقًا».

يصرّح طبيب الشاه النمساوي الدكتور جاكوب بولاق (Dr. Jakob Polak) في كتابه الذي وضعه عام ١٨٥٦م قائلاً انه كان شاهد عيان للطاهرة في ساعاتها الأخيرة وانها صبرت على اعدامها بجلد يفوق قدرة البشر[٣٠].

عاد الشاب الى المنزل واخبر امه بما حدث.

وقد قالت الأم فيما بعد: «لقد بكيت بكاءً مرًّا حين كان نجلي يروي لي هذه القصة

المفجعة». وعندما وقفت امام الصندوق الذي اعطته لها الطاهرة، تساءلت عما دفع امرأة عظيمة كالطاهرة لنبذ جميع هذه الثروات والعزة التي كانت تحيط بها، وتقرن نفسها بدعوة شاب شيرازي غير معروف، فما هو سر تلك القوة التي انتزعتها من منزلها وذوي قرابتها وشدت أزرها حتى القبر... هل كانت يد الله هي التي ترشدها؟.

وهكذا انتهت حياة الطاهرة التي كانت من أعظم تلاميذ الباب. وأول امرأة ايضًا تجرعت كأس الشهادة في سبيل حقوق المرأة. وحين دنت ساعة موتها التفتت الى احد حراسها وبكل جسارة قالت: «في استطاعتك قتلي في أي وقت تشاء لكنك لن تستطيع وقف تحرير المرأة»[٣١].

كانت حياتها مذهلة، قصيرة، مفجعة، ومليئة بالأحداث. انتشرت شهرة الطاهرة بنفس السرعة التي انتشرت بها شهرة الباب الذي كان مصدر الهامها المباشر.

يقول اللورد كرزون (Lord Curzon) في كتابه عن ايران بصراحة: «فالعقيدة التي تبعث في قلوب أتباعها مثل هذه الروح النادرة الجميلة من التضحية، لا بد ان تكون مبادئها ذات شأن لا يستهان»[٣٢].

كما طلبت سارة برنهارت (Sarah Bernhardt) الممثلة الشهيرة الى الكاتب المسرحي كاتول مانديز (Catulle Mendes) أن يكتب مسرحية درامية عن حياة الطاهرة أطلق عليها اسم «جان دارك الفارسية»[٣٣].

اثنى على الطاهرة معلق مشهور على حياة الباب وتلامذته بأن اطلق عليها اسم «معجزة العلم وآية الجمال».

ويشهد لها اللورد كروزن قائلاً: «ان بطولة الشاعرة الجميلة ولكن السيئة الحظ تعتبر من أكثر فترات التاريخ الحديث تأثيرًا».

وقال المستشرق البريطاني البروفسور أ. ج. براون انه «لو لم يكن لدين الباب ادعاء آخر بالعظمة سوى انه انجب بطلة كالطاهرة لكفاه ذلك». وأضاف قائلاً: «ان ظهور امرأة كهذه في اي بلد وأي عصر ظاهرة نادرة الوقوع، ولكن ظهورها في بلد كايران هو اعجوبة بل يكاد يكون معجزة».

وكتب السياسي الفرنسي كونت دي جوبينو عنها يقول: «لها كل الحق في أن تكون اعجوبة».

اما الدكتور ت.ك. شين، القس البريطاني الشهير، فقد قال عنها: «هذه المرأة النبيلة... لها الفخر بأنها الفاتحة لسجل الاصلاح الاجتماعي في ايران».

وكتب السير فالانتين شيرول (Sir Valentine Chirol) : «لا توجد ذكرى تنال احترامًا اعمق أو تشعل حماسًا أعظم من ذكراها. والتأثير الذي كانت تمارسه خلال حياتها ما زال يفيد بنات جنسها الى اليوم».

ويهتف الشاعر التركي المعروف سليمان ناظم بك قائلاً: «ايتها الطاهرة... لعمري. انك تساوين ألف ناصر الدين شاه».

وتقول مريانا هاينس (Marianna Hainisch) والدة احد رؤساء جمهورية النمسا: «ان الطاهرة كانت وما زالت اعظم مثل اعلى للمرأة».

ومن ابلغ ما قيل عن الطاهرة من قبل المؤرخين الذين تتبّعوا حياتها ما يلي: «يدهش المرء وهو ينظر الى حياتها القصيرة من حماسها المتأجج، وانقطاعها التام عن الدنيا وما فيها. فقد كان العالم بالنسبة لها في الواقع مجرد حفنة من التراب»[٣٤].

كانت الطاهرة وفية لرسالة الباب منذ اللحظة الأولى التي قبلت فيها دعوته حتى ساعة موتها. ولم تنثنِ أو تحد لحظة عن ايمانها الراسخ الذي عبرت عنه في رسالة بعثتها للباب في الأيام الأولى بشيراز، حيث قالت:

لم لا تقول الست بربكم حتى نلبيك ببلى بلى

عاشت الطاهرة وماتت وفيّة لما قالته بكل جرأة لأحد تلاميذ الباب العظام في احدى الامسيات في طهران منذ وقت بعيد.

كانت تستمع مع جماعة من المؤمنين الى خطبة شيقة بليغة يلقيها وحيد عن رسالة الباب ويتحدث فيها عن علامات وبراهين مجيء الباب. أصغت الطاهرة بعض الوقت وهي صابرة ثم قاطعته فجأة وصاحت:

«دع الاعمال لا الأقوال تشهد لايمانك، ان كنت ذا علم رشيد. كفعن تكرار هذه الأحاديث القديمة عبثًا فقد جاء وقت الخدمة والعمل الراسخ والآن وقت اعلاء كلمة الله وتضحية نفوسنا في سبيله. فلتكن زينتنا الأعمال لا الأقوال»[٣٥].

لقد برهنت الطاهرة بموتها في حديقة تحت ظلمة مخيّمة على أعظم مدن فارس، على صدق هذه الكلمات.

ان العقاب نفسه الذي قضى على اعداء الأمر دون رحمة في شيراز واصفهان وتبريز

وطبرسي برز مرة أخرى ضد مضطهدي الطاهرة. فالملك الذي علم براءتها وكان في استطاعته انقاذها كتب له فيما بعد اشد ضربة من العقاب. وعمها تقي الذي صفعها بوحشية، قتل على يد قاتل. ومحمود خان رئيس بلدية طهران الذي سجنها في منزله زهاء ثلاث سنوات وتعاون مع رئيس الوزراء على اعدامها، لاقى موتًا مشابهًا لذلك الذي سمح بحدوثه للطاهرة. فقد اصدر الملك امرًا باعدامه، وطلب من الجلاد اعداد الحبال لتلف حول عنقه حتى يختنق. وأمر الملك بترك جثة رئيس البلدية معلقة على المشنقة عبرة لغيره[٣٦].

كانت الطاهرة في أوج جمالها وقوتها عندما قتلت في اغسطس عام ١٨٥٢م وهي في السادسة والثلاثين من عمرها. لقد لقبها السيد كاظم بـ «قرة العين». واطلق آخرون عليها اسم «زرين تاج» أي ذات التاج الذهبي ولكن الاسم الذي سيظل في قلوب قومها هو «الطاهرة».

---

١ *Memorials of the Faithful*, p. 291-298

٢. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٢٧٣-٢٧٤

٣ Martha L. Root الطاهرة الصفحة ٢٢

٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٨١-٨٢

ايضا *Memorials of the Faithful*, p. 291-298.

٥. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ؛ الصفحة ٢٦٩-٢٧١

٦. شيخ كاظم سمندر – مخطوطة الصفحة ٩

٧. Martha L. Root الطاهرة ، الصفحة ٢٢

٨. شوقي افندي *Got passes by* الصفحة ٧٣

٩. Martha L. Root الطاهرة – الصفحة ٢٤-٢٥

١٠. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٧٢
ايضا المصدر السابق ، هامش الصفحة ٢٧٢

١١. مقالة سائح ، الصفحة ٢١٤-٢١٥

١٢. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٧٢

١٣. Martha L. Root الطاهرة ، الصفحة ٢٥-٢٦

١٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٧٢

١٥. المصدر السابق ، هامش الصفحة ٢٧٢

١٦. Martha L. Root الطاهرة، الصفحة ٣٠-٣١

١٧. المصدر السابق ، الصفحة ٣٢-٣٤
ايضا نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٧٣-٢٧٥
١٨. Martha L. Root الطاهرة ، الصفحة ٧
١٩. المصدر السابق ، الصفحة ٣٧-٣٨
٢٠. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٧٤
ايضا نبيل زرندي – مطالع الانوار ، الصفحة ٢٨٢
٢١. المجلة الآسيوية – المجلد السابع ، الصفحة ٤٧٤
٢٢. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٨٤-٢٨٥
٢٣. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٣٢-٣٣
٢٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٨٨-٢٩٨
٢٥. Martha L. Root الطاهرة ، الصفحة ٦٢-٦٣
٢٦ Sir Francis Younghusband, *The Gleam*, p. 202-203.
٢٧. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى ، الصفحة ١٥٠
٢٨. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٤٤٦-٤٤٧
٢٩. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٦٢١ – ٦٢٩
٣٠. Martha L. Root الطاهرة ، الصفحة ٦٨-٦٩
٣١. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٧٥
٣٢ Lord Curzon, *Persia and the Persian Question*, Vol. 1, p. 501.
٣٣. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٧٦
٣٤. Dr. T.K. Cheyne, *The Reconciliation of Races and Religions*, p. 114-115.
٣٥. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٨٥ . ايضا الصفحة ٣٠٦
٣٦. Martha L. Root الطاهرة الصفحة ٧٧

الفصل السادس عشر **مقتل اعلم العلماء الايرانيّين**

والآن حان دور وحيد الذي بعثه الملك نائبًا شخصيًا عنه لتحري صدق دعوة الباب، لكي تبتلعه موجة الاضطهاد الشاملة.

أسرع وحيد الى طهران في الأيام الأولى من حصار قلعة طبرسي للقيام بالترتيبات اللازمة لانضمامه الى الملا حسين والقدوس داخل القلعة. كان على وشك مغادرة العاصمة حين علم بفوات الأوان، فقد سبق ان قبض على أصحابه أو قتلوا.

التقى وحيد خلال زيارته هذه الى طهران بأحد أصحابه الذي دوّن في مذكراته عن ذلك اللقاء قائلاً: «لاحظت على وجهه الجليل من علامات القدرة والمجد، ما لم اره أثناء سفرتي الأولى معه الى العاصمة، ولا في مناسبات أخرى... وقال مرات عدة اثناء حديثي معه: «هذه هي رحلتي الأخيرة، ولن تراني بعد الآن»... وأحيانًا عندما ينفرد بنا المقام والوقت مناسب للاسترسال في الحديث، كان يشير قائلاً: «أقسم بذلك المحبوب الذي نفسي في قبضة قدرته انني اعرف، وأقدر أن أقول أين وكيف سأقتل، وعلى يد من سيكون قتلي فما أبهى وأسعد ان يسفك دمي لاعلاء كلمة الحق»[1].

سافر وحيد بعد زيارته الأخيرة لطهران الى قزوين مسقط رأس الطاهرة، ومنها الى قم وكاشان واصفهان، واردستان واردكان. قابل في كل من هذه المدن زملاءه المؤمنين، وعمل على انعاش حماسهم وتعزيز مجهوداتهم وشرح لهم تعاليم الباب الأساسية بكل شجاعة وحماسة، ونجح في كسب عدد لا بأس به من أكابر القوم وأشهرهم الى جانب أمر الباب. وهكذا أصبح وحيد هدفًا مهمًا لرئيس الوزراء وسائر اعداء الباب.

كانت قصة تحري وحيد لأمر الباب نيابة عن الملك السابق ورئيس وزرائه معروفة

لدى الناس كما ان موافقتهما على الالتزام بما يتمخض عن بحثه كانت مشهورة كما كان نكثهما للعهد معروفًا أيضًا عندما سمعا ان وحيدًا قد أصبح بابيًا.

كان وحيد رجل نفوذ عظيم، ورجل مال وشهرة. وبالاضافة الى منزله الجميل في يزد الذي تسكنه زوجته واولاده الأربعة كان له منزل آخر في داراب، وثالث في نيريز اشتهرت جميعًا بأناقتها ورياشها الفاخرة.

زار وحيد منزله في يزد في عيد رأس السنة الايرانية، الذي صادف يوم الاحتفال باعلان بعثة الباب. وخرج للقائه أكابر القوم والزعماء الدّينيون كان بينهم نوّاب رضوى، اشد اعدائه خصومة وقد استاء نواب رضوى من روعة استقبال وحيد وبخبث أشار بان وحيد لا يحتفل في الحقيقة بعيد رأس السنة قائلاً: «ان ولائم الشاه الملكية لا تكاد تضارع هذه الوليمة المتسمة بالاسراف، واخشى انكم تحتفلون بعيد آخر بالاضافة الى العيد القومي الذي نحتفل به».

رد عليه وحيد بجسارة وتهكم، مما اثار ضحك الحاضرين، وصفقوا لهذا الرد اللاذع. لأنهم كانوا يعرفون خسّة وشناعة نواب رضوى. فاشتعلت نار الغضب في قلبه، ووعد نفسه انه لو كان بوسعه لقتل وحيد شر قتلة على فعلته هذه.

انتهز وحيد هذه المناسبة واعلن دون تحفظ للحاضرين مبادئ دعوة الباب. انجذب البعض بصورة لا يمكن مقاومتها. وعارضها البعض في قلوبهم لعدم مقدرتهم على تحدي دفاع وحيد الناجح عن دينه الجديد. فانضموا الى نواب رضوى في اعداد خطة للاطاحة بوحيد سريعا.

كتب نيقولاس في تاريخه عن هذه الفترة يقول: «قال الشاعر الحب والكتمان امران لا يجتمعان، لذا شرع وحيد بالتبليغ جهرًا في المساجد والشوارع والأسواق وفي الميادين العامة وباختصار اينما وجد أذنًا صاغية. اثمر هذا الحماس عن دخول الناس في دين الله افواجًا، الأمر الذي سبب اضطرابًا عظيمًا بين رجال الدين فأعلنوا بغضب استنكارهم الى الحاكم مدعين ان وحيد قد هتك حرمة الدين»[٢].

اتفق جميع رجال الدين على نقطة حيوية واحدة هي أنه يجب القضاء على حياة وحيد. واذاعوا اخبار الوليمة التي اقيمت في عيد رأس السنة قائلين: «ومع ان مستمعيه كانوا من أكابر المجتهدين في يزد فلم يحتج احد منهم ولو بكلمة على اعلانه لدعوة الباب. وقد تسبب هذا الصمت في زيادة موجة الحماس التي اجتاحت المدينة وانضم تحت لوائه نصف سكان المدينة بينما النصف الآخر ينجذبون اليه بخطى سريعة».

انتشر هذا الاعلان في جميع المقاطعات المحيطة بيزد انتشار النار في الهشيم ، فأوقد نار الحقد ، ولكنه جلب في نفس الوقت أناسًا كثيرين من القرى والمدن البعيدة وكانوا يتقاطرون زرافات الى بيت وحيد للاستماع الى رسالة الباب . واعتنق عدد كبير منهم الدعوة .

سألوا وحيد قائلين : « ماذا نفعل بعد ذلك ؟ وكيف ندلّل على عمق وصدق ايماننا لدعوتنا ؟ » . كان وحيد يقضي يومه منذ الصباح الباكر الى ساعة متأخرة من الليل في تعليمهم والاجابة على اسئلتهم وحثهم على العودة الى ديارهم وتبليغ اهل قراهم .

استمر هذا النشاط التبليغي الحارّ مدة أربعين يوما . أصبح منزل وحيد خلالها مركزًا لتجمع المؤمنين والمؤمنات . وأخيرًا تمكن نواب رضوى من اقناع الحاكم في يزد بأنه ان لم يعتقل وحيد ، فسرعان ما تنقلب المدينة وتثور على حكومة الملك ، وسوف يكون الحاكم نفسه موضع اللوم . كان الحاكم جديدًا في منصبه وصغيرًا في سنه وتنقصه الخبرة . أخذ نواب رضوى يتوسل اليه يومًا بعد يوم لارسال قوة مسلحة تحاصر منزل وحيد وتضع حدًّا لنشاطه . وأخيرًا قال نواب للحاكم : «ألم يشجع رئيس الوزراء نفسه كل شخص على استعمال القوة والعنف ضد البابيين؟ وهل يكون وحيد عالي القدر من الشهرة والمكانة والنبل بحيث لا يدخل في هذا الصنف ؟ أليس هو في الحقيقة شر المسيئين جميعًا ؟ رضخ الحاكم أخيرًا لتوسلاته وأمر بخروج مفرزة من الجند لحصار منزل وحيد .

أسرع نواب من ناحية أخرى فأصدر أوامره وتعليماته الشخصية الى الغوغاء من الناس الذين قد سبق وأعدهم لمثل هذه الفرصة . وأخبرهم بكل فرح بان الحاكم قد وقع في شباكه ، وبأن وحيدًا هو الآن هدف للهجوم الواقع عليه ، وحث هؤلاء الناس على التوجه الى منزل وحيد والعمل بكل ما في وسعهم أمعانًا في مذلته قائلاً لهم : «لا داعي بعد الآن لكبح سخطكم وشعوركم الحق بالغضب». وكان يقصد بذلك ان قتل وحيد أمر ممدوح في نظر الله .

وصلت كتيبة من الجيش مصحوبة بجموع غفيرة من الناس وحاصرت المنزل حين كان وحيد واقفًا عند نافذة الطابق العلوي يخطب في جمع كبير من الأصحاب الذين تجمعوا في فناء منزله .

جزع أصحاب وحيد من رؤية الجند وجمهور الغوغاء المتهيج . والتفتوا الى وحيد طالبين أوامره . قام حسن الخادم بتسريح جواد وحيد سريعًا وأحضره الى ساحة الدار تحت النافذة لكي يهرب وحيد وينجو بنفسه . ناشد وحيد أصحابه ان يلتزموا الهدوء

والسكينة. قائلاً لهم: «لا تخافوا فبعد قليل سيشتت جمع هؤلاء الذين احاطوا بنا ويولون الأدبار».

أشار وحيد الى جواده الواقف في فناء منزله وقال: «هذاهو الجواد نفسه الذي اعطاني اياه الملك الراحل لأمتطيه للقيام بمهمتي وهي تحري طبيعة أمر الباب تحريًا نزيهًا. وطلب الملك أن أوافيه شخصيًا بنتيجة تحرياتي لأنني حسب قوله كنت الوحيد بين العلماء الدينيين في طهران الذي يعتمد عليه اعتمادًا تامًا».

«قمت بالمهمة ممتطيًا هذا الجواد بعينه وعازمًا على دحض حجج الباب وبراهينه واثبات تفوقي عليه. كنت مصممًا على سحقه بعلمي الفائق واجباره على الاعتراف بزعامتي، ثم أخذه معي الى طهران كشاهد عيان للنصر الكامل الذي احرزته. ففي مقابلتي الأولى معه انكسرت شوكتي. وفي نهاية المقابلة الثانية احسست بعجزي وجهلي، وفي الثالثة وجدت نفسي أحط من التراب تحت قدميه. وقد تجلى لي على حقيقته، الموعود المنتظر، المجسم الحي للروح الأمين».

لم يكترث وحيد للاعداء الذين كانوا يحاصرون منزله. فما قيمة أي حدث من حوادث العالم في نظره سواء اكان مفرحًا أم محزنًا. وقال لأصحابه:

«منذ ذلك اليوم وأنا اشتاق ان أفدي حياتي من أجله. انا سعيد جدًا لأن ذلك اليوم الذي طالما كنت انتظره يقترب سريعًا»[٣]

اضطرب الأصحاب وخافوا لاعتقادهم انه كان يشير الى ذلك اليوم وتلك الساعة التي كان فيها الجند والسوقة يستعدون لمهاجمتهم. ولما شاهد وحيد فزعهم، حثهم على التزام الهدوء والصبر قائلاً: «أيقنوا بأن الله المنتقم سوف ينزل قريبًا بيده الغيبية هزيمة ساحقة بهذا الجيش المحتشد ضدّنا».

بعد قليل من تفوه وحيد بهذه الكلمات، وصلت الأنباء تقول ان عددًا كبيرًا من الأصحاب الموالين يقتربون من منزل وحيد لتخليصه. انقض رجال فرقة الانقاذ هذه على المهاجمين. وكانت شجاعتهم وعدم اكتراثهم للموت الى درجة افزعت مفرزة الجند والناس بأكملهم وشتتهم جميعًا. ترك الجند سلاحهم وفروا باحثين عن مأوى، كما تفرق الغوغاء في كل الأنحاء وهم يصيحون طلبًا للعون. ارسل وحيد مناديًا ينادي في الناس ويحذرهم بأنه لا يرغب في مهاجمة احد منهم، بل يريد الدفاع عن نفسه وبيته. حدثت بعد ذلك مناوشات أخرى بين جنود الحاكم وأصحاب وحيد انتهت بهزيمة جنود الحاكم. أمر وحيد أصحابه بأن يتفرقوا الى حيث سلامتهم. علم وحيد ان ساعة رحيله من

يزد قد أزفت فاحضر زوجته وطلب منها ان تأخذ الأولاد وجميع ممتلكاتهم وتذهب الى منزل والدها لسلامتهم. امرها بترك كافة ممتلكاته الشخصية في المنزل قائلاً لها: «لقد شيدت هذا المنزل الفخم لغرض واحد هو ان يهدم في النهاية في سبيل امر الله. واخترت له أفخر الاثاث آملاً في تقديمها جميعًا يومًا ما قربانًا لمحبوبي». حاول وحيد افهام زوجته قائلاً، في ذلك اليوم سيعلم الصديق والعدو انّ الذي يملك هذا البيت يملك كنزًا آخر ثمينًا على شأن لا يعادله في نظره قصر أرضي مهما كان فخمًا، فما هذا البيت الاّ كومة من العظام تتهافت عليها فقط كلاب الأرض.

ودع وحيد زوجته العزيزة وودع اطفاله وداعًا رقيقًا.

وفي منتصف تلك الليلة جمع وحيد كتابات الباب التي كانت بحوزته واعطاها لخادمه حسن، وأمره ان يأخذها وينتظر وصوله خارج باب المدينة. طلب منه ان يسلك طريقًا معينة لأجل سلامته، وحذره قائلاً: «لا تهمل تعليماتي والا لن نلتقي مرة أخرى».

ركب حسن حصانه واستعد للرحيل. سمع حسن صيحات دورية الحراس الذين كانوا يحرسون المدينة اثناء الليل، خاف أن يقبضوا عليه ويستولوا على ما معه من المخطوطات فسلك طريقًا آخر ظنه أكثر سلامة الى باب المدينة. وعندما كان مارًا بأحد احياء المدينة عرفه الحراس فصاحوا: «ها هو خادم وحيد». فاطلقوا النار عليه وقتلوا حصانه وألقوا القبض عليه حيًا.

سلك وحيد في هذه الأثناء الطريق الذي رسمه لخادمه ووصل وحيد سالمًا الى خارج المدينة. اندفع الأعداء بقيادة نواب الى منزل وحيد في الوقت الذي غادر فيه يزد فسلبوا ممتلكاته، وحملوا معهم جميع أثاث المنزل ثم دمروه تدميرًا. انطلق وحيد على الفور باتجاه منزله في نيريز. قطع في الليلة الأولى هذه عشرين ميلاً سيرًا على الأقدام حتى وصل أخيرًا الى قرية يسكنها اخوه. لم يدخل وحيد بيت أخيه، بل نصب خيمته على جبل مجاور. وما أن علم اخوه بوجوده حتى ارسل اليه كل مـا يحتاجه من خيل وطعام في سفره الى نيريز.

ارسلت قوة من جنود الحاكم من يزد لمطاردة وحيد. اقتفوا اثره الى قرية اخيه وفتشوا المنزل الذي اشتبهوا باختباء وحيد فيه وعندما لم يعثروا عليه هدّدوا من غيظهم وفشلهم بالاستيلاء على كل ما استطاعوا حمله من ممتلكات اخيه. وقاموا بمزيد من البحث حول القرية ولكنهم لم يعثروا على خيمة وحيد في الجبل. وعادوا إلى يزد يجرون وراءهم اذيال الخيبة.

لم يكتف نواب رضوى بعد. نعم ان نشاط وحيد في التبليغ قد توقف، ولكن وحيد

قد نجا بنفسه . لم يكلف نواب نفسه مشقة تعقبه ، بل ترك ذلك الى الحاكم ، وبدلاً عن ذلك قام هو بالتعاون مع كبار علماء يزد باتخاذ خطوات أكثر نفعًا له .

دوّن نيقولاس تلك الخطوات التي قام بها رضوى بعد مغادرة وحيد قائلاً : «تنفس رضوى صعداء . والى جانب ذلك رأى ان تتبع الهارب قد ينطوي على بعض المخاطر وانه من الأوفق والأسلم والأكثر نفعًا والأقل خطرًا الى حد بعيد هو تعذيب البابيين أو من يفترض كونهم بابيين شريطة ان يكونوا من الأغنياء ممن بقوا في المدينة . وأخذ بالبحث عن اكثرهم غناءً وازدهارًا وأمر بقتلهم ومصادرة أموالهم بذلك انتقم لدينه الذي انتهكت حرمته ، الأمر الذي قد لا يعنيه كثيرًا وملأ خزانته بالأموال التي هي شاغله الوحيد»[٤] .

وبعد ان فشل رجال السلطة في خططهم للقبض على وحيد وقتله ، اضطروا للاكتفاء بتعذيب خادمه حسن . فاقتادوه الى فوهة مدفع محشو ظنًا منهم أنهم بذلك يدخلون الرعب في قلبه فيلتمس منهم الرحمة فيجبرونه على انكار عقيدته . على أي حال لم يكن حسن سوى خادمًا ، اما وحيد فهو ذو نبل وعلم عظيمين ولا شك أنه مدرك لما يفعله ، لكن هذا الخادم الجاهل فمن اليقين انه سينقذ نفسه خاصة بعد ذهاب سيده . فاذا تمكنوا من ان يجعلوه يلتمس الرّحمة ، استطاعوا ان يطبلوا ويزمّروا لانكاره دينه ويكون هذا على الأقل وسيلة لتحقير وحيد .

اعطى الضابط أوامره التي زعم انها ستجعل حسنًا يخضع ، وصاح قائلاً : « اوثقوه وظهره الى فوهة المدفع » . فقال حسن متوسلاً : « لا ... لا تفعلوا بي هكذا » .

ابتسم الضابط فرحًا ، فقد حدث ما كان يتوقعه . ولكن الابتسامة انقلبت غضبًا حين تابع حسن توسلاته قائلاً : « لا تربطوني وظهري الى المدفع بل اربطوني اليه وجهًا لوجه ، حتى أشاهده وهو ينطلق » .

دهش المدفعيون والمتفرجون الحاضرون من رباطة جأش حسن وفرحته . وقالوا في أنفسهم : « ان المرء الذي يستطيع ان يكون مبتهجًا في ظرف كهذا ، لا بد وان يكون ذا ايمان وجلد عظيمين »[٥] .

تابع وحيد نشر الكلمة على طول الطريق الى نيريز . وحيثما حط رحاله كان أول عمل يقوم به هو التوجه فورًا الى أقرب بلدة أو قرية حيث يجمع كافة الناس حوله ليعلن لهم بشارة ظهور الباب . وفي القرية الجبلية بوانات اعتنق شيخها العالم حاجي سيد اسماعيل الدعوة . لم يعرف وحيد التعب . ففي المكان الذي كان ينجح فيه في جذب النفوس الى

دعوة الباب كان يمكث بينهم ليلة لتنمية معلوماتهم واعدادهم لمتابعة التبليغ بعد رحيله. فان لم يقم احد لقبول الدعوة أو لطلب المزيد من المعلومات كان وحيد يترك القرية على الفور.

وقال وحيد لاصحابه. «كل قرية امر بها ولم استنشق من أهلها عبير الايمان، لا يحلو لي فيها طعام ولا شراب»[٦].

خرجت نيريز بأسرها لتحية وحيد عندما وصلتها اخبار اقتراب وحيد منها. منعهم الحاكم من الخروج وحذرهم من تعريض ارواحهم وممتلكاتهم للخطر. ولهذا بدأ معظمهم ان يرحلوا في ظلام الليل لمقابلته.

علم الحاكم بأمر خروجهم سرًا فارسل رسولاً خاصًا للحاق بهم وحذرهم قائلاً «سيكون الموت من نصيبكم اذا ابديتم ولاءكم لوحيد. فانني لن اسمح لانتصاراته التي نالها في يزد ان تكرر في نيريز».

لم يعبأ احد منهم بهذا التحذير، واستمروا في سيرهم. عاد الرسول وأخبر الحاكم بازدرائهم لانذاره، شعر الحاكم بالخيبة اذ ذاك وقرر اتخاذ بعض الخطوات المشددة حفظًا لكرامته.

كان اول عمل قام به وحيد لدى وصوله الى نيريز، قبل الذهاب الى بيته، هو التوجه الى المسجد والقاء خطبة في جموع اصدقائه الذين كانوا مجتمعين هناك، ودعاهم الى اعتناق دعوة الباب معلنًا ان الموعود الإلهي قد ظهر. صعد وهو ما زال بملابس السفر المغبرة على المنبر وتكلم بفصاحة مقنعة بحيث تكهرب جميع الحاضرين من ندائه. وعندما هدأت شعلة حماسهم، تابع قائلاً: «ان هدفي الوحيد من الحضور الى نيريز هو اعلان امر الله. فاشكر الله واحمده الذي مكنني من اشعال قلوبكم بنار محبته».

لبّى نداءه تلقائيًا ما لا يقل عن ألف شخص من أهالي منطقته الخاصة وخمسمائة من سائر احياء نيريز، وقبلوا الدعوة. خاطب وحيد جمهور المجتمعين قائلاً: «لا حاجة لي ان ابقى بينكم اكثر من هذا، فقد انتهت مهمتي، وأخشى ان اطلت اقامتي بينكم ان يسيء الحاكم معاملتكم بسببي».

اكدوا له ايمانهم قائلين: «لقد فوضنا أمرنا الى الله وعسى ان يشدد ازرنا لمواجهة البلايا التي قد تنزل بنا، ولكننا لا نستطيع فراقك السريع عنا».

اذعن وحيد لرغبتهم، ووافق ان يبقى بضعة أيام أخرى في نيريز. وما ان اعلن هذا

حتى اجتمع حوله الرجال والنساء وهم يهتفون ويكبرون وساروا معه يحرسونه الى عتبة منزله.

فزع الحاكم عندما سمع ان وحيدًا قد احرز هذه الموجة العارمة من الانتصارات في مثل هذه المدة القصيرة المدهشة فقد كان يعتنق دعوة الباب أكابر القوم من مختلف الطبقات بينهم ابن اخ الحاكم[٧].

رأى الحاكم ان عليه تحطيم نفوذ وحيد قبل ان يقوض مركزه عند الملك ورئيس الوزراء فدعا الف جندي من الفرسان والمشاة وأمدهم بالذخيرة وأمرهم بالقيام بهجوم مباغت على وحيد قائلا: «القوا القبض عليه واحضروه الى هنا مكبلاً بالحديد».

تسرّب نبأ هذا الهجوم السري الى وحيد، فسلك هو وأصحابه نفس المسلك الذي قام به الأصحاب في قلعة طبرسي وبحثوا عن مأوى لهم، انضم الأمير الذي كان حاكمًا في شيراز الى القوات المعادية لوحيد وأصحابه وأعطى التعليمات نفسها التي سبق وأعطيت في طبرسي وهي: «أبيدهم عن آخرهم».

التجأ وحيد وأصحابه الى قلعة «خواجة» حيث حوصروا بالطريقة نفسها التي حوصر بها الملا حسين والقدوس في طبرسي وقطع عنهم الماء والغذاء وفي النهاية أخرجوا من أماكنهم المحصنة بنفس الخيانة التي ارتكبت في طبرسي.

فشل حاكم نيريز المرة تلو الأخرى في الفوز بالقوة فالتجأ إلى الخداع الذي يتنافى وروح الاسلام السمحة. فقد ارسلت نسخة من القرآن الكريم الي وحيد ومعها الوعد المقدّس التالي: «هذا القرآن شاهد على نزاهة غرضنا. فليحكم هذا الكتاب المقدس فيما اذا كان ما تدّعونه لدينكم حقًا ام باطلاً. اخرجوا من القلعة وقابلونا في المعسكر. فاذا استطعتم ان تبرهنوا لنا على صحة دينكم، فنحن أيضًا على استعداد لاعتناقه. لعنة الله علينا ان حاولنا خداعكم».

تسلم وحيد الكتاب بكل احترام وقال «لقد دقت ساعتنا المعينة، وعلى الرغم من انني على علم تام بنيتهم، أرى من واجبي قبول دعوتهم، وانتهز الفرصة مرة أخرى لأخبرهم عن ديننا الحبيب».

ترك وحيد القلعة مع خمسة من الأصحاب ودخلوا معسكر الحاكم وظل وحيد يتحدث اليهم مدة ثلاثة أيام عن الباب. ومع انهم كانوا يتظاهرون بالاستماع، الا انهم كانوا يتآمرون سرًا في الكيفية التي يخرجون بها بقية الأصحاب من القلعة وابادتهم جميعًا.

نجحت الخطة التي وضعت لاقناع احباء الوحيد بترك القلعة والانضمام الى وحيد في معسكر الجنود.

كانت هذه بداية المذبحة. فبمجرد خروج أصحاب وحيد من القلعة التي القبض عليهم. وعندما وصلت اخبار اعتقالهم الى الحاكم واركانه، شرعوا على الفور في الانتقام من وحيد. وتشاوروا في أحسن وسيلة يتخلصون بها من تنفيذ قسمهم الذي ارسلوه مع القرآن الكريم الى داخل القلعة. كانت خطتهم التي اعتمدوها بسيطة. تطوع رجل عرف بشراسته وقسوته للشروع في قتل وحيد دون تعذيب من ضميره، لأنه لم يشترك معهم في القسم. واكد للحاكم واركانه قائلاً:

«اذا كنتم قلقين من هذا القسم، اطرحوا همومكم عن أنفسكم فانني على استعداد للقيام بما ترغبون في عمله وأنا حاضر للاجهاز على اولئك الذين ترونهم انتهكوا قوانين البلاد».

استدعى هذا الرجل كافة اقارب الذين هلكوا اثناء المعارك الطويلة التي دارت لاخضاع القلعة التي كان يحتمي فيها وحيد وأصحابه وجعلهم يصدرون حكم القتل على وحيد وبذلك تصور انه يخلي نفسه والحاكم من مسؤولية قتلهم وعرض على ثلاثة رجال منهم بصفة خاصة عرف فيهم غلظة القلب شرف انزال الضربات الأولى بشخص وحيد قبل تسليمه الى الغوغاء. رددت نيريز أصوات دق الطبول وضرب الصنوج عندما احضروا وحيد امام الناس. كانت الجموع تتدافع بينما كان الرجال الثلاثة يتناوبون ادوارهم، انتزع الأول ويدعى ملا رضا العمامة من على رأس وحيد، وفتحها ثم لفها حول رقبة وحيد، ثم سحبه بها إلى الأرض. شدّ وحيد بعد ذلك الى سرج حصان وضرب الحصان بالسوط لكي يسحل وحيدًا في شوارع المدينة. وانهال بعد ذلك كل من الثاني ويدعى صفر والثالث ويدعى آقا خان بضرب وحيد ولكمه كما شاء وبوحشية حتى خشي المتفرجون ان لا يبقى لهم ما يعبثون به.

نادى وحيد وهو في غمرة محنته قائلاً: «انت تعلم يا محبوبي بأني تركت العالم من أجلك، وتوكلت عليك وحدك، وانني الآن متلهف الى لقائك».

زعق الغوغاء بغضب لما كان يشع من وحيد من أنوار القبول والرضا بمصيره. وصمموا على أن يجعلوه يبدي بعض امارات الخوف ويضطر الى طلب الرحمة. انقضوا عليه انقضاضًا هائلاً وأخذوا يدقونه بأيديهم وأسلحتهم حتى فقد الوعي. ثم سلخوا جلده. وقام

الخيالة بتفريق الجمهور حتى يأخذوا هم أيضًا دورهم. التفت النسوة حول جثته يرقصن ويهللن وعلى تزايد ضجيج دق الطبول وضرب الصنوج.

كتب نيقولاس في تاريخه يصف هذه الجموع قائلاً: «هاجت الجماهير من هذا المشهد فانهالت ضربًا بالحجارة والعصي حتى اردوا هذا الرجل سيئ الحظ قتيلاً ثم قطعوا رأسه وسلخوا جلده وحشوه بالتبن وأرسلوه الى شيراز تذكارًا لانتصارهم[٨].

فعل الجمهور الثائر المسعور برؤوس الأصحاب، ما فعلوه برأس الوحيد وأرسلوها هدايا الى الأمير في شيراز الذي كان قد طالب باستئصال وحيد وأصحابه ليبرهنوا له عن مدى اخلاصهم في تنفيذ أوامره.

كان الأمير يحتفل بالعيد عندما وصلت القافلة المحملة بتذكارات النصر البشعة هذه. كان ذلك يوم عيد في شيراز. «كانت الأسواق مزدانة بالأعلام وكانت الفرحة عامة. وفجأة ساد الصمت التام. اذ شاهدوا اقتراب اثنين وثلاثين جملاً يحمل كل منها سجينًا بائسًا، امرأة كانت ام طفلاً، شد كالحزمة ووضع على عرض السرج. كان يحفّ بهذه الجمال الجند من كل جانب وهم يحملون رماحًا طويلة نصب على كل منها رأس احد البابيين الذين قتلوا في نيريز... اثرت بشاعة هذا المنظر في اهالي شيراز المبتهجين بفرحة العيد تأثيرًا عميقًا. فعادوا الى بيوتهم حزانى.

«اجتاز هذا الموكب المرعب الأسواق وسار الى قصر الحاكم الذي كان موجودًا في الحديقة بصحبة... الأعيان والشخصيات البارزة في شيراز. انقطعت الموسيقى عن العزف كما توقف الرقص[٩]».

تقدم مهر علي خان الى الأمير حاملاً تذكارات نصره وروى للأمير عن أعماله الباسلة في الهجوم على وحيد وأصحابه. ثم أعطى اسماء كافة المساجين الذين احضرهم معه من رجال ونساء وأطفال. فهنّأه الأمير على فوزه العظيم وأنعم عليه وعلى زملائه القادة الآخرين بانعامات خاصة لهذه الهدية من الرؤوس المفصولة.

حققت هذه الأحداث النبوءة الشهيرة الخاصة بمجيء الموعود، وهي «عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر ايوب، فيذل اولياؤه في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم. فيقتلون ويحرقون وتصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم. اولئك اوليائي حقًا»[١٠].

لم يكتف حاكم نيريز بعد. فكان يتلهف لانتقام أشد من اولئك الذين نجوا من غدره. فدبر خطة لابادتهم جميعًا حتى لا يبقى من يروي قصة خيانته.

كتب نيقولاس يقول: «لازمه حقده الذي لا يعرف الحد طوال حياته. في الحقيقة لم يرسل الحاكم الى شيراز الا الفقراء، واحتفظ بالأغنياء الذين كان الحاكم قد وكل أمرهم الى حارس امره ان يسير بهم في البلدة مع ضربهم اثناء السير. وجد اهالي نيريز بذلك في حينه متعة عظيمة»[11].

كانت نهاية حياة وحيد النبيلة اشارة الى انطلاق موجة شرسة من العنف في نيريز، استمرت طويلاً بعد ذلك اليوم من الغدر فقد احرقت القلعة التي يحتمي فيها وحيد وأصحابه حتى أصبحت قاعًا صفصفًا، وسلبت ممتلكاتهم ودمرت منازلهم، والقي الكثيرون في غياهب السجون قبل انزال التعذيب الجهنمي الأخير بهم، وتأكد الموظفون الشرهون من ان المسجونين لم يبق معهم أي شيء ذي قيمة قبل قتلهم، وقد سلب كثيرون خلال تلك الفترة السوداء.

لقي على الفور واحد من أغدر قادة واقعة نيريز نفس المصير الذي حلّ بخونة طبرسي. فمهر علي خان الذي كان قد رافق تذكارات النصر المكونة من رؤوس مفصولة الى الأمير في شيراز، والذي اشادت شفتاه عاليًا بشجاعته، أصيب فجأة بالبكم. لم يعد قادرًا على التباهي بمسيرته الظافرة ومعه هديته المرعبة المقيتة الى قصر الأمير. لقد أصيب مهر علي خان بالمرض بعد تلك المسيرة بقليل. كانت شفتاه تستطيع رسم الكلمات لكن دون اخراج ادنى صوت. وظل مهر علي ابكمًا عديم النطق الى يوم موته، وفي يومه الأخير، وهو على وشك الموت رأى الذين حوله من حركة شفتيه انه يهمس بشيء، فانحنوا ليلتقطوا آخر كلماته فسمعوا الصوت الوحيد الذي خرج من شفتيه منذ ابتلائه بالمرض فقد همس همسًا خافتًا ثلاث مرات بكلمة «البابيون» ثم ارتد الى الوراء وسقط ميتًا[12].

جاء في كتاب مقالة سائح انه «لم يفلت احد من اولئك الذين كانوا بالدرجة الأولى مسؤولين عن هذه المآسي، الا وكانت نهايته سيئة وماتوا جميعًا في غمرة من البلايا».

وهكذا سقط رجل عظيم آخر من رجال الباب، الرجل الذي سمي بـ «وحيد عصره»[13] ان وحيدًا الشهير الذي وصفه الملك ورئيس الوزراء بأنه «أعلم العلماء الإيرانيّين» تخلى عن كل ما يعتز به الإنسان ليحظى بفداء روحه في سبيل الله.

وقع استشهاد وحيد قبل استشهاد محبوبه الباب بعشرة أيام فقط.

١. التاريخ الجديد ، الصفحة ١١٥
٢. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٩٠
٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٦٥–٤٧٥
٤. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٩١
٥. التاريخ الجديد ، الصفحة ١١٧
٦. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٧٦
٧. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٩٣
٨. المصدر السابق ، الصفحة ٤٠٦
٩. المصدر السابق ، الصفحة ٤٠٧
١٠. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٦٤٧ ، ٤٨١–٤٩٦
١١. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٤٠٨
١٢. مقالة سائح – الصفحة ٢٥٩–٢٦٠
١٣. بهاء الله – كتاب الايقان ، الصفحة ١٨٨

الفصل السابع عشر **ابطال طهران السبعة**

جاء مقتل وحيد ضربة أخرى الى قلب الباب الذي كان ما يزال يعاني حزنًا عظيمًا بسبب مأساة طبرسي وذلك عندما أخبر عن خيانة أخرى في نيريز ومع هذا لم تكن حتى هذه الفواجع اخر محنة تجعل مظلما بقية ايام حياته التي كانت تمضي مسرعة الى نهايتها. فخاله الحبيب، الحاج ميرزا سيد علي الذي احتضنه منذ طفولته وقام على خدمة امره بكل اخلاص كتب له ان تبتلعه عن قريب موجة الاضطهاد نفسها.

كان الخال قد عاد لتوّه من زيارته للباب في قلعة جهريق. وكان الباب قد أرسله من مدينة السجن لينال تاج الشهادة قائلاً: «سوف الحق بك بنفسي ومعي أحد تلاميذي المخلصين، وسوف نلتقي بك في العالم الأبدي».

عندما دخل خال الباب مدينة طهران حذره اصدقاؤه من خطر وجوده فيها. فأجابهم بكل اطمئنان «لماذا تخافون على سلامتي؟ فأنا أيضًا متلهف للإشتراك في المأدبة التي تهيئها اليد الإلهية للمختارين في طول البلاد وعرضها».

وبعد ذلك بوقت قصير حضر خائن يتظاهر بالاهتمام بدين الباب صفوف الدرس، وبذلك تمكن من الحصول على قائمة باسماء خمسين شخصًا منهم قدمها الى محمود خان محافظ طهران. وعلى الفور أمر المحافظ بالقبض على هؤلاء الخمسين. قبضوا على أربعة عشر منهم وأحضروهم أمام السلطات. كان الخال واحدًا منهم، فاعتقلوا في سجن منزل المحافظ، وهو المنزل نفسه الذي سجنت الطاهرة في الطابق العلوي منه. ابتلى هؤلاء الأسرى الأربعة عشر بألوان البلايا وذلك للكشف عن أسماء وعناوين مؤمنين آخرين في المدينة. وابلغ رئيس الوزراء تقي خان بأمر القبض عليهم.

وطبقًا للمصادر التاريخية ، ان هذا العدو اللدود للباب ، كان ابن رئيس الطهاة لدى رئيس وزراء سابق ، وقد ارتقى في بضع سنوات من المطبخ حتى أصبح المستشار الأول للملك ، وذلك عن طريق التقدم الذاتي والقسوة. اصدر رئيس الوزراء هذا أمرًا على الفور يهدد بقتل كل من يرفض منهم انكار دينه.

وتحت الضغط الذي مورس عليهم اضطر سبعة منهم للرضوخ ، فاطلق سراحهم في الحال ، أما السبعة الباقون الذين ظلوا ثابتين عرفوا بـ «شهداء طهران السبعة» ، وكان خال الباب أحدهم.

حثه اصدقاؤه من التجار على انكار عقيدته وانقاذ حياته وقالوا ان الله يغض الطرف عن أمور كهذه ، كما عرض عدد من التجار الأثرياء دفع مبلغ من المال فدية لخلاصه ، ولكن الخال رفض عرضهم هذا. وأخيرًا احضروه أمام رئيس الوزراء.

فقال له رئيس الوزراء : «لقد تشفع لك عدد من الرجال البارزين ، هناك تجار أثرياء من شيراز وطهران راغبون بل متحمسون لدفع فدية عنك ، وبكلمة انكار واحدة منك يطلق سراحك وسوف نعيدك الى مسقط رأسك معززًا مكرمًا».

أجاب الخال بكل جرأة على هذه الكلمات بقوله «يا صاحب السعادة. ان انكاري للحق في هذا الظهور هو بعينه انكار لجميع الديانات التي سبقته. فاذا رفضت الاعتراف برسالة الباب ، فانه يتحتم عليّ أيضًا انكار الرسالات الإلهية التي اتى بها محمد ، وعيسى ، وموسى ، وجميع الأنبياء السابقين».

لم يحاول رئيس الوزراء اخفاء نفاد صبره عندما استمر خال الباب قائلاً : «يعلم الله ان كل ما سمعته وقرأته عن سير الأنبياء السابقين ، كان لي شرف مشاهدة ذلك في هذا الشاب ، قريبي المحبوب منذ نعومة اظفاره حتى بلغ الآن الثلاثين من عمره. وانما ارجو هو أن تسمح لي بأن أكون أول من يفدي حياته في سبيله».

صعق رئيس الوزراء من جواب كهذا ، وبدون أن ينبس بكلمة أشار الى من حوله بأن يأخذوه ويقطعوا رأسه.

وبينما كان الخال في طريقه الى موقع اعدامه ، نادى الجموع المحتشدة حوله قائلاً : «لمدة الف عام وانتم تصلّون لظهور الموعود. ولمّا جاء الموعود ، فانكم ابعدتموه الى منفى لا أمل فيه في ناحية نائية من البلاد. ادعوا الله وأنا في النفس الأخير من حياتي ان ينبهكم من رقاد غفلتكم».

هزت هذه الكلمات مشاعر الجلاد، فتظاهر بأن السيف الذي كان يمسك به استعدادًا للضرب يحتاج الى شحذ، فانصرف مسرعًا، ولم يعد قط. وروى قصة ذلك الحادث المؤثر مرات عديدة معربًا عن ندمه للعمل الذي اجبر على ارتكابه. وكلما تحدث عن خال الباب لم يقو على حبس دموعه التي كانت تشهد على عمق تأثره[١].

كان ثاني من يسقط تحت سيف الجلاد هو ميرزا قربان علي، الذي كان صديقًا حميمًا لشخصيات بارزة في المدينة. كان ذا مكانة عظيمة بدرجة انه عندما زار كربلاء احتشد جم غفير من الناس على طول الطريق لتأدية التحية له، وكانت والدة الملك من أعظم المعجبين به، ولصداقتها الوثيقة لقربان علي واعجابها به، قالت لابنها الملك ان تهمًا كاذبة قد ألصقت بقربان علي، واصرت قائلة انه ليس من اتباع الباب ولكنه اتهم باطلاً.

ولذا استدعي قربان علي وأحضره رئيس الوزراء الى القصر تحت الحراسة. وسبّب اعتقاله ضجة نادرًا ما شاهدت العاصمة مثلها في السابق. فقد تبعته جماهير غفيرة اثناء اقتياده في شوارع المدينة. وهتف له البعض مشجعًا وتساءل البعض الآخر في حيرة: «ماذا فعل؟ أي ضرر يمكن ان يحصل من هذا الرجل العظيم؟» ملأت جماهير الناس مداخل مقر الحكومة متلهفين لسماع شيء عن مصيره.

عومل قربان علي في بادئ الأمر باحترام وأكدت له السلطات ثقتها به وأبدت اهتمامها لوقوع مثل هذا الظلم الخطير عليه. وأكدت له «نحن نعلم انك لا تنتمي الى هؤلاء البابيين الضالين. لقد اتهمت كذبًا، ونحن نعلم انك لم تقبل به كرسول».

أجابهم قربان علي بكل بساطة: «انني لا أعرف اذا كان هو قد قبلني، اما انا فقد قبلته بكل يقين، واعتبر نفسي من اتباع الباب وخدامه».

حاولوا اقناعه بالتخلي عن هذه الحماقات[٢] قائلين انه اذكى بكثير من أن يكون خادمًا لأحد، وأعلى شأنًا بكثير من ان يصغّر نفسه في نظر اصدقائه. كما وعدوه بمرتب دائم وتقاعد سخي، ان هو خرج معهم الى الشارع وأعلن للناس انه انكر هذه الدعوة الباطلة.

صبر قربان علي حتى القوا بكل ما في جعبتهم، ثم خاطبهم بقناعة هادئة قائلاً: «حياتي هذه وقطرات دمي هذه ليست الاّ أقلّ القليل، فلو كانت الدنيا بأجمعها ملكًا لي، ولو كان لي الف حياة لطرحتها جميعًا تحت أقدام أصغر احباء الباب».

حاول رئيس الوزراء بنفسه ان يبين له حماقة مثل هذا الموقف العنيد قائلاً: «منذ الليلة

الماضية وأنا محاط بموظفي الدولة من جميع الطبقات وكلهم يتكلم بحماس دفاعًا عنك. وممّا علمته عن مركزك ونفوذ كلامك، فانني لا استطيع فهم موقفك هذا. فلو انك ادعيت هذا المقام لنفسك لكان ذلك أفضل لك، أفضل بكثير من أن تعلن ولاءك لشخص من الواضح انه أقل منك علمًا».

هزّ قربان علي برأسه وقال: «ليس الأمر كذلك. لقد هدتني كافة العلوم التي حصلتها الى الاعتراف به والخضوع لديه. دققت في أمره بالانصاف. فلو كان الباب باطلاً لكان كل نبي منذ الأزل الى يومنا هذا باطلاً».

حاول كل من الملك ووالدته التأثير على قربان بالعدول عن اعتقاده. ولكن لم تأت الوعود المعسولة، ولا التهديدات بالموت بأي فائدة. وقال لهم: ان الكنز الذي قدمه الباب لي، لا نظير له، وعندما شاهد دهشتهم لرفضه قبول الجاه والغنى وتفضيله الموت، حاول ان يشرح لهم:

«لي أكثر من الف من المعجبين يخضعون لنفوذ كلامي، ومع ذلك فانني عاجز عن تبديل قلب أقل واحد فيهم. غير ان الباب أثبت انه قادر على رفع شأن احطّ الناس من أهل بلده وتبديلهم. فلقد اثر الباب على قلوبنا بشكل أصبحنا نرى ان فداء أرواحنا في سبيله أقل ضروب التضحية».

قال رئيس الوزراء وهو في تردّد: «لست ادري ان كانت كلماتك هي من عند الله أم لا؟ غير انني لست راغبًا في اصدار الحكم باعدام رجل له مثل هذا المقام الرفيع الذي لك».

صاح قربان علي قائلاً: «لم التردد؟ لهذا خلقت. وبه ابرهن على جدارتي بالمعرفة التي وهبني الله اياها. فهذا هو اليوم الذي فيه اختم بدمي ايماني بدعوته».

ولما شاهد حيرة رئيس الوزراء أضاف قائلاً: «لا تتوان. تأكد انني لن ألومك على فعلتك. بل كلما اسرعت في قطع رأسي، كلما ازداد امتناني لك». غضب رئيس الوزراء وصاح: «خذوه بعيدًا عن هذا المكان. فقد لا تمضي دقيقة واحدة حتى أصبح أسير سحره».

ابتسم قربان علي ابتسامة لطيفة وقال كلا، فأنت لا يؤثر فيك هذا السحر. انه سحر انما يأسر ذوي القلوب الصافية. هاج رئيس الوزراء ونهض من مقعده وقد تغير لونه واهتز بدنه غضبًا وصاح قائلاً: «انما بحد السيف يمكن اسكات صوت هذا القوم المخدوع» والتفت الى الجلاد قائلاً: كفى... لا حاجة لاحضار المزيد من أفراد هذا القوم البغيض

أمامي. فالكلام عاجز عن التغلب على عنادهم الذي لا يحيد. اطلقوا سراح كل من تمكنتم من اقناعه بانكار عقيدته. أما الباقون فاضربوا رقابهم. لا أريد ان اقابل المزيد منهم.

وفيما كان الجلاد يقتاد قربان علي الى مشهد اعدامه، رفع صوته مخاطبًا الجلاد بفرح عظيم قائلاً: «اسرع بقتلي، لأنك بذلك تكون قد قدمت اليّ كأس الحياة الأبدية. فسوف يكافئني محبوبي مقابل هذا النَفَس الذابل الذي تخمده الآن، بحياة لا يتصورها قلب بشر».

تدافع نحوه جمهور غفير، فخاطبهم قربان علي قائلاً: «لقد ظهر الموعود من شيراز في شخص حضرة الباب». فصرخ القوم في وجهه، وقد صمت آذانهم عن ندائه. وضاع صوته في غمرة صياحاتهم الساخرة. انسحب اصدقاؤه بعيدًا لعدم احتمالهم رؤية هذا المنظر المفجع. وعندما شاهد الاوباش سقوط رجل عظيم، تلهفوا لمشاهدة القضاء عليه فصرخوا: «اضربه... اقتل عدو الله».

تنهد قربان بحزن وقال: «يا لعمى هذا الجيل. ان روحي مملوءة بالفرح العظيم ولكنني واأسفاه لا أجد قلبًا يشاركني سحر هذا الفرح، ولا عقلاً يدرك بهاءه».

اقترب قربان علي من البقعة التي قتل فيها خال الباب، وعندما شاهد ذلك الجسد المقطع، جمعه برفق وحمله بين ذراعيه ونظر الى ذلك البحر من الحقد المتموّج حوله ثم نادى الجلاد قائلاً: «اقترب... واضرب ضربتك فان رفيقي الوفي يأبى الانفكاك عن عناقي. انه يدعوني ان اسرع معه الى ملكوت الله».

انزلت الضربة، فتحركت أصوات الحزن والأسى حتى بين ذلك الجمهور المعادي، حين اتحدت الجثتان الى الأبد[3].

ثم جاء دور الثالث من الشهداء السبعة وهو الحاجّ ملا اسماعيل. كان الحاجّ ملا اسماعيل، مثل قربان علي قد عزم على الذهاب الى قلعة الشيخ طبرسي للانضمام الى الملا حسين والقدوس، ولكنه أصيب بالمرض. وعندما شفي، قيل له ان الحصار قد انتهى، وان الأصحاب قتلوا في مذبحة. شرع في تبليغ الأمر بحماس جديد كي يعوض الخسارة المفجعة التي أصابت دعوة الباب في طبرسي. قبض على الملا اسماعيل في طهران مع باقي الأصحاب. وقيل له انه، اذا انكر دعوة الباب وسبّ صاحبها اطلق سراحه. والا لاقى حتفه.

صاح الملا اسماعيل قائلاً: انكر ديني؟. لا أبدًا... انني مصمم على الاعتراف

بإيماني به علانية ، وفداء روحي في سبيل الباب . وشرح اهمية أحاسيسه الى بقية السجناء قائلاً اذا نحن اخفقنا في اعلان مجيء الموعود المنتظر ، فمن يعلنه غيرنا ؟ واذا فشلنا في هداية الناس الى الطريق المستقيم وايقاظهم من رقدة الموت ، فمن غيرنا سيفعل هـذا ؟ نحن عُدّة الله ، فليتقدم ويصحبني كل من يقوى منكم على الثبات .

وعند اقتياد الملا اسماعيل الى المكان المعين لقتله ، صاح احد المتجمهرين بقوله انه واحد منهم . هوذا احد البابيين .

التفت الملا اسماعيل اليه وقال ضاحكًا : نعم... انا بابي . وانا ذاهب لأموت من أجلكم .

وفيما كان يمر في وسط الجمهور لعنوه ورشقوه بالحجارة وسخروا منه قائلين : أتباع الباب ... ومجانين ! أجابهم الملا اسماعيل : « نعم . نحن اتباع الباب ، ولكننا لسنا بمجانين ايها الناس . اقسم بالله ، اننا انما ضحينا بالمال والأزواج والبنين والحياة لايقاظ امثالكم . لقد اغمضنا أعيننا عن الدنيا وكل ما فيها ، آملين ان يدفعكم هذا للبحث في هذا الأمر . نحن نرغب في الموت ، عسى ان ترفع الغشاوة عن أعينكم وتدركوا ان رسولاً من عند الله قد اتى » .

شق بعض اصدقائه الشخصيين طريقهم اليه ، وهو واقف على منصة الجلاد ، وحاولوا اقناعه بانكار الباب وتوسلوا اليه قائلين :

« انها مسألة بسيطة . ما عليك الا ان تقول ، اني لا اؤمن » .

فأجابهم قائلاً : « منذ ثلاثين عامًا وانا أحن لمشاهدة هذا اليوم المبارك . وكنت أخشى ان آخُذَ امنيتي هذه معي الى القبر دون ان تتحقق » .

ادار الملا اسماعيل ظهره اليهم ونظر نحو هذين الشهيدين اللذين سبقاه وكانا لا يزالان متعانقين وصاح :

« نعم ما فعلتماه يا رفيقيّ المحبوبين . لقد قلبتما طهران الى جنة . ليتني كنت قد سبقتكما » . ورفع عمامته من على رأسه والتفت الى الجلاد ، ثم رفع عينيه الى السماء قائلاً : « اقبلني يا الحي ... مع عدم استحقاقي » فقطع الجلاد دعاءه بسيفه[٤] .

أما شهداء طهران الأربعة الباقون فقد تتابع استشهادهم سريعًا ، وبقيت جثث هؤلاء الأبطال مطروحة في الساحة العامة المجاورة للقصر الملكي مدة ثلاثة أيام وليالي . تجمع الوف الناس حولها يركلونها بأرجلهم ، يبصقون على وجوهها . رجموا بالحجارة ، ولعنوا ،

واستهزئ بهم من قبل الجمهور الغاضب. كما القيت عليها اكوام القاذورات. كل هذا، ولم ترتفع يد واحدة لوقف هذه الفظائع.

وانفجرت الحميّة الشرسة «تكيل الاهانات باشلاء هؤلاء الذين صعدت أرواحهم. الى ما وراء قدرة خبثهم»[٥].

رفضت السلطات الدينية السماح بدفن الجثث التي القي بها في حفرة خارج أبواب المدينة حيث ظلوا متحدين جسدًا كما كانوا متحدين روحًا عندما ركعوا عند اقدام الجلاد.

ويشير البروفسور براون الى احد أهم الأمور المتعلقة بشهداء طهران السبعة هؤلاء قائلاً: «كانوا رجالاً يمثلون اهم الطبقات في ايران، منهم العلماء الدينيون، والدراويش، والتجار، وأصحاب الحوانيت، وموظفو الدولة ممن حازوا على احترام وثقة الجميع، لقد قابلوا الموت دون خوف، وبرغبة، بل بشوق»[٦].

ويضيف البرفسور براون «جلب هذا اليوم الحافل بالأحداث انصارًا مستترين اكثر مما كانت ستكسبه الخطب والمواعظ. لقد ذكرت توا، ان الانطباع الذي تركه هؤلاء الشهداء بقوة احتمالهم العظيمة كان بالغ الأثر وسرمديًا. انني سمعت مرارًا قصة ذلك اليوم من شهود عيان ومن رجال مقربين الى الحكومة، وحتى من بعض أصحاب المناصب الهامّة. ومن رواياتهم يكاد المرء يعتقد بأنهم جميعًا بابيون. فقد كان إعجابهم عظيمًا للغاية... وكان تقديرهم الذي أبدوه لازدهار العقيدة الجديدة وفرص نجاحها في غاية السموّ».

وهكذا تنتهي القصة المفجعة عن حياة ابرز تلاميذ الباب، عدا واحد أو اثنين منهم. فقد صرع عدو غاشم بتتابع سريع الملا حسين والقدوس، ووحيد، وخال الباب، واحدًا بعد الآخر. واجتاحت موجة الحقد هذه الطاهرة، وقربان علي، والملا اسماعيل، فدمرتهم جميعًا.

والآن غيرت رياح الموت اتجاهها واتجهت نحو قلعة سجن الباب في جهريق.

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٤٥–٤٥٠
٢. التاريخ الجديد ، الصفحة ٢٥٤
٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٤٩–٤٥٣
٤. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٥٣–٤٥٥
ايضا مقالة سائح ، الصفحة ٢١٢–٢١٣ ، ٢١٥–٢١٦
٥. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٥٥–٤٦٤
٦. مقالة سائح : الصفحة ٢١٦–٢١٧

الفصل الثامن عشر **الفجر وطلوع الشمس**

ارسل رئيس الوزراء ميرزا تقي خان امرًا الى جهريق باحضار الباب من سجنه الى تبريز معاهدًا نفسه بان تكون هذه آخر رحلة للباب يقوم بها على وجه الارض هذه .

جمع الباب جميع ما في حوزته من وثائق وآثار مكتوبة قبل وصول الضابط (الذي كان يحمل امر انتقال الباب الى تبريز) وجنوده الى جهريق بأربعين يومًا ، ووضعها مع مقلمته واختامه وخواتمه في صندوق خاص عهد به الى الملا باقر احد تلاميذه . كتب الباب ايضًا خطابًا عنونه الى الميرزا احمد الذي عمل كاتبًا للوحي باخلاص مدة طويلة . وضع الباب مفتاح الصندوق داخل هذا الخطاب وأمر الملا باقر بان يحافظ على الصندوق والخطاب بكل عناية . واكد له على قدسية الصندوق وطلب منه ان يكتم أمر محتوياته عن اي شخص سوى الميرزا احمد.

وجد الملا باقر الميرزا احمد في قم حيث سلمه الخطاب والصندوق. قرأ الميرزا احمد الخطاب وتأثر تأثرًا عميقًا . وقال لأصحابه ان عليه التوجه الى طهران فورًا لتسليم الامانة . خشي الجميع من قرب انتهاء حياة الباب الارضية ، ورغبوا بلهفة في معرفة محتويات الصندوق القيّمة. وألحوا على الميرزا احمد الحاحًا شديدًا وتوسلوا اليه حتى وافق اخيرًا على الكشف ليلاً على محتويات الصندوق . كان نبيل المؤرخ موجودًا في قم حين وصل اليها الملا باقر وشاهد نبيل بنفسه فتح ذلك الصندوق الجميل ، وقال :

«تعجبنا كثيرًا عندما شاهدنا من جملة محتويات الصندوق لفافة من الورق الأزرق من ألطف الأنواع ، دبّج عليها الباب بخطه البديع على شكل مخمس نحوًا من خمسمائة آية كلها من مشتقات كلمة بهاء»[1].

احدث منظر هذه الوثيقة الجميلة هياجًا عظيمًا بين اتباع الباب ، لقد كانوا على علم بما سبق وأخبرهم به الباب مرارًا بان ينتظروا شخصًا اعظم منه بكثير يأتي سريعًا عقب وفاته . فتساءلوا فيما بينهم قائلين ترى هل يكون مدح هذا الاسم ، «بهاء» اشارة اخرى ترشدهم الى الوجهة التي يجب ان يتوجهوا اليها . كانوا يعرفون ان كلمة « بهاء » هي احدى ألقاب حسين علي ، احد نبلاء طهران البارزين ، واحد اتباع الباب الآن والذي عرف فيما بعد بـ « بهاء الله » .

استمر النبيل في سرد روايته قائلاً «لقد اخذنا الاعجاب ونحن نتأمل هذا المخطوط النادر الذي يعجز حسب اعتقادنا ان ينافسه اي خط. أعيدت هذه اللفافة الى الصندوق وسلم الى ميرزا احمد الذي توجه الى طهران في نفس اليوم الذي وصله الصندوق . وقبل رحيله اخبرنا بان كل ما يمكن ان يبوح به عن ذلك الخطاب هو انه مأمور بايصال الامانة الى يد (بهاء الله) في طهران» .

اما وقد اخذ الآن شبح الموت يحوم حول الباب. أدرك الباب ان عليه ان يوضح للمرة الأخيرة الحلقة التي تربطه بمن يخلفه . وحيث ان المحن اخذت تنزل من كل جانب اراد الباب ابقاء الآمال المتضائلة حية في نفوس الذين سوف يتركهم خلفه قريبًا .

فمنذ تلك الليلة الاولى التي كشف فيها الباب عن رسالته للملا حسين، كان دائمًا يشير الى الذي سوف يظهر من بعده. ألمح الى هذا الحدث العظيم في كتاباته كلها تقريبًا وكان كثيرًا ما يقول لاتباعه ، انه مجرد « واسطة الفيض من شخص عظيم ما يزال مستورًا خلف حجاب العظمة »[٢] .

حذر الباب اتباعه من الخطأ الذي ارتكبه اليهود برفضهم المسيح بسبب التوراة ، والمسيحيون برفضهم محمدًا ، بسبب الانجيل ، والمسلمون بانكارهم اياه بسبب القرآن . ونبههم قائلاً « ... اياكم ان تحتجبوا بما نزل في البيان» وأكد لهم في مناسبة اخرى قائلاً : «ان غايتي الوحيدة هي ان انبهكم لمجيء يومه». «واني انا خاتم في يدي من يظهره الله ... انه لو يظهر الحين لكنت اول الساجدين له »[٣] . وصرح الباب : « ان البيان يستمد جلاله ممن يظهره الله ، والبيان والذين يؤمنون به يحنون اليه بحرارة اشد من حنين العاشق الى معشوقه » .

وبالرغم من ان هذا الشخص العظيم كان ما يزال محجوبًا عن الأنظار ، فقد وعد الباب اتباعه بان من يظهره الله سوف ينمو من البذرة الى ان يصير شجرة عظيمة جدًا .

وقال ان العالم الانساني كله سوف يستظل بظلها . قال لهم « ان القوى الكامنة في نطفة الظهور الآتي تفوق بمجموعة القوى الكامنة لمن اتبعوني »[٤] .

وفي هذه الأيام دوّن الباب بخط يده على لفافة خاصة آخر آيات حبه واحترامه العظيمين لبهاء الله، ولم يكن ذلك اشارة غامضة او تلميح خفي . فقد علم الباب أن ساعة استشهاده قد حانت .

أشار الدكتور ت. ك. شين في كتابه ، كيف كان الترابط بين حياة كل من الباب وبهاء الله في تلك الايام واضحًا لكل من له « عين يرى » بها . وكتب يقول : « ان نهاية ظهور الباب على الارض قد دنت . ولقد كان على علم مسبق بها ولم يحزنه هذا الشعور. فقد رتّب أموره المتعلقة بالشؤون الروحية لطائفته التي يعهد بها – ان لم اكن خاطئًا – الى حكمة بهاء الله الفطرية »[٥] .

تحكي الصفحات التالية عن ادراك الباب العميق لمجيء بهاء الله ، وكيف ان الباب قد أعد بعناية نفوسًا معينة لمعرفة بهاء الله ، والاعتراف به ، ولحبه وقبوله ، بعد استشهاده هو كي يسير أمر الله قدمًا لتحقيق مصيره .

خلال تلك الأيام الأولى، التي كان فيها باحثو الكتاب المقدس في امريكا واوروبا وآسيا وافريقيا يتوقعون ظهور الموعود ، كان كل من الشيخ احمد والسيد كاظم يخبران اتباعهما مرارًا وتكرارًا بان ساعة مجيء الموعود هي قاب قوسين أو أدني . وقالا ان هذا اليوم سوف يشهد ظهورين توأمين يظهران في بلاد فارس احدهما بعد الآخر في تتابع سريع .

تمامًا كما هو مدون في الكتب السماوية . انهما النفختان بالصور المتعقبتان المذكورتان في القرآن عن « اليوم الآخر » . وفي التوراة بـ « رجعة الياس » ، يتبعه « رب الجنود » . وفي سفر الرؤيا في الانجيل بـ « الويل الثاني » و « الويل الثالث » اللذان يتتابعان بسرعة عندما يأتي الرب (سريعًا الى هيكله) . واكد الباب نفسه على قصر الفترة التي تفصل رسالته عن رسالة من سيأتي بعده فقد كتب بقوله : « سبحانك اللهم فاشهد باني بذلك الكتاب قد اخذت عهد ولاية من تظهرنّه عن كل شيء قبل عهد ولايتي ... »[٦] .

وعد كل من الشيخ احمد والسيد كاظم اتباعهما بان البعض منهم سوف يعيش ليرى كلا من الظهورين الالهيين ، وقالا انه بعد الفجر (الباب) ، سوف يرون الشمس الموعود (بهاء الله) .

كان الشيخ احمد في طهران عندما ولد بهاء الله . وقد حُفظت القصة التاريخية التالية عن زيارته :

«كان الشيخ احمد مدركا تماما مغزى هذا الحادث السعيد « ولادة بهاء الله » . فكان يحن لقضاء بقية ايام حياته في رحاب ساحة هذا الملك السماوي المولود حديثا ولكن لم يتيسر له ذلك ... وغادر دون تحقيق أمنيته ، مستسلما لقضاء الله الذي لا مرد له ، ورحل بعيدا عن المدينة .

وقبل ان يغادر طهران تضرع الى الله في مناجاته عسى ان يحفظ مواطنوه هذا الكنز الالهي المكنون وقد ولد الآن بينهم ، ويعزوه ويعرفوا قدر مباركته وبهائه ، ويتمكنوا من اعلان عظمته الى سائر الامم والاقوام»[7] .

اعتبر الشيخ احمد ان لحظة ولادة بهاء الله ، هي الساعة التي اشار اليها الحديث الشريف : «سوف ترون ربكم كما ترون البدر ليلة اربعة عشر ، وستنكرونه» .

واعتقد الشيخ احمد ايضا ان هذه الساعة هي الساعة التي تحققت بها كلمات النبوة القائلة « بان من اعظم العلامات التي تشير الى مجيء الساعة هي ان تلد الامة ربها » .

جاء في سفر اشعيا كلمات مشابهة لذلك عن ظهور المخلص المنتظر في وقت المنتهى : «لأن بعلكِ هو صانعكِ الذي رب الجنود اسمه» .

كان الشيخ احمد كثيرًا ما يطبع في اذهان اتباعه حتمية ظهور رسولين توأمين. يتذكّر الميرزا محمود ، احد تلاميذ الشيخ احمد بعض حالات الهياج التي شاهدها بنفسه خلال ايام الانتظار تلك قائلاً :

«وجدت الشيخ احمد ساجدًا على الارض في ساعة الفجر... مستغرقًا في الصلاة ... ولفرط دهشتي رأيته يلتفت اليّ ويقول بشيء من الغموض : « ان ما كنت انبئك عنه قد ظهر الآن ... يا محمود ، الحق اقول ، انك سوف تعيش لتشاهد ذلك اليوم يوم الأيام» .

«وبينما كنت اتحدث مع احد البابيين فيما بعد، قيل لي ان ميلاد الباب صادف ٢٠ اكتوبر عام ١٨١٩ م فوجدت ان التاريخ الذي اشار اليه (صديقي) لا يتفق وهذا التاريخ ، وان هناك فعلاً فرق سنتين بينهما ... الامر الذي اوقعني في حيرة مؤلمة.

قابل ميرزا محمود بعد ذلك بمدة طويلة صديقًا اخبره عن دعوة بهاء الله ، واعطاه بعض كتاباته . فتأثر من الصميم منها وقال «سألته عن تاريخ ميلاد بهاء الله فأجابني : « ولد عند الفجر في ١٢ نوفمبر عام ١٨١٧ م » كان هذا نفس اليوم والساعة ، فخررت ساجدًا على الأرض تلقائيًا وهتفت اقول «سبحانك اللهم يا الهي لما جعلتني اشاهد هذا اليوم الموعود»[9] .

كما حققت ساعة ميلاد بهاء الله نبوءة اخرى تشير الى رسولين توأمين يظهران في آخر الزمان ، وقد جاء في النبوءة ان البشير في ذلك اليوم يقول عن الذي يأتي بعده : « انا اصغر من ربي بسنتين »[١٠] .

تابع السيد كاظم الذي خلف الشيخ احمد اعداد اتباعه لذلك اليوم المقترب وقال لهم :

«اني اقول ان بعد القائم (الباب)، يظهر القيوم (بهاء الله)، اذ بعد ان يغرب كوكب الاول (الباب) يشرق جمال الحسين (بهاء الله) ويضيء العالم» .

وهناك دليل آخر على الوحدة الفريدة التي تربط رسالة الباب برسالة بهاء الله. فطبقا للتقويم الشمسي المتبع في الغرب ، ولد الباب في العشرين من اكتوبر عام ١٨١٩ م ، وولد بهاء الله في الثاني عشر من نوفمبر عام ١٨١٧ م . اما حسب التقويم القمري المتبع في الشرق (في ايران بلد مولدهما) . فان الباب ولد في اليوم الاول من شهر محرم (عام ١٢٣٥ هـ) وولد بهاء الله في اليوم الثاني من محرم (عام ١٢٣٣ هـ) ويحتفل بهذين اليومين المقدسين كعيد واحد عظيم جافل بالسرور والفرح .

قال السيد كاظم لأتباعه : «كم كان الشيخ احمد يؤكد على تلك الآيات المنبئة عن مجيء ظهورين توأمين يتتابعان سريعا ، وقدر لكل منهما ان يغمر العالم بالعظمة . كم من مرة صاح الشيخ احمد قائلاً :

« طوبى لمن أدركهما وشاهد بهائهما » . واختتم السيد كاظم حديثه قائلاً : «كم من مرة خاطبني الشيخ قائلاً نحن لن نعيش لنرى مجدهما . ولكن الكثيرين من تلاميذك المخلصين سوف يشاهدون اليوم الذي وأسفاه لا أمل لنا مطلقًا في رؤيته»[١١]

وعندما كان الباب في طريقه الى طهران لمقابلة الملك ، اعطى رئيس الوزراء أوامره باعادته والذهاب به الى الحبس في ماه كو . وهكذا منع الباب وهو على مرأى نصر عظيم وعلى بعد ثلاثين ميلا من العاصمة من فرصة مقابلته للملك . وفي تلك الساعة ساعة خيبة الأمل الشديدة ، تسلم الباب وهو في قرية كلين رسالة جاءت من بهاء الله .

كتب المؤرخ نبيل عن هذه الحادثة قائلاً :

«كلف بهاء الله الملا محمد بتسليم رسالة مختومة مع بعض الهدايا الى الباب . وما ان تسلمها الباب بيده حتى أثارت في روحه أحاسيس من البهجة غير عادية ، فأشرق وجهه فرحًا وأغدق على الرسول عبارات شكره وامتنانه» .

واضاف نبيل قائلا «وصلت هذه الرسالة في ساعة من الحيرة والقلق ، فجلبت الى الباب القوة والسلوى ، وملأت روحه بالنصر الأكيد . وحل محل صرخة «يا محبوبي ويا مقصودي» التي كان الباب كثيرًا ما ينطق بها اثناء حزنه ووحدته المريرتين ، عبارات الشكر والثناء والأمل والظفر . وظلت هذه الفرحة تشع من محياه ولازمته حتى اليوم الذي وردت فيه اخبار الفاجعة العظيمة التي حلت بابطال الشيخ طبرسي»[12].

يروي لنا عبد الكريم احد تلاميذ الباب المخلصين الحادثة التي شاهدها بنفسه والتي وقعت ذات ليلة اثناء اقامة الباب في قرية كلين قائلا : «كنت مستغرقًا ورفقائي في نوم عميق بجوار خيمة الباب عندما استيقظنا فجأة على صوت اقدام خيالة . واخبرونا بان خيمة الباب خالية ، وان الذين ذهبوا للبحث عنه فشلوا في العثور عليه . سمعنا محمد بك رئيس الخيالة يهدئ من روع الحراس بقوله «لماذا الاضطراب ؟ ألم تكن شيم الباب ونبله جديرة لجلب ثقتكم وقناعتكم بانه لن يسبب احراجًا لكم من اجل سلامة نفسه ؟ لا بد وانه قد انزوى في سكون هذه الليلة المقمرة . الى مكان هادئ يناجي فيه الله . ثقوا بأنه لا شك سوف يعود الى خيمته ولن يهجرنا ابدًا» .

ورغبة منه في تطمين زملائه ، سار محمد بك ماشيًا في الطريق المؤدية الى طهران . وسرت انا ورفقائي ايضا خلفه . ولحق بنا بعد قليل بقية الحراس على ظهور خيولهم .. وما كدنا نقطع ميلاً واحدًا حتى شاهدنا على مسافة بنور الفجر الضئيل هيكل الباب وحيدا يقترب نحونا آتيًا من اتجاه طهران . قال الباب لمحمّد بك عندما اقترب منه : هل اعتقدت انني فررت ؟ .

اكّد له محمد بك قائلاً حاشاي ان يخالجني مثل هذا التفكير .

وانحنى محمد بك عند اقدام الباب ، فقد اخذته الرهبة من جلال وهدوء ذلك الوجه في ذلك الصباح ولم يستطع ان ينطق بكلمة اخرى .

استقرت على وجه الباب امارات الاطمئنان ، وكانت كلماته مفعمة بقوة خارقة بحيث سيطر علينا شعور بالاحترام العميق . ولم يتجرأ احد على الاستفسار منه عن سبب هذا التغير الملحوظ في كلامه وسلوكه . ولم يشأ هو ان يخفف من حيرتنا وفضولنا[13] .

دون النبيل في تاريخه مرة اخرى حين كتب بهاء الله من طهران رسالة الى الباب في سجنه في جهريق .

يقول النبيل : «وبعد ذلك بقليل وصل رد الباب مدبجًا بخط يده»[14] .

اعطى الباب نفرًا من تلاميذه وعودًا محدّدة ، بانهم سوف يلاقون الموعود الذي بشر بمجيئه . واعد بعضا منهم بكل عناية لذلك اللقاء[١٥] . تسلّم الملا باقر احد حروف الحي خطابًا من الباب ، تنبأ له فيه بلقاء الموعود وجهًا لوجه . وبشر سيّاح بالوعد نفسه ، كما كتب الباب الى عظيم لوحًا خاصًا يمنحه هذا اللقب ، وتنبأ فيه بقرب مجيء هذا الموعود الذي كان ينتظره الجميع . وقد تحققت جميع وعوده .

كان الشيخ سلطان أحد الاتباع الذين حظوا بمثل هذا الوعد . وقد سافر الى شيراز مع صديق له يدعى الشيخ حسن . وكان كلاهما يشتاقان للقاء الباب ، ولكن الشيخ سلطان مرض قبل تحقق أمنيته . وفي ذات ليلة تلقى رسالة تقول ان الباب سمع بمرضه وسيزوره بعد حلول الظلام . يصف الشيخ سلطان هذه الزيارة بعباراته الخاصة .

« حضر الباب ، وكان قد أمرني من قبل باطفاء سراج حجرتي قبل وصوله وتقدم رأسًا الى جانب سريري . وفي وسط الظلام ، تعلقت بذيله وتوسلت اليه ان يمنحني فخر التضحية بنفسي في سبيله . فاجابني : « يا شيخ ينبغي لكل منا نحن الاثنين ان نتمسك برداء المحبوب ونلتمس منه غبطة الشهادة وفخرها في سبيله . وأيقن بانني نيابة عنك سوف أطلب من الله القدير ان يعينك حتى تفوز بلقائه . واذكرني في ذلك اليوم ، اليوم الذي لم ير العالم مثله ». أثارت اشارة الباب الى « محبوبه » دهشتي وفضولي. كنت محتارًا وعاجزًا عن حل هذا الغموض . ولكن عندما وصلت الى كربلاء ، وتشرفت بحضور بهاء الله أيقنت بانه هو وحده دون غيره جدير بمثل هذه المحبة من الباب . وانه وحده جدير بمثل هذه العبادة »[١٦] .

حظي الشيخ حسن رفيق الشيخ سلطان في تلك الرحلة الى شيراز ايضًا بوعد مماثل من الباب بلقاء بهاء الله . وقرر صحة هذا الوعد كالآتي :

خاطبني الباب ذات يوم قائلا : « عليك ان تسافر الى كربلاء وتمكث في تلك المدينة المقدسة لانه مقدر لك مشاهدة جمال وجه الموعود بام عينيك . اذ كرني عندما تنظر الى ذلك الوجه المنير ، واحمل اليه آيات حبي وولائي » . ومرة أخرى أضاف مؤكدًا : « انني أقول قد عهدت اليك بمهمة عظيمة ، فاحذر ان يتطرق الوهن الى قلبك واحذر ان تنسى ما اسبغته عليك من الفخر » .

سافرت بعد ذلك بقليل الى كربلاء ، ومكثت في تلك المدينة المقدسة كما امرت . وكم من المصائب حلت بي من اتباع الشيخ احمد الذين ما زالوا لم يعترفوا بالباب . وقد صبرت على اهاناتهم ، وعشت في هذه المدينة مدة عامين .

وفي ذات يوم بينما كنت مارًا بباب احد المزارات ، وقع نظري لاول مرة على بهاء الله .

ماذا اذكر عن المحيا الذي شاهدته ؟ فجمال ذلك الوجه ، ولطافة تلك الملامح التي يعجز عن وصفها اي قلم أو ريشة . ونظراته النافذة ، وطلعته البشوشة ، وجلال قيافته ، وعذوبة ابتسامته كل هذا ترك في نفسي انطباعًا لا ينمحي ، فبأي محبة تقدم مني وأمسك بيدي وخاطبني بلحن الاقتدار والجمال . وسار معي طوال شارع السوق وقال لي في النهاية الحمد لله انك بقيت في كربلاء ورأيت بعينيك وجه الموعود .

تذكرت على الفور وعد الباب لي وهو سر لم اشرك فيه احدا . حركت كلمات بهاء الله هذه وجداني في الصميم وشعرت بقوة تدفعني لأعلن في تلك اللحظة ، وبكل روحي وقوتي على هذا الشعب الغافل ظهور من وعد به (الباب) . ولكن بهاء الله امرني بكبح مشاعري واخفاء انفعالاتي . وحذرني قائلاً : « لم يحن الوقت بعد . ان الساعة المعينة تقترب ، ولكن لم تدق بعد . فاطمئن وكن من الصابرين » .

منذ تلك اللحظة اختفت احزاني وطفح قلبي بالسرور. كنت في تلك الأيام فقيرًا اتضور جوعًا اكثر الأحيان ، ولكنني شعرت آنذاك بغنى تلاشت امامه كنوز الارض كلها اذا قورنت بما ملكته »[17].

أصبح الشيخ حسن منذ ذلك اليوم (اغسطس ١٨٥١ م) ممغنطًا بسحر مولاه الجديد ، ولولا كبح بهاء الله له لأعلن للناس اجمعين ان موعود الباب قد ظهر وان عليهم التخلي عن الحزن الشديد بسبب رحيل الباب .

وفي مدينة بغداد التي لا تبعد كثيرًا عن كربلاء ، كان لبهاء الله ان يعلن قريبًا لاتباعه نفس الاعلان الذي أعلنه الباب لتلاميذه في شيراز . كان هذا هو المعنى المخزون في النبوءة التي اخبر الباب بها الملا حسين عندما كانا واقفين على سطح سجن القلعة في ماه‌كو : « شيراز تقع في اضطراب عظيم ، يظهر فيها فتى حلو اللمى ، اخشى ان تهيج انفاسه بغداد »[18] .

كانت هناك حلقة ارتباط مستمرة بين الباب وبهاء الله عن طريق تلاميذ الباب وعلى الأخص اولئك الذين سبق وذكرنا قصة فاجعتهم في الفصول السابقة . ولقد قام بهاء الله بدور حيوي ومؤثر في حوادث طبرسي ، ونيريز ، وطهران ، وبدشت ، كذلك في حياة كل من الملا حسين والقدوس والوحيد والطاهرة .

فعندما ودع الباب ملا حسين في شيراز قبل سفره الى مكة لاعلان دعوته ، قال له الكلمات الآتية « اتبع مسار رحلتك باتجاه الشمال وزر... طهران . تضرع الى العناية الالهية عسي ان تعينك بكرمها على ان تبلغ في تلك العاصمة مقر السلطة الحقيقية ،

وتدخل قصر المحبوب ، فهناك سر مخزون في تلك المدينة . فاذا ظهر بدل الارض وجعلها فردوسًا . وأملي ان يكون لك نصيب فيه وتشاهد بهاءه » .

ولكي يخفف الباب على الملا حسين من ألم خيبة الأمل لعدم اصطحابه ، اكد له مرة اخرى اهمية طهران وزيارته اليها وبذلك أشار الى مكان ولادة بهاء الله ومكان ولادته هو قائلا « لا تحزن لعدم اختيارك لمرافقتي... فسوف أوجه خطواتك عوضًا عن ذلك الى تلك المدينة التي تضم سرًا ذا قداسة فائقة ... بحيث لا تأمل شيراز ان تنافسها فيه»[١٩] .

وصل الملا حسين الى طهران . كان يقضي ساعات نهاره في نشر دعوة الباب ، ولكنه كان من الغروب حتى الفجر يبقى وحيدًا في حجرته في التأمل والصلاة متضرعًا الى الله ان يكشف له هذا السر المقدس الذي تكلم عنه الباب ، وان يرشده الى قصر محبوب الباب .

قابل الملا حسين في هذه الفترة الملا محمد من أهالي نور . وسأله الملا حسين اذا كان يعرف شخصًا يمتاز على الجميع ومشهودًا له بسمو الأخلاق .

أجابه الملا محمد. نعم يوجد مثل هذا الشخص .

سأله الملا حسين « ما هو عمله؟ » .

« انه يواسي المحزون ويطعم الجائع » .

« ما هي رتبته ؟ وما هو مقامه ؟ »

« ليس له شيء من ذلك سوى انه يصاحب المسكين والغريب » .

سأله الملا حسين : « ما اسمه ؟ »

« حسين علي » .

« وعمره ؟ » .

« ثمانية وعشرون عامًا » .

« ادهشتني كثيرًا اللهفة التي كان الملا حسين يسألني بها وشعور الفرح الذي كان يقابل به كل وصف اقدمه له .

التفت الملا حسين الي بوجه يشع بالفرح والرضا وسألني مرة اخرى» .

« اظنك غالبًا ما تقابله ؟ » .

أجبته «نعم . كثيرًا ما أتردد على منزله » .

« هل لك ان تسلمه امانة مني؟ » .

ثم أعطاني الملا حسين لفافة من كتابات الباب وقال لي :
« اذا تفضل بالاجابة لي ، فهل تتلطف بان تطلعني عليها » .

اخذ الملا محمد اللفافة على الفور الى بهاء الله . قبلها بهاء الله وأمر الملا محمد بالجلوس . فتح بهاء الله اللفافة والقى نظرة على محتوياتها واخذ يقرأها بصوت مسموع على الحاضرين . ثم توقف عن التلاوة وخاطب اصحابه قائلاً : حقًا أقول ، ان كل من آمن بالقرآن وتردد ولو لحظة واحدة في ان هذه الكلمات المحركة للارواح ليست لها نفس القوة المحيية ، فانه بكل تأكيد اخطأ في حكمه وضلّ عن سبل العدل » .

اعطى بهاء الله الملا محمد هدية صغيرة من الشاي والسكر ليقدمها الى الملا حسين ، مع ابلاغه تقديره ومحبته .

اضاف الملا محمد قائلاً « باي فرحة وغبطة تقبل الملا حسين الهدية . ان كلماتي تعجز عن وصف عمق شعوره . نهض الملا حسين على قدميه وتسلم الهدية من يدي برأس منحنية وقبلها بحرارة » . عانق الملا حسين الملا محمد وقبّل عينيه اللتين نظرتا الى بهاء الله منذ وقت قصير . وقال له ملأ الله قلبك بالفرح مثل ما أبهجتْ قلبي .

احتار الملا محمد وقال في نفسه ماذا يمكن ان تكون طبيعة هذه العلاقة التي تربط بين هذين الروحين ؟ وما الذي اشعل مثل هذه الصداقة بين شخصين غريبين ؟ ولماذا اظهر الملا حسين الذي يعتبر الغنى والشهرة متاعًا رخيصًا كل هذا السرور لهدية بسيطة من يد بهاء الله ؟ .

رحل الملا حسين بعد ذلك ببضعة ايام الى خراسان . وفيما كان يودّع الملا محمد حذره قائلاً : «لا تبح لأحد بما رأيت وسمعت. اكتم هذا السر في صدرك ولا تبح باسمه (بهاء الله) كي لا يقوم على ايذائه الذين يحسدونه على مقامه. وادع الله ان يحفظه لليوم الذي يمجّد فيه المستضعفين ، ويغني المساكين ويخلص الساقطين . فسر هذا الامر ما زال محجوبًا عن انظارنا . وان واجبنا الآن هو ان نرفع نداء اليوم الجديد ، ونعد قلوب البشر ، ونعلن هذه الرسالة السماوية للناس اجمعين» .

وانهى الملا حسين كلامه قائلاً : «ان نفوسًا طاهرة كثيرة سوف تسفك دماءها في هذه المدينة ، وسوف تروي تلك الدماء الشجرة الالهية وتجعلها تزدهر وتنمو حتى تظلل العالمين» [٢٠]

وبكلمات الوداع هذه غادر الملا حسين طهران . وكتب تقريرًا الى الباب يخبره فيه عن

اعماله التبليغية ، كما وصف له ما حدث بينه وبين بهاء الله في طهران . كان القدوس وخال الباب كلاهما في محضر الباب عندما وصله خطاب الملا حسين . ترك خال الباب وصفًا لتلك اللحظة حيث قال : «شاهدت في تلك الليلة من علامات الفرح والسرور مرتسمة على وجه الباب والقدوس ما اعجزني عن وصفه . وكثيرًا ما سمعت الباب في تلك الأيام يردد هذه الكلمات بسرور قائلاً : « العجب ثم العجب بين الجمادى والرجب » .

التفت الباب الى القدوس وهو يقرأ خطاب الملا حسين وأراه بعض عباراته واوضح له سبب فرحته .

اخبر خال الباب زملاءه الاصحاب بما رأى في تلك الليلة ، وذكر لهم ايضًا اشارة الباب الى روعة الأيام الواقعة بين جمادى ورجب . أثر ذلك في الملا احمد فانتظر حتى عاد الملا حسين الى شيراز ثم سأله عما حدث في ذلك الوقت بالذات . ابتسم الملا حسين وقال بين شهري جمادى ورجب صادف وجودي في طهران .

لم يعط الملا حسين توضيحات أكثر واكتفى بقوله : «كان هذا كافيا لاقناعي بان في مدينة طهران سرًا مخزونًا اذا انكشف للعالم ، أدخل سرورًا لا يوصف على قلب الباب[21] .

تشرف الملا حسين مرة ثانية بلقاء بهاء الله قبل بدئه في رحلته مشيًا على الاقدام الى سجن الباب في ماه‌كو. ادخل الملا حسين سرًا الى محضر بهاء الله ، وبعد هذه المقابلة بقليل توجه للقيام بزيارته الأخيرة الى الباب . ثم عاد من ماه‌كو الى طهران حيث تشرف ببهاء الله مرة اخرى . وكان لقائهما الاخير في قلعة طبرسي .

حظي القدوس ايضًا بلقاء بهاء الله . فعندما عاد الباب والقدوس من المدينة المنورة الى بوشهر ، أرسل الباب القدوس الى شيراز وقال له وهو يودعه : «سوف تنهال عليك الاهانات في شوارع شيراز ... وستعيش بعدها وتتشرف بحضور مقصود محبتنا وعبادتنا . وستنسى في محضره كل ما اصابك من اذى واهانة » .

قاسى القدوس الكثير من الآلام في شيراز ، ومنها ذهب الى طهران حيث تشرف بحضور بهاء الله ، وبذلك تحققت جميع وعود الباب .

تقابل القدوس وبهاء الله مرة ثانية في مؤتمر بدشت . فعندما اخبر بهاء الله بوصول القدوس الى بلدة قريبة من بدشت ، خرج بهاء الله على ظهر حصان لاستقباله ، وعادا معًا الى بدشت في صبيحة اليوم الثاني عند الشروق[22] . وبعد انتهاء المؤتمر بقليل كان القدوس مع جماعة من اتباع الباب هدفًا لهجوم وحشي . فسارع بهاء الله الى انقاذهم وقدم

بهاء الله على الفور حمايته للقدوس ، فألبسه ملابسه الخاصة لاخفاء هويته فلم يعرفه احد ثم صحبه الى مكان آمن .

وحين كان القدوس مسجونًا في ساري بأمر من محمد تقي فان بهاء الله هو الذي أمّن اطلاق سراحه ليتسنى للقدوس الانضمام الى الملا حسين في قلعة طبرسي. وقام بهاء الله بزيارتهما بنفسه هناك[٢٣] .

في الليلة التي سبقت وصول الملا حسين وجماعته الى ضريح الشيخ طبرسي رأى حارس الضريح في حلمه ان رجلاً مقدسًا وجماعة كبيرة من احبائه حضروا الى القلعة وحاربوا ببسالة وظفر . كما رأى في حلمه ايضا ان رسول الله نفسه جاء ذات ليلة وزار تلك الجماعة المباركة .

وصل بهاء الله بعد هذا بقليل الى قرية مجاورة وارسل يخبر الملا حسين بانه واصحابه سيكونون جميعًا ضيوفًا عليه في تلك الليلة ، وانه سوف ينضم اليهم في قلعة طبرسي عند عصر ذلك اليوم . وفيما يلي ما رواه احد الذين شاهدوا هذه المقابلة .

اورثت هذه البشارات في قلب الملا حسين فرحًا لا يوصف . وامر اصحابه بتهيئة انفسهم لاستقبال بهاء الله . كما شاركهم بنفسه في كنس الأتربة من مدخل القلعة وتنظيفه ورشه بالماء استعدادًا لقدوم الضيف المحبوب .

وبمجرد ان رأى بهاء الله قادمًا اسرع اليه وعانقه بلطف وسار به الى مقعد الشرف .

كنا في تلك الايام في غاية من الغفلة فلم ندرك جلال ذلك الشخص الذي عرّفنا ايّاه رئيسنا بكل محبة واحترام . ولم يكن نظرنا غير الحاد ليستطيع بعد ان يدرك ما ادركه الملا حسين ببصيرته . وما لبثنا حتى شعرنا نحن أيضًا بسحر بيانه .

كان الملا حسين ممتلئًا بالغبطة وغارقًا في الاعجاب لدرجة انه نسانا جميعًا بالمرة . وكان بهاء الله هو الذي أمرنا في آخر الأمر بالجلوس » .

فحص بهاء الله القلعة وساعد الاصحاب بما اشاره عليهم بشأن كيفية تعزيز دفاعهم حماية لارواحهم ، وبدد مخاوفهم ورفع عزمهم على التضحية بكل شيء في سبيل الله .

وقال بهاء الله : «ان الشيء الوحيد الذي تحتاجه القلعة والاصحاب لتصبح كاملة هو حضور القدوس . وامر الملا حسين ان يرسل ستة من الاصحاب الى ساري لمطالبة محمد تقي بتسليم القدوس اليهم .

 دهش الملا حسين واصحابه لعلمهم بسجن القدوس . ولكن بهاء الله طمأنهم قائلاً :

« ان خشية الله والخوف من عقابه سوف يدفعانه الى تسليم سجينه دون تردد » .

وقبل ان يغادر بهاء الله قلعة طبرسي نصح الاصحاب بالصبر والتسليم لارادة الله ، قائلاً : « ان شاء الله سوف نزوركم في هذه البقعة نفسها ونمد اليكم مساعدتنا » .

ارسل الملا حسين ستة من اصحابه الى ساري ومعهم رسالة بهاء الله . فاطلق محمد تقي سراح القدوس على الفور الامر الذي ادهش الجميع .

اثّر وجود بهاء الله في الاصحاب تأثيرًا عميقًا . وترك احدهم ذكرياته التالية عما خلفته هذه الزيارة من تأثير في الملا حسين بقوله : « انني ما زلت اذكر عندما اقترب (الملا حسين) مني في سكون تلك الساعات المظلمة المُوحشة التي خصصتها للصلاة والتعبد وقال لي « ابعد عن فكرك هذه الأمور المحيرة . انهض واطلب معي تجرع كأس الشهادة . فعندما تشرق سنة « ١٨٦٣ م » – السنة التي أعلن فيها بهاء الله دعوته على العالم – تستطيع حينئذ ان تدرك سر الأشياء التي هي محجوبة عنك الآن » .

كان بهاء الله ايضًا الشخصية المحركة وراء مؤتمر بدشت ، الذي حضره عدد غفير من ابرز اتباع الباب[٢٤] .

يروي النبيل في تاريخه قائلاً : « وصل بهاء الله الى بدشت في بداية الصيف واستأجر ثلاثة بساتين خصص احدها للقدوس والاخرى للطاهرة والثالثة لنفسه . كان كل المجتمعين في بدشت ضيوفًا على بهاء الله منذ وصولهم الى يوم رحيلهم . انعم بهاء الله على كل واحد من اتباع الباب اسمًا جديدًا . فهو الذي اطلق على آخر حروف الحي لقب القدوس . واطلق ايضًا على تلك الامرأة العظيمة اسم الطاهرة . وعرف هو نفسه منذ ذلك الوقت باسم « البهاء » .

ان العلاقة الروحية الوثيقة بين الباب وبهاء الله لم يدلل عليها بصورة افضل مما جرى في بدشت . ولم يكن احد من اولئك الاصحاب ليعلم مصدر ما جرى هناك من تغييرات جريئة متحدية وبعيدة المدى في الاحكام والتقاليد القديمة ولم يشتبه احد بان يد بهاء الله هي التي كانت توجّه ذلك المؤتمر توجيهًا ثابتًا لا يتطرق اليه الخطأ .

واستطرد نبيل يقول : « الى كل واحد من اولئك الذين اجتمعوا في بدشت كتب الباب رسالة خاصة ، وخاطب كلاً منهم بالاسم الذي أنعم به عليه بهاء الله ومنذ ذلك الوقت صار كل واحد منهم يعرف بهذا الاسم الجديد فقط .

ولما اشتكى بعض الاتباع من جسارة الطاهرة قائلين انها اساءت التصرف برفعها

الحجاب ، اجاب الباب بهذه الكلمات المثيرة (ماذا اقول في من اسماها لسان العظمة (بهاء الله) . بـ « الطاهرة »

وفي ذلك المؤتمر نفسه اختتمت الطاهرة احدى خطبها البليغة بإلقاء نظرة الى بهاء الله ، وتلت الآية القرآنية الكريمة « ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

اعلنت الطاهرة انها صوت الصافور الذي نسخ العصور الماضية . كتب الدكتور ت . ك . شين عن ذلك مصرّحًا : « وقيل أيضًا ، انه بعد ان انهت هذه المرأة الشجاعة خطابها القصير ، تلا بهاء الله سورة القيامة ... التي يدل معناها الباطن على ان العالم على وشك الدخول في دورة كونية جديدة تستلزم احكامًا وعادات جديدة »[٢٥] .

أعدّ بهاء الله الترتيبات اللازمة لمغادرة الاصحاب بدشت ، كما سبق ورتّب لحضورهم . وفي اثناء عودتهم كانت الطاهرة تنظم في كل يوم قصيدة شعرية تشارك فيها اخوانها وتتحدث في هذه الابيات عن التقاليد والطقوس والعادات التي بطل استعمالها ، والتي كبلت ضمائر الرجال والنساء في الماضي ، وكيف انهم تحدوا هذه القيود اخيرًا بكل شجاعة وبسالة وحطّموها في اجتماع بدشت . حفظ الاصحاب هذه القصائد عن ظهر قلب ، وتغنوا بها جميعًا بصوت واحد اثناء سيرهم معًا ، وكانت الجبال والوديان تردد صيحة تلك الجماعة المتحمسة وهم يحيون انقراض القديم ومولد اليوم الجديد[٢٦] .

كانت يد بهاء الله المرشدة تمتد دائمًا لمساعدة البابيين . وكانت الطاهرة مدينة له بحمايته لها وعطفه عليها اكثر من باقي التلاميذ[٢٧] .

فعندما كانت الطاهرة مسجونة في قزوين ومهدّدة بالكيّ ، اعلنت لسجانها بكل جسارة « اذا كان ديني هو الحق ، واذا كان الرب الذي اعبده ليس الا الحق ، فانه سوف يخلصني من نير استبدادكم قبل مضي تسعة ايام » .

ان بهاء الله هو الذي خلص الطاهرة من سجنها في قزوين . فحين سمع بسجنها ، ارسل امرأة في زي سائلة الى المنزل الذي كانت الطاهرة محبوسة فيه ، وأمرها بتسليم رسالة اليها . وعندئذ باستطاعة الطاهرة ان تغادر سجنها طوع ارادتها دون ان يعترض لها سجانها بالأذى . وأمرت الامرأة السائلة ايضا بان تنتظر خروج الطاهرة عند مدخل المنزل . واخبرها قائلاً : « وبمجرد ان تلتحق بك ، اسرعا فورًا الى طهران وسوف ارسل هذه الليلة الى جوار باب قزوين خادمًا ومعه ثلاثة جياد لتأخذاها معكما وتربطانها في موقع خارج السور فانت تصحبين الطاهرة الى ذلك المكان حيث تركبون الجياد وتسيرون في طريق غير مطروق ، واجتهدوا في الوصول الى ضواحي العاصمة قبل مطلع النهار . وبمجرد ان تفتح

ابواب المدينة ادخلوا واحضروا الى منزلي فورًا . عليكما بالتزام جانب الحذر الشديد لئلا تنكشف هويتها » .

طمأن بهاء الله الساعية المضطربة التي كانت ترى ان اتمام مهمة كهذه تحتاج الى معجزة ، قائلاً : « من المؤكد ان يسدّد الله خطاكما ، ويصونكما في كهف حفظه وحصن حمايته » .

وكتب النبيل عن هذه الحادثة يقول « وفي الساعة التي عينتها الطاهرة لخلاصها كانت الطاهرة في كنف حماية بهاء الله وكانت على علم تام بالذي اذن لها بالدخول الى محضره . وكانت عارفة جيدًا بقداسة الضيافة التي قوبلت بها بكل كرم . وادركت بفراستها الفطرية مجد بهاء الله المقبل » .

ويؤكد النبيل قائلاً : « لقد رأيت بنفسي الأبيات التي كتبتها بخط يدها ، والتي كان كل حرف منها شاهدًا بليغًا على ايمانها وايقانها بعلو الرسالتين اللتين جاء بهما الباب وبهاء الله » .

وقد أنقذ بهاء الله الطاهرة مرة ثانية عقب مؤتمر بدشت مباشرة . في اثناء عودة جماعة من الاصحاب الى مناطقهم تجمع أفرادها في قرية نيالا للاستراحة تحت سفح جبل اذا بهم ليستيقظون فجأة عند الفجر على وابل من الحجارة رشقهم بها اهل القرية من قمة الجبل . كان الهجوم مفاجئًا وشرسًا ، فخاف الاصحاب من صريخ الغوغاء ، وصوت الصخور المتدحرجة والحجارة المنهمرة عليهم كالمطر ففروا الى مكان آمن . وجد بهاء الله الطاهرة في خطر عظيم ، اذ لم تتمكن من الهرب هي وأحد الاحباء من شيراز . وحطّم الاعداء المخيم واخذوا ينهبون الامتعة . ووقف هذا الحبيب الشيرازي يدافع عما تبقى من ممتلكات الاصحاب ، وقد اصيب بجروح بالغة .

سار بهاء الله إلى وسط جمهور المهاجمين، متسلحًا فقط بسيف بيانه ، واقنعهم بقسوة تصرفاتهم المخجلة وحثّهم على رد الاشياء التي لم يهربوا بها بعد ، ثم انقذ الطاهرة من بين ايديهم واصطحبها الى مكان آمن .

كتب النبيل عن هذه الانتصارات الكثيرة التي أحرزها بهاء الله بقوة بيانه وحدها قائلا «كان الناس بجميع طبقاتهم يندهشون لنجاح بهاء الله نجاحًا يشبه المعجزة في الخروج من اخطر المصادمات دون ان يمس باذى . وعلّلوا هذه الظاهرة بان العناية الالهية هي وحدها التي كانت تكفل حفظه وسلامته في مثل هذه المواقف»[٢٨].

وقد مدّ بهاء الله كذلك يد العون والمساعدة الى وحيد . واليكم قصة تاريخية عن صداقتهما .

أسرع وحيد الى العاصمة لاعداد ما يلزم لسفره الى قلعة طبرسي وبينما كان يستعد للرحيل ، وصل بهاء الله من مازندران واخبره بعدم امكان انضمامه الى اخوانه . احزنته هذه الاخبار جدًا ، وكانت سلوته الوحيدة في تلك الايام هي الاكثار من زيارته لبهاء الله والاستفادة من حكمته ومشورته الثمينة[٢٩] .

كتب ميرزا جاني صديق وحيد بعد هذه الزيارات لبهاء الله قائلاً : «لاحظت على وجه وحيد الجليل من علامات العظمة والقوة ما لم أره فيه اثناء سفري الاول معه الى العاصمة . ولا في مناسبات اخرى اجتمعنا فيها»[٣٠] .

زار سياح بهاء الله قبل ان يعود الى سجن الباب في جهريق ، وبعد أن أتمّ المهمة التي كلفه بها الباب بالذهاب الى طبرسي وبارفروش نيابة عنه واحضار شيء من التراب المقدس الذي يغطي بقايا الملا حسين والقدوس . كان وحيد ضيفًا مكرمًا عند بهاء الله وقت ان حضر سياح .

وصل سياح الى منزل بهاء الله في زمهرير الشتاء ، حافي القدمين ، رث الثياب ، اشعث الشعر . اخبر وحيد بوصول سياح من طبرسي ، فنسي بالكلية عظمته والشرف الذي يتمتع به رجل مرموق مثله ، واندفع لمقابلته ملقيًا بنفسه على قدمي السياح ، ومحتضنًا تلك الساقين اللتين كانتا مكسوتين الى الركبتين بالوحل من تراب طبرسي .

كان سياح هو نفس الشخص الذي سلمه بهاء الله ، رسالة ليحملها معه الى الباب في جهريق . وبعدها بقليل جاء الرد من السجن بخط يد الباب .

غمر بهاء الله السياح بمحبته اثناء زيارته هذه ، كما اغدق نفس المحبة على وحيد . ومما رواه شقيق بهاء الله : «دهشت من اللطف والمحبة التي أغدقها بهاء الله على وحيد ، فقد أولاه من العنايات ما لم يمنحه لاحد . ولم يبق اسلوب محادثة بهاء الله شكا عندي في ان وحيدًا سوف يتميز عن قريب باعمال لا تقل روعة عما خلده مدافعو طبرسي»[٣١] .

وعقب هذه الزيارة الاخيرة الى منزل بهاء الله توجه وحيد الى يزد ومنها الى نيريز حيث فدى بحياته في سبيل الامر .

انعم بهاء الله ايضًا على الحجة الزّنجاني نفس المحبة والتشجيع اللّذين انعم بهما الوحيد ، والزنجاني هو الذي كان بطل اعنف الاضطرابات جميعًا فقد فدى ما يقرب من الفي بابي ، في قرية زنجان ، حياتهم في سبيل الأمر من ضمنهم الحجة .

عندما مرّ الباب بزنجان في طريقه الى السجن تنبأ بهذه المصيبة بقوله : «هذه المدينة سوف تقع في اضطراب عظيم ، وستسيل شوارعها دمًا»[٣٢] .

تحقّقت نبوءة الباب، فقد حاصر حشد من الجنود حبيبه الحجة مع عدد كثير من اصحابه. أرسل حاكم زنجان مناديًا ينادي في الشوارع بأن كل من ينضم الى الحجة سوف يقتل وتتعرض زوجته واولاده الى البؤس والعار.

فرّق هذا النداء المدينة الى معسكرين، وحدثت مناظر مؤثرة حيث انقسمت العائلات بسبب ايمانها او عدم ايمانها بالباب. فقد تخلّى الآباء عن ابنائهم، والزوجات عن ازواجهن والاطفال عن امهاتهم.

بدا وكأن جميع روابط العواطف المادية قد انحلت في ذلك اليوم. امست زنجان بلدة الرّعب، كان الرجال يتراكضون بذعر جيئة وذهابًا محاولين اخذ زوجاتهم وابناءهم واقناعهم بالوقوف معهم. وفرقت العائلات متاعها واولادها. وبكى الكثيرون على ما اضطروا الى تركه خلفهم. هجرت منازل برمتها. وعندما كان يقطع رجل او امرأة، أو صبي، علاقته مع عائلته أو صحبه، ويسرع لمساندة الحجة، كانت صيحات الفرح تتعالى من احد المعسكرين، بينما يرتفع أنين اليأس من المعسكر الآخر. انه مثل اليوم الذي اشار اليه المسيح عن وقت المنتهى الذي فيه: «يسلّم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده. ويقوم الأولاد على والديهم ويسببون اعدامهم»[٣٣].

وهو اليوم الذي تنبأ عنه القرآن بقوله «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه»[٣٤]

وفي احدى الليالي اثناء المعركة، نفذ البابيون تعليمات الباب بترديد عبارات ذكر الله التالية:

الله اكبر... الله اعظم... الله أجمل... الله ابهى... الله أطهر.

رددوا هذا النداء بصوت واحد مرارًا وتكرارًا وجاء في احد التقارير التاريخية «كان الترديد عالي الصوت وجبارًا الى درجة ان الاعداء انفضّوا من نومهم، وهجروا المعسكر في فزع واسرعوا الى جوار منزل الحاكم طلبًا للمأوى. وقد صعق البعض منهم فسقطوا ميتين». كان جزء من المعسكر غارقًا في مرح صاخب. وفجأةً توقف حفلهم الماجن من صيحات اولئك الذين رفعوا اصواتهم بالشكر لله. فالضباط الذين كانوا يحملون بايديهم كؤوس الخمر القوا بها على التو واندفع الرجال والنساء بكل سرعة بعيدًا عن المبنى وكأن الصيحة أخذتهم. انقلبت موائد القمار من الفوضي التي اعقبت ذلك وجرى البعض شبه عار الى الفلاة. وفرّ آخرون الى بيوت الزعماء الدينيين.

وحالما اكتشف اهل المعسكر انه لم يكن ذلك هجومًا مخيفًا موجهًا اليهم، بل هي

تسبيحات الله تعالى عادوا مطمئنين الى اماكنهم ولهوهم ، بعد ان اخذت الذلة منهم مأخذها أثر هذه التجربة[٣٥].

شهد الحجة بكل جرأة في محضر الملك ورئيس الوزراء وفي حشد من العلماء والزعماء الدينيين بان الباب هو «الموعود» المنتظر . وقال لهم :

« انني اعتقد اعتقادًا ثابتًا راسخًا بان الباب هو الموعود نفسه الذي تنتظرونه انتم وجميع امم الارض بشوق عظيم . فهو مولانا ، ومخلصنا الموعود . فلو انه عهد اليّ القيام بأحط خدمة في بيته لاعتبرته شرفًا لا يضارعه أسمى الانعامات من ملكي »[٣٦].

عاد الحجة الى منطقته واخذ يحث كل فرد على قبول دعوة الباب قائلا «ان الغاية التي من أجلها يكدح العالم هي الآن بين ظهرانينا ... لقد ارتفعت شمس الحق ، فثبتوا انظاركم نحو الباب ولا تنظروا اليّ ، لاني أقل عبد من عبيده ، وعلمي بالنسبة الى علمه كنور شمعة غير مضاءة امام ضياءَ الشمس في رابعة النهار »[٣٧].

أصيب الحجة قبل موته بجرح خطير . وقتلت زوجته وابنه امام عينيه . ومع ما أحاط به من حزن عظيم ، فقد أَبى ان يرضخ تمامًا للأسى ، او يسمح لنفسه بان يكون كمن يستجدي متاع الدنيا . نادى ربه ساعة آلامه قائلاً :

« يا الٰهي في اليوم الذي وجدت فيه محبوبك رأيت الويلات التي لا بد لي ان أعانيها في سبيلك ومع شدة ما قاسيته من آلام فهي لا تقاس بالعذاب الأليم الذي انا مشتاق لقبوله من اجل اسمك ... وكيف يمكن ان تقارن حياتي البائسة هذه ، وحتى فقدان زوجتي وولدي العزيزين ، وتضحيات اصحابي وأقاربي بالبركات التي يهبها الاعتراف بمظهرك في الدنيا والآخرة . ولا ارغب الاّ أن يكون لي آلاف الأرواح ، واملك كنوز الارض كلها، كي ابذلها جميعًا بكل سخاء وسرور في سبيلك »[٣٨].

ويقول جوبينو في تقريره « لقد شاهدت في زنجان اتلال تلك المعركة القاسية. وان احياء بكاملها من المدينة تركت مهدّمة كما هي، ولم يعد بناؤها، وربما لن يعاد قط »[٣٩].

ويشهد نيقولاس بان القضية بكاملها حسمت بنفس الغدر الذي لُجِئ اليه في طبرسي، ونيريز ، ويصور موقف اعداء الحجة كالآتي : « لماذا لا نلجأ الى الخدعة ؟ ولماذا لا نقطع أقدس الوعود ، وحتى ولو اضطررنا فيما بعد الى اقامة مذبحة لهؤلاء البسطاء الذين اطمأنوا الى هذه الوعود؟ »[٤٠].

ولا عجب اذا ما لقّب الباب زنجان بـ « ارض اعلى »[٤١].

عندما انتهى الباب من اعداد رسالته «الخطبة القهرية» في صيف عام ١٨٤٨م، التي تنبأ فيها بسقوط رئيس الوزراء الحاجّ ميرزا اقاسي، سلم هذه الرسالة الى الحجة وأمره ان يسلمها بنفسه الى يد ذلك المسؤول (ميرزا اقاسي).

وبمجرد ان سلم الحجة الرسالة الى الحاجّ ميرزا اقاسي توجه الى منزل بهاء الله وكشف ما جاء في الخطبة القهرية وتلاها بكاملها عن ظهر قلب على بهاء الله وبعض المؤمنين الآخرين. كانت السلوى الوحيدة للحجة في تلك الايام هي مصاحبته الوثيقة لبهاء الله، الذي استمد منه قوة الاحتمال التي جعلته يتميز باعمال باهرة فيما بعد[٤٢].

غادر الحجة منزل بهاء الله وتوجه الى زنجان، حيث فدى بروحه في سبيل محبوبه. كما سبقه الى ذلك اصحابه الممتازون الوحيد، الطاهرة، والملا حسين، والقدوس.

ربط الباب منذ اللحظة التي انزل فيها التفسير للملا حسين عشية ٢٣ مايو ١٨٤٤م، رسالته برسالة بهاء الله. ويقول النبيل في تاريخه: «ألم يشر الباب منذ اوائل ايام دعوته، في الفقرات الاولى من تفسيره لسورة يوسف، الى عظمة وأهمية ظهور بهاء الله؟ ألم يكن غرضه من شرحه المطول لنكران الجميل والخبث اللذين لقيهما يوسف من اخوته التنبؤ بما سيلاقيه بهاء الله من أخيه وأقاربه»[٤٣].

صرح الباب لتلاميذه في خطبته الوداعية لهم، انه لم يكن سوى المبشر بمجيء ظهور اعظم قائلاً: «اني أعدكم لمجيء يوم عظيم... انتشروا في طول البلاد وعرضها، واعدوا الطريق لمجيئه باقدام راسخة وقلوب مقدسة»[٤٤].

كما أمر الباب تلاميذه بتسجيل اسماء كافة المؤمنين الذين قبلوا الدعوة قائلاً «وسوف اذكر جميع هؤلاء في لوح الله كما ينعم محبوب قلوبنا على كل واحد منهم بركته الثمينة يوم اعتلائه عرش العظمة..»[٤٥].

وأسماء هؤلاء المؤمنين هي التي جاء منها اتباع بهاء الله الأولون الذين خصهم بفضله وحبه.

بذل الباب كل ما في طاقته لمساعدة اتباعه ليعرفوا الى اين يتجهون بعد استشهاده. واعلن بوضوح انه هو الموعود، ولكنه بالنسبة الى الظهور الأعظم الذي سيأتي من بعده، كيحيى المعمدان بالنسبة الى المسيح. وانه المبشّر بمن هو اعظم منه. وانه (الباب) سوف يتضاءل وذلك العظيم سيتزايد وكما كان يحيى المعمدان بشيرًا وبابًا للمسيح، كذلك يكون هو (الباب) مناديًا وبابًا لبهاء الله[٤٦].

كتب الباب عن بهاء الله قائلاً «اجعل اللهم تلك الشجرة كلها له.. انا وعزتك ما

اردت ان يكون على تلك الشجرة من غصن ولا ورق ولا ثمر يسجد له يوم ظهوره... وان شهدت يا الهي عليّ من غصن أو ورق أو ثمر لم يسجد له يوم ظهوره فاقطعه اللهّم عن تلك الشجرة فانه لم يكن مني ولا يرجع اليّ»[٤٧].

وكتب في مقام آخر محددًا ساعة ظهور بهاء الله بالضبط قائلاً «من اول ذلك الأمر الى قبل ان يكمل تسعة كينونات الخلق لم تظهر... ثم اصبر حتى تشهد خلق الآخر.» وايضًا «في سنة التسع انتم كل خير تدركون». وأيضًا «في سنة التسع انتم بلقاء الله ترزقون»[٤٨].

وقبل ان تنقضي تسع سنوات وفي الواقع في السنة التاسعة (عام ١٨٥٣ م)، ابتدأت دعوة بهاء الله، وبذلك لم يحقق وعد الباب ووعد الشيخ احمد والسيد كاظم فحسب، بل ايضًا نبوءة الحديث الشريف الخاص بتلك الارض، الذي يقول، في سنة ١٨٤٤ م تشرق الارض بنور ربها... فاذا بلغت الى عام ١٨٥٣ م تشاهد كيف تتجدد الامم والحكام والشعوب وشريعة الله[٤٩].

ختم الباب في ماه كو بكلمات التحدي لا يتطرق اليها الشك رباط الوحدة بينه وبين بهاء الله قائلاً:

«طوبى لمن ينظر الى نظم بهاء الله ويشكر ربه فانه يظهر ولا مرد له»[٥٠].

واعلن الباب للعالم: «انني مؤمن به وبدينه وكتابه»[٥١].

الحب الذي حمله بهاء الله من جانبه للباب على شأن انه لم يدعه يقاسي ألمًا، او ذلة، او اهانة الا وشاركه فيها.

حددت اقامة الباب اول ما حددت في منزل رئيس الشرطة بشيراز. وبعدها بقليل حددت اقامة بهاء الله في منزل احد الزعماء الدينيين بطهران. كان السجن الثاني للباب في قلعة ماكو وتبعه سجن بهاء الله، حين حبس في مسكن حاكم آمل. جلد الباب في مسجد بتبريز، ووقع العقاب نفسه بعد ذلك بقليل على بهاء الله في مسجد آمل. كان الحبس الثالث للباب في قلعة جهريق، وتبعه حبس بهاء الله، في سجن سياه چال بطهران. ضرب وجه الباب بالمقذوفات في شوارع تبريز، ورجم بهاء الله بالحجارة في شوارع آمل، كما أصيب بحجر في وجهه وهو في طريقه الى السجن في طهران. وقتل الباب في الميدان العام بتبريز. وقضى بهاء الله ما يقرب من نصف قرن شهيدًا حيًا. فقد نفي وسجن مدة اربعين عامًا ودسّ له السم في سياه چال وهاجمه القتلة وسفاكو الدماء في

بغداد . كم دس له السم مرة اخرى في ادرنة . وحاول قاتل آخر اغتياله في سجن عكاء . واخيرًا ، حمل بهاء الله معه الى مثواه الاخير آثار سلاسل السجن العظيمة التي مزّقت لحم كتفه .

يقول النبيل في تاريخه : «كان الباب ، الذي سبقت بلاياه في كل مرة تقريبًا محن بهاء الله وآلامه ، قد قدم نفسه فدية لمحبوبه ليفتديه من الاخطار التي كانت تحيط بحياته الغالية ، وفي حين ان بهاء الله من جانبه لم يكن راغبًا في ان يكون الذي احبه هذا الحب العظيم المعذب الوحيد، فقد شاركه في كل مرة في الكأس الذي لمس شفتيه (الباب).

« هذا الحب لم تر عين مثله . وهذا الاخلاص المتبادل لم يخطر على بال بشر . فلو تحولت اغصان جميع الاشجار اقلامًا ، واصبحت البحار مدادًا ، وبسطت الارض والسماء رقًا لنفدت جميعها ، قبل ان يكشف عن عظم هذا الحب ، او يسبر غور هذا الاخلاص »[٥٢] .

لقد اندمجت شريعتيهما الى الابد .

وهكذا استطاع الباب ان يغادر السجن في جهريق بسلام وشوق ، ويشرع في الرحلة التي عرف انها ستكون رحلته الاخيرة على وجه هذه الارض . انه قد اكمل رسالته ولقد كان هو الفجر وبكل اخلاص اعد اتباعه لمجيء الشمس نفسها.

« واني ما قصرت عن نصحي ذلك الخلق وتدبيري لاقبالهم الى ربهم وايمانهم بالله بارئهم . وان يؤمنن به يوم ظهوره كل ما على الارض ، فاذا يسر كينونتي حيث كل قد بلغوا الى ذروة وجودهم . ووصلوا الى طلعة محبوبهم ... واني قد ربيت كل شيء لذلك . فكيف يحتجب احد على هذا ... »[٥٣] . « ولقد ربيت جميع البشر ليعرفوا هذا الظهور » . اتجه الباب بقلبه نحو طهران وبهاء الله وهو يكتب هذه الكلمات المؤثرة التي ظلّلت ساعاته الأخيرة التي كانت تقترب مسرعة :

« يا بقية الله قد فديت بكلّي لك ، ورضيت السبّ
في سبيلك وما تمنّيت الا القتل في محبّتك »[٥٤].

كان قد وصل الى باب سجن القلعة في جهريق الجنود حاملين فرمان الشؤم الذي اصدره رئيس الوزراء بقتل الباب .

أيقن الباب انه قد بذل كل ما في وسعه في سبيل الله وبعث بجميع كتاباته ومقلمته واختامه وخاتمه الى بهاء الله مع لفافة مليئة بالمدح والثناء لاسمه .

والآن جلس بكل هدوء ينتظر قدوم جنود اعدامه .

١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥٠٤–٥٠٥
٢. مقالة سائح ، الصفحة ٣
٣. بهاء الله – لوح ابن الذئب ، الصفحة ١٥١–١٥٩ °
٤. شوقي افندي – نظام بهاء الله العالمي ، الصفحة ١٠٠°
٥. Dr. T.K. Cheyne, *The Reconciliation of Races and Religions*, p. 65-66.
٦. بهاء الله – لوح ابن الذئب ، الصفحة ١٦٠ °
٧. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ١٢–١٣
٨. كتاب اشعيا ، الفصل الرابع والخمسين ، الآية ٥
٩. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٨–٩
١٠. المصدر السابق ، الصفحة ٧٢
١١. المصدر السابق ، الصفحة ٤١–٤٢
١٢. المصدر السابق ، الصفحة ٢٢٧–٢٢٨
١٣. المصدر السابق ، الصفحة ٢٢٨–٢٢٩
١٤. المصدر السابق ، الصفحة ٤٣٣
١٥. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٢٨
١٦. المصدر السابق ، الصفحة ١٨٩–١٩٠
١٧. نبيل زرندي ، مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٩–٣٣ ، ٥٩٣–٥٩٤
١٨. المصدر السابق ، الصفحة ٢٨٥
١٩. المصدر السابق ، الصفحة ٨٦، ٩٦
٢٠. المصدر السابق ، الصفحة ١٠٥–١٠٦
٢١. المصدر السابق ، الصفحة ١٢٦–١٢٧
٢٢. المصدر السابق ، الصفحة ٢٩٢
٢٣. المصدر السابق ، الصفحة ٣٤١–٣٤٩
٢٤. المصدر السابق ، الصفحة ٢٩٣–٢٩٥
٢٥. Dr. T.K. Cheyne, *The Reconciliation of Races and Religions*, p. 75.
٢٦. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٢٩٨
٢٧. المصدر السابق ، الصفحة ٢٨٤–٢٨٦ ، ٢٩٩، ٤٦٠
٢٨. المصدر السابق ، الصفحة ١٢٢
٢٩. المصدر السابق ، الصفحة ٤٦٥
٣٠. التاريخ الجديد ، الصفحة ١١٥
٣١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٤٣٢
٣٢. المصدر السابق ، الصفحة ٥٣٦
٣٣. انجيل القديس متى ، الفصل العاشر ، الآية ٢١

٣٤. القرآن الكريم ، سورة عبس ، الآية ٣٤
٣٥. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥٥٢–٥٥٤
٣٦. المصدر السابق ، الصفحة ٥٣٧
٣٧. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٣٥
٣٨. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥٧٢–٥٧٣
٣٩. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى ، الصفحة ٢٠٠–٢٠١
٤٠. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، ٣٥٠
٤١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥٦١
٤٢. المصدر السابق ، الصفحة ٣٢٣ ، ٥٣٩
٤٣. المصدر السابق ، الصفحة ٧٠
٤٤. المصدر السابق ، الصفحة ٩٣–٩٤
٤٥. المصدر السابق ، الصفحة ١٢٣
٤٦. شوقي افندي – مقدمة مطالع الأنوار ، الصفحة ٣٠–٣١
٤٧. بهاء الله – لوح ابن الذئب ، الصفحة ١٦٢°
٤٨. المصدر السابق ، الصفحة ١٤١،١٥٢°
٤٩. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥٠
٥٠. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٢٥°
٥١. بهاء الله – لوح ابن الذئب ، الصفحة ١٥٤°
٥٢. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٣٧١–٣٧٣
٥٣. بهاء الله – لوح ابن الذئب ، الصفحة ١٥٦–١٥٧°
٥٤. نص بيان الباب المبارك في تفسير سورة يوسف (احسن القصص)

° ان هذه المقتطفات هي نصوص بيانات الباب المباركة نقلت في الألواح المذكورة اسمائها اعلاه.

الفصل التاسع عشر استشهاد الباب

اجتاحت ايران برمتها موجة من العنف لم يسبق لها مثيل في قسوتها ،والحاحها واتساعها . فقد غشي البلاد ظلام امتد من خراسان شرقًا الى تبريز غربًا ومن زنجان وطهران شمالاً ، الى نيريز جنوبًا ، تذكر الكثيرون تنبؤ الشيخ احمد الذي تحدث بكل حرارة عن الظهورين التوأمين القريبين. وكان قد انذر اتباعه ان يترقبوا ايام الشدة هذه قائلاً « اتضرّع الى الله ان لا تكونوا موجودين في يوم مجيء الرسول ؛ او في يوم رجعته ، لانه سوف تقع حينئذ حروب أهلية كثيرة ، واذا عاش احدكم ليرى ذلك الزمان فسيشاهد امورًا عجيبة بين عامي ١٨٤٤ - ١٨٥١ م »[١] .

كتب نيقولاس عن تلك الايام قائلاً : « ضاعف العلماء القلقون من افتراءاتهم حين شعروا بتململ اتباعهم ونفاد صبرهم وتهيّؤهم للافلات من قبضتهم ... وسرت في الجماهير المنذهلة أفظع الاكاذيب والروايات الدمويّة الخياليّة ، فتمزّقوا بين الرعب والاعجاب »[٢] .

عصر الحزن قلب الباب حين بلغته انباء مقتل خاله المحبوب وسمع بالقصة المثيرة للنهاية المفجعة التي حلّت بشهداء طهران السبع .

كتب الباب بافتخارهم ثناءً خاصًا يشهد فيه بعلو مقامهم في نظره . وقال ان هؤلاء الابطال السبعة هم « الخراف السبعة » التي ورد ذكرها في النبوءات الاسلامية والتي تسير في يوم الدين امام القائم الموعود[٣] .

اصدر رئيس الوزراء ميرزا تقي خان في هذه الاثناء امره باحضار الباب من سجنه في جهريق . فقد قرر رئيس الوزراء اخيرًا ان يوجه الضربة الى رأس الدعوة ، بعد ان تعرض جيش الملك ، وعلماء البلاد للاهانات والهزائم في طول البلاد وعرضها . وظن رئيس

الوزراء انه بتخلصه من الباب تعود البلاد الى ما كانت عليه من الهدوء . فدعا مستشاريه اليه وكشف لهم عن خطته .

كان هذا تغيرًا عنيفًا عن الخطة الأصلية التي سبق ووضعها رئيس الوزراء . وما زال ميرزا تقي خان يعتقد بان أنجع وسيلة لتحطيم نفوذ الباب هي القضاء عليه معنويًا وذلك « باخراجه من عزلته في جهريق ، حيث احاطته هالة الألم والقداسة والعلم والبلاغة جعلته يضيء كالشمس ويعرضه على الناس كما هو مشعوذًا متذللاً وضعيفًا في احلامه ، لا يملك الشجاعة الكافية لادارة الحملات الجريئة فكيف بالاعداد لها او حتى الاشتراك فيها كالتي وقعت في طبرسي ونيريز وزنجان »[٤] .

أشار هؤلاء المستشارون ان سلوك الباب في السجن لم يدل على انه شخص مثل الذي تخيله رئيس الوزراء . لقد تحمل الباب جميع المصائب دون شكوى ، وداوم على التعبد والعمل دون انقطاع. وان كل من اقترب منه شعر بقوة شخصيته. ألم يتعظوا بما حدث لكل من حارسي ماه‌كو وجهريق اللذين كانا من ألد اعداء الباب، ولكن بمجرد وجوده بينهما انقلبا الى صديقين مبتهجين به الى اقصى حد.

ألم ترسل السلطات الوحيد وهو اعظم زعيم ديني في البلاد ، ليفحص امر الباب ويخزيه ؟ وهو الآخر تخلى عن الملك ، وشهرته الخاصة ، وحياته بالذات بمجرد ان قابل هذا السجين. فهل مثل هذه الحوادث تبشر بالخير؟ وماذا عن ايمان منوجهر خان ؟

وماذا عن تقارير الجواسيس بالقرب من جهريق ؟ ألم تشر الى ان الباب كثيرًا ما تحدث عن موته خلال تلك الايام ؟ وقيل انه أشار الى موته لا كشيء عادي فقط ، بل امر محبب. ماذا لو اظهر شجاعة فائقة اذا ما عرض في كافة انحاء البلاد مكبلاً بالسلاسل ؟ ونفترض انه أربك وحيّر العلماء الدهاة الذين اختيروا لمجادلته ؟ ماذا لو انحنوا مؤمنين له كما فعل الوحيد وهو أكثرهم علما ؟ ماذا يحدث يا ترى ، اذا برز أمام اعين الناس بطلاً وشهيدًا ، اكثر من اي وقت آخر ، نتيجة لهذه المعاملة ؟ ما العمل اذًا ؟

قال جوبينو في تاريخه : « ان الذين اقتربوا منه شعروا رغمًا عنهم بالقوة الأخاذة لشخصيته ، وباخلاقه ، وبيانه ، حتى حراسه لم يقووا على مقاومة هذا التأثير »[٥] .

وبعد ان وزن المستشارون الأمور بدقة قرروا انها مخاطرة عظيمة ورفضوا خطة رئيس الوزراء ، ولم يجرأوا على المغامرة .

صمّم رئيس الوزراء الآن على اتخاذ اجراءات اكثر عنفًا ضد الباب ، ولعن تراخي الحاج ميرزا اقاسي ، رئيس الوزراء السابق ، الذي سمح بنمو هذا الخطر العظيم . وعـزم

على ايقاف سياسة الضعف هذه فورًا . لأن السماح للباب بالاستمرار في كسب مزيد من العظمة والشهرة أمر لا يمكن تصوره ، فقال للمستشارين :

« ارى ان لا شيء يعيد السلام والهدوء الى هذا البلد الحائر الا اعدامه علانية » .

لم يجرؤ صوت واحد على معارضة خطته ، بعد ان شاهدوا سخطه . وبعد صمت طويل ارتفع صوت هادئ شجاع بالاحتجاج . كان هذا صوت وزير الحرب الذي خلفه فيما بعد ، واقترح علاجًا أقل عنفًا . استاء رئيس الوزراء جدًا ، وأخمد على الفور صوت الاعتراض هذا قائلاً :

« لا شيء يستطيع اقتلاع هذا الشر من جذوره ، ويعيد الينا السلام المنشود ، غير هذا العلاج الذي أوصي به » .

لم يلتفت رئيس الوزراء الى نصح اي معارض له ، واصدر أمره الى حاكم تبريز باحضار الباب من جهريق الى تبريز . نص الامر على ان يسجن الباب في هذه المدينة ، الى ان يخبروه فيما بعد بمصيره . خشي رئيس الوزراء احضار الباب الى طهران واعدامه فيها لئلا يثير وجوده هناك اضطرابات لا يستطيع السيطرة عليها . ولذا كان على الباب ان يلاقي الموت في مدينة تبريز الواقعة في الشمال[٦] .

ارسل رئيس الوزراء امرًا ثانيًا الى الحاكم ، بعد انتقال الباب من سجنه الى تبريز بثلاثة ايام اوعز فيه اليه باعدام الباب . رفض الحاكم وقال حانقًا :

« هذه مهمة لا يقوم بها الا أخس الناس . فمن أنا حتى أكلف بقتل شخص بريء من سلالة نبينا ؟

ينحدر الباب من سلالة بني هاشم ، التي هي أسرة محمد مرورًا بسلالة اسماعيل ، من ذرية ابراهيم نفسه .

كان الحاكم وغالبية الشعب على علم بالنبوءة المدونة في كتبهم القائلة بان « يظهر شاب من بني هاشم بكتاب جديد وشرع جديد. على الكل ان يسرعوا اليه ويعتنقوا امره »[٧] .

غضب رئيس الوزراء على الحاكم ، ولكنه صمم على ان لا يحول شيء دون هذا الاعدام . فأمر أخاه ، ميرزا حسن خان بتنفيذ هذا الامر . حاول ميرزا حسن اعلام الحاكم بالتعليمات الجديدة ، ولكن الحاكم رفض مقابلته متظاهرًا بالمرض . عندئذ ، تولى حسن خان بنفسه عملية الاعدام .

أمر بنقل الباب على الفور الى غرفة الاعدام في المعسكر بالمدينة وامر بنزع عمامة الباب

وحزامه وهما علامتا نسبه الشريف . وأمر سام خان قائد كتيبة الاعدام بتعيين عشرة من الحرس الخاص للمرابطة عند باب الزنزانة التي سجن فيها الباب .

وعندما كان الباب مقتادًا من طريق الساحة الى زنزانته في المعسكر ، انطلق الى الامام شاب صغير تبريزي من بين الجمهور. لم يتجاوز هذا الشاب الثامنة عشرة من عمره . كان شاحب الوجه حافي القدمين ، اشعث الشعر ، فشقّ طريقه وسط الغوغاء والقى بنفسه عند قدمي الباب ، غير عابئ بالخطر الذي يهدد حياته من جراء فعلته هذه . تضرع الى الباب قائلاً :

« لا تبعدني عنك يا سيدي . اجعلني اتبعك اينما ذهبت » .

ابتسم له الباب وقال بلطف : « انهض يا محمد علي . أيقن بانك سوف تكون معي . وغدًا ستشهد ما يقضي به الله »[٨].

كتب الدكتور ت. ك. شين قائلاً : « عجبًا لهذا التطابق الفريد بين الباب والمسيح ، فقد خاطب كل منهما تلميذه قائلاً ستكون اليوم معي في الفردوس »[٩].

قبض على الشاب ووضع في نفس الزنزانة مع الباب ، وحكم عليه بالاعدام معه . وسرعان ما أصبحت قصة هذا الشاب معروفة لدى كل فرد . لقد عرف دعوة الباب ، عندما مر الباب أول مرة بتبريز في طريقه الى السجن في ماه كو ، واصبح على الفور مؤمنًا غيورًا . وتشوّق هذا الشاب لزيارة الباب في سجنه وتقديم حياته في سبيل الأمر . كان زوج امه من أكابر أعيان تبريز . منع الشاب من مغادرة البلدة ، وحبسه في حجرته تحت حراسة شديدة خشية ان يجلب العار الى الأسرة باعلانه ايمانه بالباب . اعتلّ الشاب في حبسه ، فقلق عليه زوج امه .

روى الشيخ حسن ، احد أقارب زوج الأم ، الذي أوفده الباب مرّة الى تبريز مع بعض كتاباته ، عن لقائه مع هذا الشاب قائلاً : «كنت ازوره يوميًا ، وفي كل مرة اشاهد دموع الأسى تنهمر من عينيه . ثم زرته مرة اخرى بعد ان جلد الباب واعيد الى جهريق ، ودهشت في هذه المرة عندما شاهدت وجهه يضيء بالسرور والفرح . تقدم لاستقبالي بوجهه الجميل تحيطه هالة من الابتسامات وقال « لقد تشرف وجهي هذا بلحاظ المحبوب وقرت عيناي بمحياه ». وتابع قائلاً :

« دعني أكشف لك عن سر سعادتي . في يوم من الايام بينما كنت راقدًا مسجونًا في حجرتي ، بعد ان اعيد الباب الى جهريق ، توجهت بقلبي اليه وناجيته بهذه الكلمات

« ترى يا محبوبي اسري وعجزي ، وتعلم كم احن الى رؤيتك . فاقشع يا الهي بانوار وجهك هذه الظلمة التي تخيم على قلبي » .

فاضت بي المشاعر حتى وكأني قد فقدت وعيي . وفجأة سمعت صوت الباب . يا لفرحتي ، لقد كان يناديني . امرني قائلاً (انهض) . فشاهدت جلال محياه عندما ظهر لي . نظر الى عيني وهو يبتسم . اندفعت الى الامام والقيت بنفسي عند قدميه . فقال : « افرح . فالساعة التي سوف أعلق فيها امام أعين الناس ، في هذه المدينة ، واسقط ضحية لنيران العدو تقترب . ولن انتخب احدًا غيرك لتشاركني كأس الشهادة . ايقن بان ما اعدك به سوف يتحقّق » .

سحرني جمـال هذه الرؤية . وعندما استيقظت وجدت نفسي مغمورًا في بحر من السرور الـذي لـن تحجب نورانيتـه احزان العالم ولا يزال هذا الصوت يتردد في أذني ، كما تلازمني هذه الرؤيا، ليلاً ونهارًا. وفرّجت ذكرى تلك الابتسامة عني وحشة عزلتي . واني مقتنع بصورة ثابتة بان الساعة التي يتحقق فيها وعده لا يمكن تأخيرها اكثر من هذا». نصحته بالصبر واخفاء انفعاله ، فوعدني بان لا يبوح بسره ، وتعهد بان يظهر في منتهى الرفق واللطف لزوج أمه . وأكدت لزوج أمه بان الصبي راغب في طاعته ، وبذلك نجحت في فك اسره .

استمر ذلك الشاب يعاشر والديه واقاربه بكل هدوء وفرح الى يوم استشهاده . كان سلوكه نحو اصحابه وأقاربه على شأن بكاه جميع اهل تبريز وناحوا عليه في اليوم الذي فدى بحياته في سبيل محبوبه »[١٠] .

لم تضعف ثقة الشاب برؤياه ، وجاء اليوم الذي رأى فيه الباب بعينيه في ساحة المعسكر ، فرمى بنفسه على قدميه ، ونظر الى تلك الابتسامة البديعة التي عرفها جيدًا وسمع الباب يفي بوعده ، بمخاطبته قائلاً « انهض ... ستكون معي » .

كان وجه الباب في تلك الليلة الاخيرة التي قضاها في زنزانته متوهجًا بسعادة لم تبد عليه في اي وقت سابق . كتب الدكتور ت. ك. شين في تقريره عن الباب ما يلي : « نحن نعلم بان الباب ، في مواقف عظيمة من حياته كان فيض من القوة والعظمة يشع من ملامحه بدرجة انه لم يكن فيها باستطاعة احد ان ينظر الى اشراقات بهائه وجماله كما ولم يكن من الغريب لغير المؤمنين ان ينحنوا بخضوع تام عند مشاهدة قداسته »[١١] .

ترك لنا السيد حسين وصفا لآخر ليلة للباب على الأرض :

« تحدث الباب معنا بمرح وحبور غير عابئ بالعاصفة الثائرة حوله ، وكأن الأحزان التي أثقلت كاهله قد تلاشت تمامًا .

قال الباب : « غدًا سيكون يوم استشهادي . ليت احدكم يقوم الآن وبيديه ينهي حياتي . فانني أفضل أن اقتل بيد حبيب لا بيد عدو » .

جفلنا من انهاء حياة ثمينة كهذه بايدينا . امتنعنا وبقينا ساكتين . وثب الشاب الصغير فجأة على قدميه وأعلن استعداده لتلبية كل ما يريده الباب . فقال الباب : ان هذا الشاب الذي قام لتنفيذ رغبتي سوف يحصل معي على كأس الشهادة ، وهو الذي اختاره ليشاركني تاجها »[١٢] .

حضر في الصباح الباكر من اليوم التالي رئيس الاعوان الى الثكنة لأخذ الباب الى كبار مجتهدي تبريز ، اذ عليهم الافتاء باعدامه بتوقيعهم فرمان الموت ، وبذلك يخلص رئيس الوزراء من المسؤولية بأكملها .

كان الباب مشغولاً بمحادثة سرية مع السيد حسين ، احد اتباعه المقربين الذي عمل كاتبًا للوحي وشاركه طوآل مدة سجنه ، وكان الباب يعطيه آخر ارشاداته ونصحه قائلاً :

« لا تظهر ايمانك حتى تتمكن عندما يحين الأوان من اخبار الذين قدر لهم ان يسمعوا منك الأمور التي لا يعرفها احد سواك » .

كان الباب ما زال مشغولاً في محادثته مع السيد حسين حين حضر رئيس الأعوان وأصرّ على اقتياد الباب فورًا . التفت الباب اليه أنّبه بعنف قائلا : « الى ان اكون قد قلت له كل ما اريد قوله ، لا تستطيع اي قوة ارضية اسكاتي . فلو جند العالم باسره ضدي ، لن يقدروا على منعي من اتمام ما اريده حتى آخر كلمة منه » .

دهش رئيس الاعوان لمخاطبة السجين له بهذا الكلام الجريء . ومع ذلك أصرّ على ان يرافقه الباب دون تأخير اكثر من هذا وتركت المحادثة مع السيد حسين دون اتمام .

اقتيد الباب والشاب ذو الثمانية عشر ربيعًا ، الذي سيموت معه ، واحدًا بعد الآخر الى محضر كل من المجتهدين الثلاثة . تأكد الحراس من ان السلاسل التي حول الرقبة والمعصمين مقفلة . ربطوا في السلسلة التي في رقبة الباب حبلاً طويلاً امسك به خادم آخر ولكي يرى ذلته كل فرد ساروا به في المدينة . واقتادوه في الشوارع والاسواق وهم ينهالون عليه بالضرب والاهانات ويعرضوه لسخرية الجمهور ، كما جرى للمسيح من قبل[١٣] .

لم يعد الباب منتصرًا في نظر اهالي تبريز . كان عليه ان يموت . لقد كانوا يعملون على

اذلاله واهانته ، تمامًا كما رسم له رئيس الوزراء . اكتظت الشوارع التي مرّ بها بالجماهير . تسلّق الناس بعضهم على اكتاف البعض ليروا هذا الشخص الذي كثر الكلام حوله . قالوا : يا للأسف ليس له أدنى حيلة . من الواضح تمامًا انه ليس من رجال الله ويقينا انه ليس بالموعود .

انتشر البابيون الذين كانوا بين الجمهور في جميع الاتجاهات ، اجتهدوا في اثارة شعور الرأفة والشفقة بين المتفرجين ، لعلهم يستطيعون بذلك تخليص سيدهم .

دخل المسيح القدس مرَحَّبًا تحفه التهاليل من كل جانب ، وقد فرشت الطريق تحت اقدامه بالسعف ، وما كاد ان ينقضي عليه اسبوع في القدس ، حتى انهالت عليه الاهانات واللعنات . كذلك نُسي الجلال الذي لازم دخول الباب اول مرة مظفرًا الى تبريز ، وفي هذه المرة انهال الجمهور القلق المتهيّج عليه بالمسبات . كانوا يريدون ان تظهر لهم المعجزات والعجائب . ولكن الباب خيّب ظنهم . وكانوا يتعقبونه وهو مساق خلال الشوارع . كانوا يشقون طريقهم اليه وسط الحراس لكي يصفعوه على وجهه . وعندما كانت تصيبه مقذوفة من الجمهور كان الحراس والغوغاء ينفجرون بالضحك .

ثم احضر الباب امام المجتهد الذي سبق وحرّض رجال الدين على جلده . وبمجرد ان رآه يقترب منه امسك بفرمان الموت ودفع به الى الخادم وصاح : « لا حاجة الى احضاره امامي . فقد سبق ووقعت هذه الفتوى باعدامه منذ زمن طويل في اليوم الذي فيه شاهدته في ذلك الاجتماع هنا بتبريز . انه نفس الرجل الذي رأيته هناك ، والذي لم يتنازل منذ ذلك الوقت عن ادعائه . خذوه بعيدًا » .

رفض العلماء الآخرون بدورهم مقابلة الباب وجهًا لوجه ، فقد زاد بغضهم له منذ اليوم الذي انتصر فيه عليهم . قالوا « نحن راضون تمامًا ، وموافقون على صحة الحكم باعدامه . لا تحضروه الينا » .

وعندما حصل رئيس الاعوان على فتاوى قتله اللازمة ، سلم الباب الى سام خان ، رئيس الكتيبة التي أوكل اليها امر اعدامه .

وجد سام خان نفسه متأثرًا تأثرًا متزايدًا من سلوك سجينه . لقد وضع عشرة من الحراس عند مدخل زنزانة الباب ، واشرف على ذلك بنفسه . ولكن كان يشعر في كل خطوة يقوم بها بانجذاب متزايد نحو هذا السجين غير العادي . كان في خوف مستمر من ان ازهاقه روحًا مقدسة كهذه قد يجلب عليه غضب الله . واخيرًا لم يقدر على احتمال هذا القلق اكثر من ذلك . فاقترب من الباب وتكلم معه على انفراد قائلاً :

« انني مسيحي ولا احمل لك اي ضغينة ، فاذاكان دينك دين حق ، فخلصني من مهمة سفك دمك » . وواساه الباب بهذه الكلمات : « نفّذ ما أُمرت به . فاذا كانت نيتك خالصة ، تأكد من ان القدرة الالهية سوف تخلصك من حيرتك » .

لم يعد تأجيل ساعة الاعدام ممكنًا اكثر من ذلك . فقد احتشد الجمهور في الميدان العام قادمًا من جميع القرى المجاورة . أمر سام خان رجاله بدق مسمار في العمود القائم بين بابي المعسكر ، ثم شدوا عليه حبلين لكي يعلق بهما الباب وصاحبه الشاب كلاً على انفراد . وهكذا تحقق امام اعين الناس الناظرين الى هذا المشهد كلمات النبوءة المذكورة في كتابهم المقدس والقائلة بانّ الموعود بعد قتله سوف يعلق كما علق المسيح امام اعين الناس . توسل محمد علي الى سام خان ان يضعه بطريقة يكون فيها جسده درعًا لهيكل الباب . فعلق آخر الامر بحيث استقرّ رأسه على صدر الباب .

وصفت « المجلة الآسيوية » هذا الحادث قائلة : « ظل الباب صامتًا . كان وجهه الباهت الجميل ، ومظهره وسلوكه المهذب ، ويده البيضاوان وثوبه البسيط البالغ في النظافة ... كل شيء فيه يدعو الى الشفقة والرحمة »[١٤].

تجمع حوالي عشرة آلاف شخص في الميدان العام ، واحتشدوا كذلك على اسطح المنازل المجاورة . جميعهم متلهفون لمشاهدة المنظر وكل واحد منهم كان على استعداد ان يتحول من عدو الى صديق لاقل علامة من القوة تبدو من الباب . انهم ما زالوا متعطشين الى تمثيلية (دراما) ، وخيّب الباب ظنهم . تمامًا كما تجمهر القوم في « جلجلة » يشتمون المسيح ويهزون رؤوسهم قائلين: «خلص نفسك اذا كنت ابن الله وانزل من على الصليب». وهكذا ايضًا استهزء اهالي تبريز بالباب وصاحوا ساخرين من عجزه الظاهر .

وبمجرد ان شد الباب ورفيقه الى العمود ، اصطفت الكتيبة في ثلاث صفوف ، في كل صف مائتان وخمسون رجلاً . لم يعد في وسع سام خان رئيس الكتيبة تأخير الأمر اكثر من ذلك . لقد أمره الباب بتنفيذ مهمته ، ويظهر ان المشيئة الالهية قد أعدت هذه الكتيبة لازهاق روح الباب . وكان هذا مصدر حزن عظيم له .

وبدون رغبة منه اصدر امره قائلاً : « اطلقوا النار » . فاطلق كل صف بدوره النار على الباب وصاحبه حتى افرغت الكتيبة برمتها رصاص بنادقها .

كان هناك اكثر من عشرة آلاف شاهد عيان لذلك المنظر المكهرب الذي أعقب اطلاق النار . يقول احد التقارير التاريخية عن هذه اللحظة المدهشة قائلا : « كان الدخان الذي تصاعد من اطلاق البنادق السبعمائة والخمسين كثيفًا الى درجة احال نور

الظهيرة الى ظلام . وما ان انقشع الدخان حتى وقف الجمهور المنذهل امام منظر تكاد لا تصدقه اعينهم . فهناك ، وقف رفيق الباب امامهم حيًا لم يصب باذى ، بينما اختفى الباب عن انظارهم . ومع ان الرصاص قد مزّق الحبال التي علقا بها اربًا اربًا الا ان جسديهما نجيا من الرصاص بمعجزة »[١٥] .

ارتفعت صيحات الدهشة والارتباك والخوف من حناجر الجماهير الذاهلة .

لقد اختفى الباب !

انه طليق .

انها معجزة ! انه ولي من اولياء الله !

انهم يقتلون احد اولياء الله !

ارتفع الضجيج من كل الجهات . لقد فقد الجمهور صوابه ، وانقلب الميدان العام الى مستشفى للمجانين حين بُدئ البحث العشوائي عن الباب .

قال المؤلف الفرنسي م. ح. هوارت الذي كتب عن هذا الحادث :

« ولكي يهدئ الجنود من انفعال الجمهور الذي وصل هياجه الى اقصاه والذي كان على استعداد تام للايمان بمدعيّات دين أثبتت صحته عرضوا لانظاره الحبال التي قطعها الرصاص زاعمين انه لم تحدث في الحقيقة اية معجزة »[١٦] قالوا لهم «انظروا . ان الرصاصات السبعمائة والخمسين قد مزّقت الحبال اربًا اربًا وهذا ما فك قيدهما . لا شيء اكثر من هذا ... انها ليست معجزة » .

استمر الضجيج والصريخ من كل جانب اذ لم يتبين بعد للناس ما حدث بالفعل .

عبّر المستر هوارت عن رأيه في هذا الحدث المدهش قائلاً : « من الغريب أن نصدق بأن الرصاص لم يصب المحكوم عليه ، بل على العكس ، قطع الرباط عنه فنجا انها في الحقيقة معجزة » .

كما كتب نيقولاوس عن هذا الحادث يقول : «لقد حدث شيء خارق للعادة ، بل فريد في تاريخ البشرية : لقد مزّق الرصاص الحبال التي كانت تشد الباب ، فسقط الباب على قدميه دون ان يخدش »[١٧] .

انتهى بحث رجال الدولة الجنوني عن الباب على بعد بضع خطوات من مكان الاعدام ، اذ وجدوه في الحجرة نفسها التي كان يشغلها في الليلة السابقة ، يكمل حديثه مع كاتب وحيه السيد حسين . كان الباب يتابع اعطاءه التعليمات الاخيرة التي قوطعت

في ذلك الصباح وارتسمت على وجهه علامات الارتياح التّام ، وكان واضحًا ان جسده قد خرج من تحت وابل الرصاص دون ان يخدش . نظر الباب الى رئيس الاعوان وقال : «لقد انهيت حديثي. يمكنك الآن المضي في انجاز مهمتك» .

اضطرب رئيس الاعوان الى درجة لم يقو على استئناف مهمته وتذكر بكل وضوح كلمات الباب التي انّبه بها لقطعه حديثه اذ قال «... فلو جند العالم باسره ضدي ، لن يقوى على منعي من اتمام ما اريده الى آخر كلمة منه» .

رفض رئيس الاعوان الاستمرار في أية مساهمة في عملية الاعدام . غادر زنزانة الثكنة وهو يرتجف من صميم وجوده . قدم استقالته من وظيفته وابتعد بالكلية عن اعداء الباب الى الابد .

ذهل سام خان رئيس الكتيبة المسيحية ايضًا لما حدث . وتذكر هو الآخر بوضوح كلمات الباب التي قالها له : «اذا كانت نيتك خالصة ، فتأكد ان القدرة الالهية سوف تخلصك من حيرتك» . لقد اعطى سام خان الامر باطلاق النار ، ومع هذا فقد نجا الباب . حقًا قد خلصه الله من ضرورة سفكه دم هذا الرجل القدسي. وابى ان يمضي بعملية الاعدام .

وأمر سام خان كتيبته بمغادرة ساحة الثكنة على الفور واخبر المسؤولين صراحة ان مهمته قد انتهت بالنسبة الى هذا العمل الجائر قائلاً :

« اني ارفض الى الابد الاشتراك مع كتيبتي في اي عمل يسبب أدنى ضرر للباب . وبينما كانت كتيبته تسير خارجة من الميدان العام أقسم امامهم جميعًا قائلاً : « لن اباشر هذه المهمة مرة اخرى ، ولو كلفني ذلك حياتي » .

وبعد رحيل سام خان ورجاله تطوع احد ضباط الحرس الملكي برتبة عقيد للقيام بعملية الاعدام . فعلّق الباب وصاحبه للمرة الثانية على الحائط نفسه بالمسمار نفسه واصطفت فرقة الاعدام الجديدة امامها. وفيما كانت هذه الكتيبة تستعد لاطلاق قذائفها الاخيرة ، خاطب الباب الجمهور الناظر اليه بآخر كلماته :

« ايها الجيل الملتوي. لو آمنتم بي لحذا كل واحد منكم حذو هذا الشاب الذي يعلو اكثركم مقامًا ولفدى بنفسه بملء ارادته في سبيلي . سيأتي اليوم الذي سوف تعترفون بي لكني في ذلك اليوم لن أكون معكم » .

خيّم صمت مخيف على الميدان . وأثناء هذا الصمت الشؤم لم يسمع فيه الا قرقعة معدن البنادق استعدادًا لاطلاق النار منها . اخذ الجمهور يتحرك بقلق . وقد صوّبت

البنادق واعطي الامر فزمجرت البنادق وأرعدت ، فمزّق رصاصها جسد الباب وصاحبه الشاب .

وكما لفظ المسيح آخر أنفاسه على الصليب عسي ان يعود الناس الى بارئهم ، كذلك لفظ الباب انفاسه الاخيرة وهو معلّق على حائط الثكنة في مدينة تبريز بأرض ايران .

كتب نيقولاس في تاريخه عن تلك الساعة قائلاً : « يعتقد المسيحيون بان المسيح لو رغب في النزول على الصليب لفعل هذا بكل سهولة . ولكنه مات بملء ارادته لأنّه كُتب ان يحدث ذلك لكي تتم النبوءات . وهذا يصدق في الباب ايضا كما يقول اتباعه ... مات الباب بنفس الطريقة وبطوع ارادته لان موته هذا كان لانقاذ العالم . فمن ذا الذي يحكي لنا عن تلك الكلمات التي نطق الباب بها وسط هذا الاضطراب الذي لم يسبق له مثيل ... ومن يعرف تلك الذكريات التي حركت روحه الطيبة ؟ »[١٨] .

نادى المسيح ربه وهو معذّب في حديقة جلجلة : « يـا أبتـاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس. ولكن ليس كما اريد انا. بل كما تريد انت »[١٩] .

نادى الباب كذلك الانسانية جمعاء في زمهرير شتاء ماه‌كو المتجمد بان مشيئة الله ، لا ارادته هو ، « هي التي دفعته بشدة الى القاء نفسه في بحر الخرافات والبغضاء ليبتلعه » . لقد نطق كل من المسيح والباب بعبارة الانذار نفسها : ايها الجيل الملتوي » .

وقع استشهاد الباب عند ظهر يوم الأحد ، في التاسع من يوليو عام ١٨٥٠ م بعد واحد وثلاثين عامًا من ولادته في شيراز .

تقول وثيقة تاريخية عن اطلاق النار في المرة الثانية والأخيرة : « في هذه المرة نجحت عملية الاعدام ... ولكن الجمهور الذي كان متأثرًا تأثرًا عميق لما شاهده بأم عينيه . تفرّقوا بخطى ثقيلة ، غير مقتنعين بان الباب كان مجرمًا »[٢٠] .

وفي مساء يـوم استشهاده ، نقلت جثتا الباب وصاحبه الملتحمتان من الميدان العام وألقي بهما على حافة خندق خارج ابواب المدينة . توالت الحراسة عليهما اربع فرق من الحراس في كل منها عشر افراد . كي لا يدعي اتباع الباب فيما بعد امتلاكهما .

ذهب موظف من احدى القنصليات الاجنبية في صباح اليوم التالي ليوم الاعدام يصحبه رسام الى الخندق ، وأمر برسم صورة للجثتين . يقدم النبيل في تاريخه ما قاله شاهد عيان عن ذلك : « لقد كانت صورة صادقة للباب ... لم تصب اية رصاصة جبهته ، او وجنتيه ، او شفتيه . ورأيت ابتسامة بدت وكأنها ما زالت عالقة بمحياه »[٢١] .

وصل سليمان خان ، احد اتباع الباب ، عند العصر من اليوم الثاني ، قادمًا من طهران . كان قد سمع بالخطر المحدق بحياة الباب ، فترك طهران وحضر لمحاولة تخليصه . ولسوء حظه وصل متأخرًا . فصمم على انقاذ جثتي الباب وصاحبه بالرغم من وجود الحراس ، حتى ولو كلفه ذلك حياته .

نجح سليمان خان بمساعدة صديق له في حمل الجثتين بعيدًا عند منتصف تلك الليلة . فقد راقب الصديقان الحراس بدقة . لم يكن الحراس مخلصين في حراستهم طوال الليل ، لذا وبينما كانوا مستغرقين في النوم سرق سليمان خان وصديقه الجثتين المقدستين ونقلاهما من حافة الخندق الى مصنع للحرير يملكه احد البابيين : وفي اليوم التالي صنعا صندوقًا خصيصًا لهذا الغرض واخفياه في مكان امين .

استيقظ الحراس ولما وجدوا ان امانتهم قد اختفت حاولوا تبرئة انفسهم فتظاهروا بان وحوشًا مفترسة حملتها بعيدًا اثناء نومهم . كما اخفى رؤساؤهم الحقيقة ولم يخبروا عنها ارباب السلطة خوفًا من فقدان مراكزهم . سرّ هذا اتباع الباب الذين كانوا متشوقين لمنع اية تحقيقات اخرى قد تسلبهم هذين الجثمانين المقدسين .

انبرى العلماء الدينيون من على منابرهم متبجّحين فاعلنوا للملأ ان جثة الباب قد التهمتها الحيوانات المفترسة وصاحوا قائلين « هذا يثبت اننا على حق وانه على باطل لأنه مكتوب في نبوءاتنا ان جسد الموعود المقدس يكون محفوظًا من الوحوش المفترسة ومن جميع الزواحف » .

قال نيقولاس في تاريخه : « ان الشهادة الأكثر اعتمادًا التي ادلى بها شهود الدراما وممثلوها لا تدعني اشك قط في ان جسد الباب قد نقلته الأيدي النقية الورعة ، واخيرًا ... دفن بصورة تليق به »[٢٢] .

اخبر سليمان خان بهاء الله في طهران بانقاذ جسد الباب . فارسل بهاء الله على الفور رسولا خاصًا الى تبريز لعمل الترتيبات اللازمة لنقل الجسدين الى العاصمة .

يقول النبيل اتخذ هذا القرار بناء على رغبة الباب نفسه .

ابدى الباب بخط يده رغبته في ان يدفن بالقرب من محبوبه ويقول النبيل بان الباب في رسالة كتبها بجوارمزار بالقرب من طهران خاطب الولي المدفون هناك بقوله : « طوبى لك بما استقر مرقدك... تحت ظل محبوبي. فيا ليتني ادفن بجوار تلك التربة المقدسة »[٢٣] .

احترم بهاء الله هذه الرغبة بان يُنقل جسد الباب الى تلك البقعة نفسها ولكن الامر بقي سرًا الى ان غادر بهاء الله بلاد فارس .

بدأت على الفور يد القهر الالهي يضرب اولئك المسؤولين بالدرجة الاولى عن استشهاد الباب . والقسوة نفسها التي لقيها اولئك الذين آذوا الباب طوال حياته ، حلت الآن على ظالميه الاخيرين .

فحاكم شيراز الذي كان اول من سجن الباب ، قد أُطيح به من سلطته ونبذ من الصديق والعدو على السواء . وشيخ الاسلام الذي جلد الباب اصيب بالشلل ومات ابشع ميتة . ومحمد شاه الملك الذي رفض مقابلة الباب نزل به المرض وقضت عليه مضاعفات العلل قبل أوانه بكثير . ورئيس وزرائه الحاج ميرزا اقاسي ، الذي ابعد الباب الى السجن مرتين ، أقيل من منصبه ، ومات معدمًا ومنفيًا .

ومحمود خان ، رئيس بلدية طهران ، الذي سجن الطاهرة وشهداء طهران السبع وتعاون على قتلهم ، خنق وعلق على المشنقة .

اما ناصر الدين شاه ، الملك الجديد ، الذي أباح قتل الباب فقد كان ينتظر يوم اغتيالٍ اكثر فظاعة واثارة من يوم مقتل ابيه .

ورئيس الوزراء ، ميرزا تقي خان ، الذي أمر باعدام الباب وحرض على القتل العام للعديد من اتباعه فقد وقع في قبضة القصاص القاسي نفسه ، فاعظم جريمة اقترفها هي قضائه على حياة الباب ، واكبر مذابحه ، بعد استشهاد الباب ، هي التي وقعت في زنجان . فقد قتل الف وثمانمائة بابي في مدينة زنجان بمفردها . فبالرغم من ان الجنود أقسموا بشرفهم للابقاء على حياة اتباع الحجة الذين يخرجون بملء ارادتهم من مخابئهم ، فقد وضعوهم في صفوف ، وطعنوهم بحراب بنادقهم ، على دق الطبول وصياح الأبواق . ثم اجبر هذا الجيش الظافر من تبقى من ذوي الشأن على السير أمام خيولهم طوال الطريق الى طهران ، واعناقهم مكبلة بالسلاسل ، واقدامهم مصفدة بالقيود. وعندما احضروا امام رئيس الوزراء ميرزا تقي خان ، أمر بقطع أوردة ثلاثة من كبارهم ، وقال انه يريد ان يجعل منهم عبرة ، كما فعل بالباب .

لم تظهر على الضحايا اي خوف او انفعال وقالوا لرئيس الوزراء ان فقدان حسن النية الذي يقع ذنبه على رجال السلطة والجيش ، وعليه هو ، جريمة لن يكون عقابها يسيرًا ، فقتلهم رسولاً ، وتعذيبهم اتباعه سوف يحاسبهم الله عليها حسابًا عسيرًا وتنبّأوا بان رئيس الوزراء نفسه سوف يلاقي عاجلاً نفس المصير الذي يعده وينزله بهم وهو في سورة من البغض .

ذكر جوبينو في تاريخه : « ان الشيء الوحيد الذي استطيع اثباته ... هو انه أُكِّدَ لي ان النبوءة في الحقيقة قد تنبأ بها شهداء زنجان »[٢٤] .

وحدث تمامًا كما تنبأ به هؤلاء الضحايا . فقد سقط ميرزا تقي خان من حظوته لدى الملك ، واتحدت دسائس القصر واطماعه على اتمام سقوطه . انتزعت منه كافة منح الشرف التي كان ينعم بها ، واضطر للفرار من العاصمة يجر وراءه اذيال الخزي والعار ، ويتعقبه البغض الملكي اينما حل . واخيرًا اطبقت عليه يد الانتقام . فقد قطعت أوردته ، وما زال حائط حمام قصر فين ملطخًا بدمه الى يومنا هذا وهو شاهد على الفظائع التي اقترفتها يداه[٢٥] .

لم تنته بعد موجة القصاص العادل . فقد نزل بميرزا حسن خان ، شقيق رئيس الوزراء ، الذي نفذ حكم الاعدام بالباب ابشع عقاب فقد تخلى الجميع عن اعانته ، ومات بائسًا ذليلاً .

لقي قائد الكتيبة التي تطوعت لتحل محل كتيبة سام خان حتفه عندما قصف الانجليز بلدة المحّمرة بالقنابل. وانتهت الكتيبة نفسها بعقاب مخيف. فبالرغم من اخفاق سام خان ورجاله في انهاء حياة الباب لاسباب لا يمكن تعليلها فقد ارادت هذه الكتيبة فعلاً تجديد المحاولة ونجحت في تمزيق جسد الباب بالرصاص . ففي تلك السنة نفسها سحق زلزال عنيف مائتين وخمسين من أفرادها مع ضباطهم حين كانوا يرتاحون في احد ايام الصيف الحار في ظل حائط بين تبريز وأردبيل. اذ سقط الجدار عليهم فجأة ولم ينج احد منهم[٢٦] .

اما بقية افراد الكتيبة وعددهم خمسمائة رجل فكان مصيرهم اكثر اثارة . فقد أعدموا رميًا بالرصاص ، على يد فرقة الاعدام ، ولاقوا بذلك نفس المصير الذي اقترفته ايديهم نحو الباب. فقد تمردت هذه الكتيبة بعد مرور ثلاثة اعوام على استشهاد الباب فأمرت السلطات باعدام افرادها جميعًا رميًا بالرصاص دون رحمة . ومما يدل على مغزى الحادث انه لم تفرغ فيهم قذيفة واحدة من الرصاص ، بل كما حدث للباب ، اطلقت عليهم قذيفة ثانية وذلك للتأكد من موتهم جميعًا ثم مزّقت اجسادهم بالحراب والسنان وتركت اشلاؤهم معروضة امام اعين الناس ، مثل ما جرى لجسدي الباب ورفيقه .

أثار هذا الحادث الكثير من الاهتمام والتهامس في تبريز. فتساءل الناس فيما بينهم « اليست هذه هي الكتيبة التي أعدمت الباب ؟ لقد أخذهم نفس المصير. هل يمكن ان يكون هذا الانتقام الالهي الذي أودى بهذه الكتيبة بأكملها الى هذه النهاية الشائنة ؟ » .

وعندما ترامت الى مسامع الزعماء الدينيين هذه الأقاويل والشكوك ، أخذهم الخوف ، وأصدروا تحذيرًا بانزال العقاب الشديد بكل من يروّج مثل هذه الافكار . وليبرهنوا على غضبهم جعلوا من بعض الناس عبرة ، فغرم البعض ، وضرب آخرون . وأنذر الجميع بعقاب أشد ان لم يكفوا عن مثل هذا الكلام على الفور ، وقيل لهم :

«هذه الاقوال انما تحيي ذكرى خصم مخيف» .

يسجل التاريخ انه منذ الساعة الاولى التي أطلقت فيها صلية الرصاص على الباب ، «هبت على المدينة بأسرها عاصفة شديدة لم يروا مثلها من قبل وحجبت دوامة من الغبار الكثيف جدًا ضوء الشمس ، وأعمت أعين الناس وظلت مدينة تبريز يلفها ذلك الظلام المريع من الظهر الى الليل» .

كانت هذه هي الساعة التي أشار اليها العهد القديم في سفر عاموس قائلاً : «ويكون في ذلك اليوم يقول الرب . اني أغيب الشمس في الظهر وأقتم الأرض في يوم نور»[٢٧] .

لقد قتل « الكبش » كما هو موعود في سفر الرؤيا ليوحنا . تنبأ كذلك في نفس السفر عن الحوادث التي ستقع بعد قليل في المدينة التي ولد فيها الباب « وفي تلك الساعة كانت زلزلة عظيمة فسقط عشر المدينة وقتل بالزلزال سبعة آلاف من الناس » (الآية ١٣ الفصل ١١) .

وهذا وصف مكتوب للفترة التي تلت اعدام الباب : «حدث هذا الزلزال الشديد في شيراز بعد استشهاد الباب . عمّ الاضطراب كل المدينة ، وهلك كثيرون . كما حدث ايضًا اضطراب عظيم بسبب تفشي الأمراض والكوليرا والضيق والقحط ، والمجاعة ، والمصائب ، بشكل لم يعرف له مثيل من قبل»[٢٨] .

تحققت نبوءات المسيح ووعوده بمجيء الباب ، على الرغم من الزعماء الدينيين الذين قابلوها بعيون عمياء وآذان صماء . وهؤلاء القادة الروحيون كما شهدت عليهم مقدمة كتاب تاريخي موثوق به عن حياة الباب .

«كانوا يتوقعون بكل اطمئنان ان الموعود المنتظر لن يستبدل الشرع القديم بالجديد ، بل يقر ويعزز النظام الذي يقومون هم بتأدية وظائفه . انه سوف يعظم من شأنهم تعظيما بلا حساب ، يوسع سلطانهم شرقًا وغربًا بيد الامم ، ويكسب لهم الانسانية المتمردة ويخضع الرقاب لنفوذهم . وعندما اعلن الباب شريعة جديدة ، وأسس اصلاحًا عميقًا أدبيًا وروحيًا بضرب المثل وسن الأحكام ، اشتمّ العلماء على الفور رائحة خطر هلاكهم

وشعروا بتصدع احتكارهم ، وتهديد اطماعهم ، وتلطيخ حياتهم وسلوكهم بالعار ، فقاموا ضده ساخطين عليه متظاهرين بالتقوى».

ويمضي هذا التحليل التاريخي قائلا : «ان السبب الذي من اجله انكروا دعوة الباب واضطهدوه ، كان في جوهره نفس السبب الذي من اجله اضطهد المسيح وانكر . فلو لم يأت المسيح بكتاب جديد ولو انه كرر المبادئ الروحية التي نشرها موسى وسار على التعاليم والاحكام الموسوية ، لنجا باعتباره مصلحًا اجتماعيًا ، من انتقام الكتبة والفريسيين . اما الادعاء بامكان تغيير اي جزء من شريعة موسى ، حتى ولو كان هذا متعلقًا بالامور الدنيوية كالطلاق وحفظ السبت ، وتغيره على يد واعظ غير مرسوم من الناصرة ، فهذا مما يهدد مصالح الكتبة والفريسيين انفسهم ولما كانوا ممثلي موسى والله ، فان هذا الادعاء يعتبر تجديفًا على الله العلي . و بمجرد ان ادركوا موقف المسيح قاموا على اضطهاده . ولما رفض الرجوع عن ادعائه هذا ، كان نصيبه الاعدام».

«ولاسباب مشابهة تمامًا ، قوبل الباب بالمقاومة منذ البداية»[٢٩].

ليس هناك في التاريخ المدوّن كله مثيل لدورة الباب في قصرها وفورانها الا قصة آلام المسيح . فهناك تشابه مدهش في مميزات أوجه حياتهما ، فحداثة سنهما ووداعتهما ، والسرعة المذهلة التي سارت بها دورة كل منهما نحو ذروتها ، والشجاعة التي تحديا بها الأنظمة المتبعة والقوانين والشعائر الدينية التي ولدا فيها ، والدور الذي لعبه رجال الدين كمحرضين رئيسيين لانتهاك حرمتهما والاهانات التي صبت عليهما ، وللمفاجأة التي بها تمّ القبض عليهما ، الاستجوابات التي تعرضا لها والجلد الذي انزل بهما ، ومرورهما اولا مظفرين ثم معذبين في شوارع المدينة التي تقرر قتلهما فيها وعرضهما في الشوارع اثناء سيرهما الى مكان استشهادهما وكلمات الأمل والوعد التي نطقا بهما لمرافق محكوم عليه بالموت معهما ، والظلام الذي احاط بالأرض ساعة استشهادهما واخيرًا تعليقهما المهين امام انظار جمهور معادي .

«ان حادثًا بمثل هذه الخطورة لا يمكن الا ان تثير الاهتمام الشديد والواسع حتى خارج حدود البلد الذي وقع فيه»[٣٠].

تشير وثيقة تاريخية مؤثرة بصفة خاصة عن الباب بقولها : «ان هذه النفس المجيدة قامت بقوة زلزلت اركان الشريعة والاخلاق والآداب ، والاحوال ، والعادات ، والرسوم في فارس ، وأسست احكامًا جديدة وقوانين جديدة ، ودينًا جديدًا . ومع ان ارباب الدولة

واغلبية العلماء والشعب قاموا جميعًا جميعًا على تحطيم هذه النفس وافنائها ، فانها قاومتهم جميعًا بمفردها ، وهزّت كل بلاد فارس»[٣١] .

قال احد الكتاب : « قصد أناس كثيرون من جميع انحاء العالم الى ايران ، وشرعوا في بحث الأمر بحثًا صادقًا » .

شهد كاتب فرنسي مرموق متخصص في القانون الاوروبي قائلاً : «اجتاحت اوروبا بأكملها موجة من العطف والسخط » . وقال : « وكان استشهاد الباب منهلاً عذبًا لادباء جيلي في باريس عام . ١٨٩٠م كتلك الأنباء الاولى عن مقتله فقد نظمنا القصائد عنه والتمست سارا برنهارت من كاتول مانديس ان يؤلف تمثيلية في موضوع هذه المأساة التاريخية »[٣٢] .

نشرت رواية درامية في عام ١٩٠٣ م ، تحت عنوان « الباب » ومثلت في مسرح من اشهر المسارح ببطرسبورج St.Petersburg . كما نشرت هذه الدراما في لندن، وترجمت الى الفرنسية في باريس ، وترجمها الى الالمانية الشاعر فيدلر Fiedler [٣٣] .

اقتبس م. ج. بالتو M.J. Balteau في محاضرة له عن دعوة الباب الكلمات التي ذكرها فامبري Vembery's في الاكاديمية الفرنسية والتي تشيد على عمق تعاليم الباب وقوتها ، وقال بان الباب «عبّر عن عقائد تليق باكبر المفكرين»[٣٤] .

وكتب العالم الشهير من كمبردج الاستاذ ادوارد جرافيل براون ، يقول «من يستطيع أن يفلت من جاذبية روح الباب اللطيفة ؟ فحياته المملوءة بالاحزان والاضطهاد ، وطهارة خلقه وشبابه وشجاعته وصبره غير المتذمر في المصائب ... وبالأخص وفاته المفجعة ، كل هذا يجعلنا نتعاطف مع رسول شيراز الفتى»[٣٥] .

وهذا هو حكم القس الانجليزي المرموق الدكتور ت. ك. شين حيث يقول : (مسيح العصر هذا ... نبي وأكثر من نبي . فجمعه بين الحلم والقوة أمر نادر الى درجة انه لزام علينا ان نضعه في عداد من هم فوق البشر»[٣٦] .

وكتب السير فرانسيس يانج هزبند Sir Francis Young husband في كتابه « الوميض» قائلاً : «ان قصة الباب .. هي قصة البطولة الروحية التي لم يتجاوزها بشر بعد ... فصدق الباب العميق لا شك فيه ، اذ انه ضحى بحياته في سبيل دعوته . ولا بد ان يكون هناك سر في رسالته جذب هؤلاء الناس اليه وارضى نفوسهم والشاهد على

ذلك ان آلافًا منهم فدوا بأرواحهم عن طيب خاطر في سبيله وان الملايين يتبعونه الآن ... وتعد حياته واحدًا من تلك الاحداث التي وقعت في المائة سنة الاخيرة والتي هي جديرة حقًا بالدراسة »[٣٧].

وكتب المؤرخ الفرنسي ا. ل. م. نيقولاس يقول « ان حياته مثالٌ من ارفع امثلة الشجاعة الذي حظت البشرية برؤيته .. لقد ضحى بنفسه من اجل الانسانية ، وفي سبيلها فدى بروحه وجسده ، ولاجلها صبر على الحرمان والاهانات والتعذيب والاستشهاد وختم بدم حياته على ميثاق الاخوة العالمية. ومثل ما فعل المسيح ، دفع بحياته ثمن اعلان حكم الوفاق والمساواة والمحبة الأخوية . وكان يعرف اكثر من غيره أية اخطار فظيعة كانت تثقل كاهله على نفسه ... وعلى الرغم من كل هذا لم تهن عزيمته ، ولم يعرف الخوف طريقًا الى روحه ، وانه بكل هدوء وثبات وبدون ان يلتفت الى الوراء متمالكًا لكل قواه سار الى داخل هذا الأتون المشتعل »[٣٨].

واخيرًا تباهى العلماء ورجال الدولة بانهم قضوا على الدين الذي طالما حاربوه .

فقد انتهى الباب ، وفتك بتلاميذه الرئيسيين وضرب جمهور اتباعه في طول البلاد وعرضها وأنهكت قواهم وتم اسكاتهم .

فرح الملك ورئيس الوزراء ، فلن يسمعا بعد الآن عن الباب ودعوته اذا صح قول مستشاريهما وسريعًا سيطوي النسيان دعوته وترفرف عليها اجنحة الموت . واخيرًا استطاعت القوى المجتمعة التي احاطت بالدعوة في اطفاء النور الذي اوقده أمير المجد الشاب في بلده .

كان بهاء الله في تلك اللحظة يستقبل في احدى ضواحي العاصمة زائرًا صديقًا قدر له ان يصبح بعد مدة قصيرة رئيسًا للوزراء .

قال هذا الصديق لبهاء الله : « لقد قتل الباب واعدم في تبريز وانتهى كل شيء . واخيرًا اخمدت النار التي كنت اخشى ان تطوفك وتفتك بك » .

فأجابه بهاء الله « اذا صح هذا فايقن بان النار التي اوقدت سوف يزداد اجيجها من جراء هذا العمل نفسه اكثر مما سبق وستحدث لهيبًا يعجز عن اخماده قوى رجال السلطة مجتمعين »[٣٩].

ردّد جوبينو هذه العبارة فدون في تاريخه انه (اي اعدام الباب) : «بدلاً من اخماد النيران ، قد زادها لهيبًا وسعيرًا »[٤٠].

ووفقًا لمقاييس العالم ، كانت حياة المسيح حياة مأساوية ومقرونة بالاخفاق . فقد خانه احد تلاميذه المختارين وانكره آخر ، ووقفت حفنة فقط منهم عند قاعدة الصليب .

وكان لا بد من مرور قرون من الزمان قبل ان يسمع العالم باسمه وبتطبيق مقاييس العالم نفسه فان حياة هذا الشاب الشيرازي السيئ الحظ بدت افجع حياة في التاريخ وأقلها ثمرًا . فالعمل المجيد الذي خطه والذي قام على تنفيذه بكل بطولة يبدو وكأنه قد انتهى بكارثة عملاقة .

انطلقت حياة البطولة القصيرة تلك كالنيزك الخاطف في سماء ايران . والآن طواها الموت في ظلمة اليأس . كانت هذه الاخيرة في سلسلة المآسي التي اعترضت سبيله منذ البداية .

ذهب الباب في بدء دعوته الى مكة قلب العالم الاسلامي ليعلن دعوته جهارًا . ولكنه قوبل ببرودة وعدم مبالاة وعزم على العودة الى مدينة كربلاء كي يؤسس دعوته . ولكن القبض عليه حال دون ذلك . والمشروع الذي رسمه لتلاميذه المختارين لم يكمل معظمه . والاعتدال الذي حثهم عليه ، ضاع في غمرة اول حماس سيطر على اوائل المؤمنين بدعوته . وفرصته الوحيدة في لقائه للملك ، ضرب بها رئيس الوزراء عرض الحائط . وقتل اقدر تلاميذه الواحد تلو الآخر وسحقت زهرة اتباعه في مذابح بشعة عمت البلاد باجمعها . ثم عقب ذلك استشهاده .

هذه الاحداث المهينة في ظاهرها تبدو وكأنها بلغت بدعوته ادني درجات الهبوط ، وانها تهدد باطفاء آماله بالكلية . ولكن وعد الباب المستمر بان موعود جميع الاديان سوف يظهر قبل مرور سنة التسع ، كان يتوهج كالنار في ظلام هذه النكسات والمحن . لم يكن هناك ادني شك في تعاليمه . انه لم يكن الا بشيرًا لمجيء من هو اعظم منه ، وانه يعرف ان البذرة قد غرست باحكام في حقول القلوب البشرية ومروجها . فهو الفجر ، وستعقبه الشمس عما قريب .

لم تظل نفس على قيد الحياة من تلك الشخصيات العظيمة التي أحبته كل الحب الا بهاء الله ، الذي سيق مُعْدَمًا مع عائلته وحفنة من الاتباع المخلصين الى المنفى ، والسجن في بلد اجنبي[٤١] ، فقد ابعد من مكان الى مكان ، حتى وصل الى « جبل الرب » بالارض المقدسة . ونفي بهاء الله سجينًا الى قلعة بمرج عكاء ، وهكذا تحققت حرفيًا

الكلمات الدرية لتلك النبوءة التي مر عليها قرون عدة عن «اواخر ايام»، الرسولين التوأمين جاء فيها: «يقتلون (اي أصحاب المبشر) جميعًا الا واحدًا منهم ينزل في مرج عكاء، في المأدبة الالهية»[٤٢].

ومع ان الدعوة الالهية سحقت ودفنت في الارض منذ نعومة اظفارها، وديست بالاقدام بكل قسوة، الا ان هذه العملية نفسها أدت الى انباتها. ان دعوته التي قد غرست في الارض وغذتها دماء شهدائها سوف تزدهر بعظمة وجلال فيما بعد مع سطوع الشمس وتحقق النبوءات بكل دقة.

وسيفسح الفجر الطريق امام الشمس وان العصر الذي وعدت به البشرية منذ بداية الزمان وهو (يوم القطيع الواحد والراعي الواحد) سيفتتح بقربان ذلك الغلام الشيرازي النبيل، الا وهو الباب،

باب الله

---

١. مسيو نيقولاس – ترجمة الدلائل السبع، الصفحة ٥٤–٦٠
٢. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب، الصفحة ٣٨٧
٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٤٦٣
٤. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ٢١٠–٢١٣
٥. المصدر السابق
٦. نبيل زرندي – مطالع الانوار، الصفحة ٥٠٠–٥٠٤
٧. المصدر السابق، الصفحة ٣٢١–٣٢٢
٨. المصدر السابق، الصفحة ٥٠٦–٥٠٧
٩. Dr. T.K. Cheyne, *The Reconciliation of Races and Religions*, p. 185.
١٠. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٣٠٦–٣٠٨
١١. Dr. T.K. Cheyne, *The Reconciliation of Races and Religions*, p.8-9.
١٢. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٥٠٧–٥١٢
١٣. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى، الصفحة ٢٢٠
١٤. المجلة الآسيوية ١٨٦٦، المجلد السابع، الصفحة ٣٧٨
١٥. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٥١٢–٥١٤
١٦. M.C. Huart, *La religion de Bab*, p. 3-4.

١٧. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٧٥
١٨. المصدر السابق ، الصفحة ٢٠٣–٢٠٤، ٣٧٦
١٩. انجيل القديس لوقا ، الفصل الاثنين والعشرون ، الآية ٤٢
٢٠. M.C. Huart, *La religion de Bab*, p. 3-4.
٢١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥١٨
٢٢. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٣٧٧
٢٣. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥٢٠–٥٢١
٢٤. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى ، الصفحة ٢٠٧–٢٠٩
٢٥. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٨٣
٢٦. المصدر السابق ، الصفحة ٨٣–٨٥
٢٧. كتاب عاموس . الفصل الثامن ، الآية ٩
٢٨. عبد البهاء في كتاب «الأسئلة والأجوبة» ، الصفحة ٦٥
ايضا شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٥٣–٥٤
٢٩. شوقي افندي – مقدمة مطالع الأنوار ، الصفحة ٣١–٣٢
٣٠. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٥٥–٥٧
٣١. عبد البهاء – كتاب الاسئلة والأجوبة ، الصفحة ٣٠–٣١
٣٢. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٥٦
٣٣. المصدر السابق .
٣٤. M.J. Balteau, *Le Babisme*, p. 28.
٣٥. E.G. Browne, article: The Babis of Persia", *Journal of the Royal Asiatic Society*, 1899, p. 933.
٣٦. شوقي افندي *God passes by* الصفحة ٥٥
ايضا نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥١٦
٣٧. نبيل زرندي – مطالع الأنوار ، الصفحة ٥١٦–٥١٧
٣٨. مسيو نيقولاس – السيد علي محمد الباب ، الصفحة ٢٠٣– ٢٠٤، ٣٧٦
٣٩. نبيل زرندي – مطالع الانوار – الصفحة ٥٢٢
٤٠. كونت دوغوبينو – المذاهب والفلسفات في آسيا الوسطى ، الصفحة ٢٢٤–٢٢٥
٤١. نبيل زرندي – مطالع الأنوار، الصفحة ٦٥١ – ٦٥٤
٤٢. سيد عبد الوهّاب الشعراني، اليواقيت والجواهر ، الصفحة ١٤٤

* * *

ان الاشارة الى الكتب التي استقى الكاتب معلوماته عنها تعود الى صفحات تلك المنشورات باللغتين الفرنسية والانجليزية ولا تعود الى الكتب التي وُضِعَت أصلاً بالعربية أو الفارسية . ولو ان اسماء تلك المراجع وردت في الفهرس باللغة العربية .

فهرس

١ الفصل الأول وعد المسيح
٧ الفصل الثاني بداية البحث
١٥ الفصل الثالث الوعد يتحقّق
٢١ الفصل الرابع الحج واعلان الدعوة
٢٥ الفصل الخامس بدء الاضطهاد
٢٩ الفصل السادس القاء القبض المهذّب
٣٣ الفصل السابع افتتان رسول الملك
٤١ الفصل الثامن يد الانتقام الإلٰهي
٤٩ الفصل التاسع الحاكم الرؤوف
٥٥ الفصل العاشر الاستدعاء الملكي
٦١ الفصل الحادي عشر الاضطراب في تبريز
٦٥ الفصل الثاني عشر السجن الصخري الشاهق
٧١ الفصل الثالث عشر الجَلْد في تبريز
٨١ الفصل الرابع عشر مذبحة قلعة الشيخ طبرسي
١٠١ الفصل الخامس عشر اعجوبة بين النساء
١١٩ الفصل السادس عشر مقتل اعلم العلماء الايرانيين
١٣١ الفصل السابع عشر ابطال طهران السبعة
١٣٩ الفصل الثامن عشر الفجر وطلوع الشمس
١٦٣ الفصل التاسع عشر استشهاد الباب